



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الفتح اللطيف

في فصل مكة وتاريخها ومناهج البيت الشريف

لائحة ظهيرة

(ت ٩٨٦ هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

الناشر

مكتبة الشفاء للدراسات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها و بناء البيت الشريف

كاتب:

محمد بن محمد ابن ظهيره

نشرت في الطباعة:

مكتبة الثقافة الدينية

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
12	الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف
12	هوية الكتاب
12	اشارة
16	مقدمة التحقيق
21	[خطبة الكتاب]
25	المقدمة في فضل العلم الشريف واهله وطالبه وما ورد فيه من الآيات العظيمة والأخبار الكريمة والآثار الجسيمة
25	اشارة
27	لطيفة [تخصيص اولاد اسماعيل بالذكر]
27	لطيفة [من الاحتياج الى العلماء في الجنة]
33	الباب الأول في مبدأ أمر الكعبة الشريفة و بيان فضلها و شرفها و ما يدل على ذلك من الآيات و الأحاديث و الآثار و الحكايات و العجائب [و ما سبب تسميتها كعبة و تسميتها بالبيت العتيق]
33	اشارة
35	مطلب: أصل طينة النبي صلى الله عليه و سلم من مكة
35	مطلب: مدفن الإنسان بترته
35	مطلب: أول جبل وضع في الأرض أبو قبيس
36	مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام
37	مطلب: قبلته صلى الله عليه و سلم
38	مطلب: تحويل القبلة
39	مطلب: المختار أنه صلى الله عليه و سلم لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة
40	مطلب: عن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ
41	مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة
41	مطلب: أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير
43	مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق
45	الباب الثاني فيما ورد من الآيات الشريفة و العجائب الباهرة المنيفة في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف و ما جاء في فضله و ما ورد في فضل المقام و ما السبب في تسميته بالمقام
45	اشارة
47	مطلب: تقبيل المقام و استلامه ليس بسنة
47	مطلب مهم

- 47 مطلب: فيما يتعلق بالحجر الأسود
- 48 مطلب الحجر الأسود و المقام ياقوتتان من يواقيت الجنة
- 48 اشارة
- 49 فوائد:
- 50 مطلب: الحكمة في تغيير الحجر الأسود إلى السواد
- 51 مطلب: هل كان الحجر يسمى أسود قبل اسوداده حال كونه أبيض من اللبن أم لا؟
- 51 مطلب: خواص الحجر
- 51 اشارة
- 52 فروع:
- 52 اشارة
- 53 فائدتان:
- 53 مطلب: أول من استلم الركن من الأئمة قبل الصلاة و بعدها ابن الزبير
- 53 اشارة
- 53 فصل: في فضل الركن اليماني و ذكر شىء مما ورد فيه:
- 53 اشارة
- 56 مطلب: في كيفية استلام الركن اليماني هل يقبل يده ثم ينقلها إليه أو يضع يده عليه ثم يقبلها؟
- 56 فصل: في فضل الملتزم و الدعاء فيه:
- 56 اشارة
- 57 ذكر معرفة الملتزم و المستجار و المتعوذ و المدعى و الحطيم
- 58 مطلب: دعاء آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام
- 59 مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما
- 59 مطلب: ما وقع في الكعبة من الترميم
- 61 مطلب: عقوبة من أخذ شيئاً من مال الكعبة و يسمى بالأبرق
- 61 مطلب: إذا وضع مفتاح البيت في فم الصغير تكلم سريعاً
- 61 مطلب: دخان البيت يصعد مستويًا
- 61 مطلب: هيئته و تعظيمه في القلوب
- 62 مطلب: لا يرى البيت أحد لم يكن رآه قبل إلا ضحك أو بكى
- 62 مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

64 مطلب: أبو أيوب الذى نزل عنده صلى الله عليه وسلم من ولد العالم الذى شفى به تبع

65 مطلب: على وجه تسمية قعيقعان وأجباد بذلك

77 الباب الثالث فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وكم مرة بنيت وما ورد فى ذلك من الأقوال والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وهأنا أذكره مبينا مفصلا مع التبيه على أشهر الأقوال

77 اشارة

80 فصل: فى الكلام على البيت المعمور وشىء من خبره على سبيل الاستطراد

80 اشارة

81 مطلب فى كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها

81 الخلاف فى البيت المعمور وفى مكة

82 مطلب الأجل التى بنيت منها الكعبة خمسة

83 مطلب الخلاف فى هود وصالح هل حجا أم لا

84 مطلب سبب معرفة إبراهيم أساس البيت الحرام

86 مطلب: الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر ولم لقب بذلك وتعريف نبوته وعدمها

86 مطلب سن ذى القرنين

87 مطلب: الحجر الأسود وهل كان قبل إبراهيم أم لا

98 فصل فى ذكر كنز الكعبة والحكم فيه

101 فصل فى الكلام على دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها وبيان مصلاه منها وعدد دخوله

105 فصل فى ثواب دخول الكعبة الشريفة فيما يطلب من الأمور التى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

109 الباب الرابع فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة زادها الله شرفا وتطييبا وتحليتها ومعاليتها

109 اشارة

112 فواتد:

114 ذكر تطيب الكعبة المشرفة

115 ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

116 ذكر معاليق البيت الشريف وما أهدى إليه فى معنى الحلية

118 فصل فى الكلام على سدانة البيت وهى خدمته وتوالى أمره وفتح بابه وإغلاقه

118 اشارة

121 فائدتان:

124 الباب الخامس فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفتين به وفضل النظر إليه وبيان المواضع التى فيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم حول البيت وبيان جهة المصلين إليه من سائر الآفاق وذكر ويطوفوا بالبيت العتيق

- 130 فواتد:
- 136 فصل فى ثواب النظر إلى البيت زاده الله شرفا و بيان مصلى النبی صلى الله عليه و سلم حول البيت و ذکر ذرع أرض المطاف
- 139 فصل فى ذکر المواضع التى صلى فيها صلى الله عليه و سلم حول الكعبة و بيانها ملخصة كما نقله الفاسى عن القرى للمحب الطبرى مع زيادة أدلة ..
- 139 اشارة ..
- 141 ذكر شىء من فضائل الحجر ..
- 143 ذكر ذرع الحجر من داخله و صفته و خير شىء من عمارته ..
- 144 فصل فى بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق ملخصا مما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة فى دائرته بحذف الكواكب إذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها ..
- 147 الباب السادس فى فضل مكة زادها الله شرفا و تعظيما و حكم المجاورة بها و ذكر شىء مما ورد فى ذلك ..
- 147 اشارة ..
- 151 فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد ..
- 154 فصل ..
- 155 فصل ..
- 155 اشارة ..
- 163 تبيينان:
- 164 الباب السابع فى فضل الحرم و حرمة و المسجد الحرام و زيادة الثواب للعامل فيه على غيره و تضعيفه و ذكر شىء من خير عمارته و توسعته ..
- 164 اشارة ..
- 167 فصل ..
- 172 فصل ..
- 172 اشارة ..
- 173 استطراد مفيد ..
- 177 استطراد ثان (فى الكلام على متن حديث الاسراء) ..
- 187 فائدتان:
- 188 فصل فى ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام و توسعته و ذرعه و ذكر شىء من أخباره ..
- 192 فصل فى ذكر الزيادتين و خير عمارتهما و ذرعهما و ذرع المسجد الحرام و عدد منازره و أبوابه ..
- 194 ذكر منازر المسجد الحرام ..
- 195 ذكر ذرع المسجد الحرام و الزيادتين ..
- 196 ذكر ذرع زيادة دار الندوة ..

- 197 ذكر كيفية المقامات التي هي الآن في زمننا موجودة بالمسجد الحرام و بيان مواضعها و كيفية الصلاة فيها و ما في المسجد من القبب و السقايات و غيرها
- 200 ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات و بيان مواضعها من المسجد الحرام
- 202 ذكر ما في المسجد الحرام من القبب و غيرها
- 203 ذكر عدد أبواب المسجد الحرام و أسمائها و بيان محلها من المسجد
- 208 الباب الثامن في فضل أهل مكة و احترامهم و مزيد شرفهم و إكرامهم و ذكر شئ ء من فضل قريش و نسبة النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه العشرة
- 208 اشارة
- 212 فصل فيما ورد في حق قريش من الآيات و الأحاديث و الآثار
- 212 اشارة
- 213 ما ورد في حق قريش من الأحاديث
- 215 ما ورد في حق قريش من الآثار
- 216 استطراد مهم
- 229 ذكر وصف كل واحد من العشرة رضى الله عنهم بصفة حميدة
- 229 اشارة
- 232 فرعان:
- 234 الباب التاسع في ذكر مبدأ بنر زمزم و سبب حفر عبد المطلب لها و فضل مائها و أفضليته و بركته و خواصه و ما ورد في ذلك
- 234 اشارة
- 235 فائدة استطرادية
- 240 فصل في فضائل ماء زمزم
- 247 فصل فيما لزمزم من الأسماء
- 249 فصل في آداب الشرب من زمزم و ما ينبغي أن يقال عند ذلك
- 249 اشارة
- 250 فروع:
- 251 استطراد لطيف في ذكر ما ورد في فضل السبطين و أنهما سيدا شباب أهل الجنة و فضل الشيخين و أنهما سيدا كهول أهل الجنة و في معنى ذلك و المراد به
- 255 الباب العاشر في ذكر أمراء مكة من لدن عهد النبي صلى الله عليه و سلم إلى تاريخ وقتنا هذا و هو عام تسعة و أربعين و تسعمائة
- 255 اشارة
- 257 ذكر من ولي مكة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
- 258 ذكر من ولي مكة في خلافة عثمان رضى الله عنه

258	ذكر من ولي مكة في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه
259	ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ..
259	ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية ..
259	اشارة ..
259	خلافة عبد الله بن الزبير رضی اللہ عنہما ..
260	ذكر ولاية مكة في خلافة عبد الملك بن مروان ..
260	ذكر ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك ..
263	ذكر ولاية مكة في أيام بني العباس ..
296	الخاتمة ..
296	اشارة ..
299	ذكر الدور المباركة ..
301	ذكر مساجد ..
302	ذكر المساجد التي في منى وجهتها ..
302	اشارة ..
305	فائدتان: ..
306	فوائد: ..
308	ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمةها ..
308	اشارة ..
312	فائدتان: ..
314	ذكر المقابر المباركة التي تزار بمكة وقربها ..
314	اشارة ..
321	فوائد ..
328	فهرست الفهارس ..
328	اشارة ..
330	1- فهرس الأعلام ..
340	2- فهرس الأماكن ..
361	3- فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب ..
367	4- فهرس مصادر التحقيق ..

389 تعريف مركز

الجامع اللطيف في فضل مكة و اهلها و بناء البيت الشريف

هوية الكتاب

بطاقة تعريف: ابن ظهيره، محمد بن محمد، - 986ق.

عنوان واسم المؤلف: الجامع اللطيف في فضل مكة و اهلها و بناء البيت الشريف [كتاب]/ تليف مولانا جمال الدين محمد جارالله بن محمد نورالدين ابن ابى بكر بن على بن ظهيره القريشى المخزومى.

تفاصيل المنشور: مكتبة الثقافة الدينية=1423ق.

مواصفات المظهر: 412، ل ص.

لسان : العربية.

ملحوظة: بيليوغرافيا مع ترجمة.

مشكلة : مكة (المملكة العربية السعودية) - تاريخ

مشكلة : المزارات الإسلامية

ترتيب الكونجرس: DS248 /م 8 الف 2 1350

تصنيف ديوي: 953/8

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن ظهيرة(1): محمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المخزومي.

ولد بمكة، وذكر معاصرون أنه كان شيخ الفتيا والتدريس ومرجع العلماء و صفوة الفقهاء بمكة المشرفة، كما كان مفرد زمانه في العلم و الفضل والدين والتقوى.

من آثاره التاريخية: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، وهو هذا الذي تقدم له اليوم.

وقد عبّر في مقدمته عن رغبته في وضع تأليف متوسط بين الإطالة والاختصار، ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وجعل المقدمة في فضل العلم، أما الأبواب فخصصها بما يتعلق بالكعبة المشرفة وفضلها وعمارته ووصف ما بداخلها وما ورد في فضل المقام والحجر الأسود والملتزم وماء زمزم وفضل المسجد الحرام وعمارته، وفضل مكة وذكر أمرائها، والخاتمة في ذكر الأماكن والمشاهد بمكة المكرمة.

وقد اعتمد ابن ظهيرة على مصادر متنوعة من كتب التاريخ والسيرة والمناسك والتفسير وغيرها(2).

هذا وقد استندت في تحقيق نص ابن ظهيرة إلى:

النسخة التي طبعت بمطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة سنة 1938 م.

كما استعنت بمخطوطة دار الكتب المصرية برقم 2946 تاريخ. وقد رمزت إليها بالحرف (د).

ص: 5

1-1. (1) كذا قيده صاحب تاج العروس بفتح الظاء وكسر الهاء.

2-2. (2) التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص 236، 237.

وقد أشرت إليهما معا في تعليقاتي (بالأصليين).

وكان حرصى على سلامة النص أكثر من حرصى على التعريف بالأعلام و البلاد و الإسراف فى الشرح و التعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء و الباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

كما قمت فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعة، و تدنى جناه.

القاهرة فى ذى الحجة سنة 1422 هـ

مارس سنة 2002 م

د/على عمر

ص: 6

غلاف نسخة دار الكتب المصرية رقم 2946 تاريخ

ص: 7

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية رقم 2946 تاريخ

ص: 8

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية رقم 2946 تاريخ

ص: 9

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسبغ على أهل مكة بمجاورة بيته الأمين مواد الفضل والنعمة.

وجعلهم أهله و خاصته فخرا لهم و تنويها بشأنهم لما اقتضته الحكمة. و خص من شاء منهم بباهر العز و الجلال و دفع عنه كل بؤس و نقمة. و حباه بمزيد العناية و الشرف فصار له جارا و جار الله جدير بوافر الإنعام و الحرمة.

أحمده على انتظامى فى هذا السلك، و أشكره على تفضلاته الجملة. و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أكرمنا بخير نبي كُتِّنا به خير أمة. و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله المبعوث فى هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك و الظلمة، صلى الله عليه و على آله و أصحابه السادة الأئمة، الذين ناصروه و ظاهره و على عدوه و قاموا فى مصالحه على همة، صلاة و سلاما دائمين مقرونين بعظيم البركة و الرحمة.

أما بعد: فيقول الفقير إلى عفو الله و لطفه الخفى، محمد جار الله بن ظهيرة القرشى المكى الحنفى: اعلم أنه لا يخفى على كل عاقل من ذوى الألباب السليمة، و الأفكار الرائقة الحسنة المستقيمة، أن الكعبة الشريفة هى أفضل مساجد الأرض و أنها بيت الله الحرام، و قبلة لجميع الأنام. و أن مكة المشرفة هى البلد الأمين، و مسقط رأس سيد المرسلين. و أهلها هم خاصة الله من البشر. الحائزون نهاية الشرف و الفخر و الظفر.

و المسجد الحرام فضله لا ينكر. و ما طوى من فضائله لم يزل ينشر. و الأدلة على ذلك من الكتاب و السنة أكثر من أن تحصى، و أعظم من أن تستقصى، و قد تصدى لتأليف فضائل مكة و أخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الإمام المتقن أبو الوليد الأزرقى تغمده الله برحمته.

و من المتأخرين السيد العلامة المحرر القاضى تقي الدين الفاسى المكى بوأه الله دار كرامته، و هو المعول عليه، فإنه رحمه الله قد أغرب و أبدع، و أتى فى مؤلفه «شفاء الغرام» و مختصراته بما يشفى و ينفع، و أظهر فى ذلك جملا من المحاسن و المفاخر، و إن كان

للمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الأول للآخر، غير أن الجميع رحمهم الله قد أطالوا الكلام وبالغوا في الإسهاب، ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب، بحيث من أراد الإحاطة بذلك يحتاج إلى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك. وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخير، وآخر ما يحسن تقديمه وتقريره.

ومن جنح أيضا إلى هذا الغرض وذكره ضمنا أرباب كتب المناسك في أوائل مناسكهم، فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى إشارة، ومنهم من مال إلى الإيجاز والاختصار، ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار، وبعضهم ضيق العبارة جدا، بحيث إنه ذكر ذلك في نحو ست ورقات عدا، فأخل حينئذ بما تعين أن يذكر، وأضرب صفحا عن أمور وجب أن تثبت وتشهر.

فلما وجدتها على ما وصفت ولم أقف على مؤلف متوسط في ذلك يدل على المقصود، ولا ظفرت بتعلق مفرد يكون جامعا لما هو في أسفار علماء هذا الفن موجود.

أحببت أن أجعل بعد الاستخارة تعليقا لطيفا غير مختصر مخل، ولا مطول ممل.

يكون عدة للقصاد، سالكا إن شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصاد لقصور الهمم في هذا الزمان عن مطالعة المطولات، ومراجعة المبسوطات.

أجمع فيه ما تفرق من منشور الكلام، وأضم كل لفظ إلى مناسبه ليحصل كمال الالتام، ولما أن التأليف في هذا الوقت ليس هو إلا كما قال بعضهم: جمع ما تشتت، ورم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية، وأحاديث نبوية. وآثار ضوية. وفوائد كثيرة. ولطائف غزيرة. مع تحرير عبارة وتقرير وإشارة.

مثبتا ذلك على قدر الفتوح. حسبما هو موجود في الأسفار مشروح، عازيا كل قول غالبا إلى قائله، ومبينه لطالعه وسانله، ليكون للواقف عليه عمدة، وأخرج بذلك من الدرك والعهدة.

وما فتح الله به في كلامي على سبيل البحث ميزته بقولي في أوله بما صورته أقول أو بحث، وفي آخره انتهى، أو والله الموفق بالقلم الأحمر(1)، وشرطت أن لا يخل الناسخ

ص: 11

1-3. (1) في هامش المطبوع: «اكتفينا بجعله بين قوسين» وقد أبقينا عليه كما ورد في المطبوع.

بذلك لىتميز عن كلام الغير، هذا مع اعترافى بكساد البضاعة و عدم التقدم فى هذه الصناعة، فشرعت مجتهدا فى ذلك، طالبا من الله تيسير تلك المسألة، و سميته:

«الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف» و رتبته على مقدمة و عشرة أبواب و خاتمة.

المقدمة فى فضل العلم.

الباب الأول: فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة و بيان فضلها و شرفها و ما ورد فى ذلك من الآيات و الأحاديث و الآثار، و ما سبب تسميتها الكعبة و تسميتها بالبيت العتيق.

الباب الثانى: فى زيادة تعظيم هذا البيت الشريف و ما جاء فى فضله من الآيات الشريفة، و العجائب الباهرة المنيفة، و ما ورد فى فضل المقام و ما سبب تسميته بالمقام و فيه فصلان: (الأول) فى ذكر الحجر الأسود و ما ورد فى فضله و شرفه (و الثانى) فى فضل الملتزم و الدعاء فيه و ذكر الفيل و خبر تبع.

الباب الثالث: فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة و عدد مرات بنائها و فيه أربعة فصول:

(الأول) فى الكلام على البيت المعمور و ذكر شىء من فضل جدة على سبيل الاستطراد (و الثانى) فى ذكر كنز الكعبة و الكلام فيه (و الثالث) فى الكلام على دخول الكعبة الشريفة و ما ورد فى ذلك (و الرابع) فى ثواب دخوله.

الباب الرابع: فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة و تطييبها و تحليتها و معاليقها، و فيه فصل فى الكلام على سدانة البيت.

الباب الخامس: فى فضل الطواف بالبيت و الطائفين به، و فيه ثلاثة فصول: (الأول) فى النظر إلى البيت (الثانى) فى بيان المواضع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حول الكعبة (الثالث) فى بيان وجهة المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق.

الباب السادس: فى فضل مكة شرفها الله تعالى و حكم المجاورة بها، و فيه ثلاثة فصول: (الأول) فى أفضليتها على المدينة (الثانى) فى أفضلية قبر النبى صلى الله عليه و سلم على سائر البقاع (الثالث) فى ذكر أسماء مكة المشرفة.

الباب السابع: فى فضل الحرم و حرمة و فضل المسجد الحرام و خبر عمارته، و فيه خمسة فصول: (الأول) فى ذكر الآيات المختصة بالحرم (الثانى) فى الكلام على تعريف المسجد الحرام، و فيه ذكر شىء من خبر الإسراء على سبيل الاستطراد (الثالث) فى ذكر عمارة المسجد الحرام (الرابع) فى خبر عمارة الزياتين اللتين به و ذرعه و ذكر المنابر (الخامس) فى كيفية المقامات التى بالمسجد الحرام و بيان مواضعها و حكم الصلاة فيها و ما فى المسجد من القباب و الأبنية و عدد أبواب المسجد الحرام.

الباب الثامن: فى فضل أهل مكة و شرفهم و ما ورد فى ذلك، و فيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبى صلى الله عليه و سلم و نسب أصحابه العشرة، و ذكر شىء من مناقب قريش.

الباب التاسع: فى ذكر مبدأ بئر زمزم و فضل مائها و أفضليتها و خواصه، و فيه فصلان (الأول) فى ذكر أسمائها (الثانى) فى آداب الشرب منها.

الباب العاشر: فى عدد أمراء مكة من لدن عهد النبى صلى الله عليه و سلم إلى يومنا هذا.

الخاتمة: فى ذكر الأماكن المباركة التى يستحب زيارتها بمكة و حرمها و خارجها من المواليد و الدور و المساجد و الجبال و المقابر، سائلا من كرم الله و لطفه أن يهدينى إلى الطريق السواء و يجعلنى ممن أخلص النية فى العمل، و إنما لكل امرئ ما نوى، مستعينا به فيما أردت، مؤملا من فضله إتمامه حسبما قصدت، و هو الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب.

المقدمة فى فضل العلم الشريف و أهله و طالبيه و ما ورد فيه من الآيات العظيمة و الأخبار الكريمة و الآثار الجسيمة

إشارة

اعلم أن العلم شرف الإنسان. و فخر له فى جميع الأزمان. و هو العز الذى لا يبلى جديده. و الكنز الذى لا يغبى مزیده. و قدره عظيم. و فضله جسيم. قال الله تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** (سورة فاطر: 28) برفع العلماء على الفاعلية. أى إنما يخاف الله من عرفه حق معرفته و هم العلماء. و قرئ فى الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية و نصب العلماء على المفعولية. و هذا مروى عن جماعة من العلماء منهم إمامنا أبو حنيفة رضى الله عنه. كان الأستاذ الكمال ابن الهمام فى مجلس تدريسه فأورد عليه سائل قراءة أبى حنيفة المذكورة فأجاب بقول الشاعر:

أهابك إجلالا و ما بك قدرة على و لكن ملء عين حبيبها

و حينئذ فالمراد بالخشية الإجلال. فيكون المعنى على هذا إنما يجلب الله من عباده العلماء، و قال تعالى **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ** (سورة آل عمران: 18) الآية. فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته و ميزهم من بين سائر الخلق و فضلهم على جميع الناس لقوله تعالى: **وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** (سورة العنكبوت: 43) و من على سيد البشر بقوله تعالى: **وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (سورة النساء: 113) قال تعالى تنويفا بشأن العلماء: **وَ عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ** (سورة الأنعام: 91) و قال تعالى: **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** (سورة العلق: 5) و قال تعالى فى جواب الكفار حين سألوا و ما الرحمن: **الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** (سورة الرحمن: 1: 4) و قال تعالى فى حق العلماء: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** (سورة الزمر: 9) و قال تعالى: **يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ**

آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (سورة المجادلة: 11) قال بعض المفسرين: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. قال بعض العلماء: رفعتهم تشمل المعنوية في الدنيا بحسن الصيت وعلو المنزلة، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة، وقال تعالى: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (سورة طه: 114) وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شىء إلا من العلم. ومثل هذا كثير فى كتاب الله، وفى بعض الكتب المنزلة (يقول الله: أنا الذى خلقت الخلق والقلم وعلمت الناس البيان).

و أما ما جاءت به بالسنة فأكثر من أن يحاط به. فمن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر».

وروى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غدا ليطلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له فى معيشتة».

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة».

وفى رواية: (سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع). قال بعض العلماء المراد بوضع الأجنحة التواضع على جهة التشفير. وقيل على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطفة أجسادهم.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر».

وعن أبى إسحاق المزنى يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف فاشفع لمن شئت».

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العالم والمتعلم كهذه من هذه» وجمع بين المسبحة والى تليها «شريكان فى الأجر، ولا خير فى سائر الناس بعد».

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا لذلك، ولا تكن الخامس فتهلك».

و عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة و خير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل».

لطيفة [تخصيص اولاد اسماعيل بالذكر]

: تخصيص اولاد إسماعيل بالذكر دون غيرهم قيل: لكونهم أفضل أصناف الأمم، فإن العرب أفضل الأمم، ثم أفضلهم اولاد إسماعيل. و قيل: لأن اولاد إسماعيل لم يجز عليهم رق قبل الإسلام.

و عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» رواه مسلم.

و عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم».

و فى الترمذى: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

و عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يشفع الله يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» قال بعض الفضلاء: أكرم بمرتبة هى متوسطة بين النبوة و الشهادة.

أقول: فى العطف ب «ثم» أدل دليل بعلى أفضلية العلماء على الشهداء كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوى فى ثم. انتهى.

و فى «الفائق» عنه صلى الله عليه وسلم: «تعلموا العلم و علموه الناس» و فيه أيضا: «تعلموا العلم و اعملوا به» و فيه: «تعلموا العلم قبل أن يرفع» و فيه: «تعلموا العلم و كونوا من أهله» و فيه: «إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا».

لطيفة [من الاحتياج الى العلماء فى الجنة]

: من الاحتياج إلى العلماء فى الجنة أنه إذا دخل أهل الجنة إليها يعطيهم الله جميع ما يتمنونه و لا يزالون يتمنون بإذن ربهم حتى تعجز عقولهم و تدبيراتهم عن الأمانى، لأنهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم، فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله: تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون، فيرجعون إلى العلماء فيسألونهم ما يتمنون فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك و تعالى فيتمنونها. كذا فى «حاوى القلوب إلى لقاء المحبوب» لابن الميلىق الشافعى رحمه الله.

و الأحاديث فى ذلك كثيرة جدا. و هذا بعض من كل، و قال بعض الفضلاء: العلم أمان من كيد الشيطان، و حرز من كيد الحسود و دليل العقل، و لقد أحسن من قال:

ما أحسن العقل و المحمود من عقلا و أقبح الجهل و المذموم من جهلا

فليس يصلح نطق المرء فى جدل و الجهل يفسده يوما إذا سئلا

و العلم أشرف شىء ناله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا

تعلم العلم و اعمل يا أخى به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

و عن بعض الحكماء أنه قال: العلم خليل المؤمن، و الحلم وزيره، و العقل دليله، و العمل قائده، و الرفق والده، و البر أخوه، و الصبر أمير جنوده.

و قال بعض الحكماء: لمتقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام، و قال الإمام الشافعى رضى الله عنه و أعاد علينا من بركاته: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة الناقله، و قال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

و قال بعض العلماء: العلم نور يهتدى به الحائر، و فى معناه أنشدوا:

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق و المين

العلم للنفس نور تستدل به على الحقائق مثل النور للعين

و قال آخر:

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل و يفرح إن أمسى إلى العلم ينسب

و يكفى خمولا بالجهالة أننى أراع متى أنسب إليها و أغضب

ص: 17

وقال ابن الزبير: إن أبا بكر كتب إليّ وأنا بالعراق: يا بني عليك بالعلم فإنك إذا افتقرت إليه كان مالا، وإن استغنيت به كان جمالا، وأنشد في معناه:

العلم بلغ قوما ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف

يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء: ينبغي لكل عاقل أن يبالغ في تعظيم العلماء ما أمكن ولا يعد غيرهم من الأحياء، وقد أجاد من قال:

و من الجهالة أن تعظم جهلا لصقال ملبسه ورونق نقشه

واعلم بأن التبر في بطن الثرى خاف إلى أن يستبين بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحه نقشه

وقال أبو طالب المكي في «قوت القلوب» جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه، وقد قال سبحانه: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (سورة الأنبياء: 7).

وقال سيدي الشيخ سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته: ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل، وما أطيع الله بمثل العلم.

وقال بعضهم رضي الله عنه: قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي. قال الشيخ محمد ابن علي المنهاجي رحمه الله: قلت: والله أعلم ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا، وقيل في معنى ذلك:

عاب التعلم قوم لا عقول لهم و ما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى و الشمس طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: العلم خير من المال. العلم يحرسك و أنت تحرس المال. و العلم حاكم و المال محكوم عليه. و العلم يزيد بالإتفاق و المال ينقص بالنفقة. و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم و الملك و المال فاختر العلم فأعطى الملك و المال معه. و قال الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه:

ليس العلم بكثرة الرواية و إنما العلم نور يجعله الله فى قلب من يشاء.

وقال بعض الحكماء: ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم و أى شىء فات من أدرك العلم. و ما أحسن ما قيل:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم و عنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمى و عون على الدين الذى أمره حتم

فخالط رواة العلم و اصحب خيارهم فصحبتهم زين و خلطتهم غنم

و لا تعدون عيناك عنهم فإنهم نجوم هدى إن غاب نجم بدا نجم

فو الله لو لا العلم ما اتضح الهدى و لا لاح من غيب الأمور لنا رسم

و عن ابن المبارك أنه قال: لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

و عن عثمان بن أبى شيبه قال: سمعت و كيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع

ممن هو أسن منه و ممن هو مثله و ممن هو دونه. و عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: منهومان لا يشبعان: طالب العلم و طالب الدنيا، و هما لا يستويان، أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، و أما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (6) أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى و ما أحسن قول بعضهم:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

و قدر كل امرئ ما كان يحسنه و الجاهلون لأهل العلم أعداء

ففر بعلم تعش حيا به أبدا فالناس موتى و أهل العلم أحياء

و قيل للحسين بن الفضل رضى الله عنه: هل تجد فى القرآن من جهل شيئا عاداه؟ فقال: نعم، فى موضعين: قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ (سورة يونس: 39) و قوله تعالى:

وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكَ قَدِيمٌ (سورة الأحقاف: 11).

و قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه: العلماء أرف بأمة محمد صلى الله عليه و سلم و أرحم عليهم من آبائهم و أمهاتهم، و ذلك أن آباءهم و أمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا و آفاتهما، و العلماء يحفظونهم من نار الآخرة و شدائدها.

و قال سفيان الثورى رضى الله عنه: العجائب عامة و فى آخر الزمان أعم، و النوائب طامة و فى أمر الدين أطم. و المصائب عظيمة، و موت العلماء أعظم، و إن العالم حياته رحمة للأمة، و موته فى الإسلام ثلثة.

و عن معاذ: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، و طلبه عبادة، و مذاكرته تسبيح، و البحث عنه جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة، و بذله لأهله قربة، و ما أحسن قول الزمخشري:

و كل فضيلة فيها سناء وجدت العلم من هاتيك أسنى

فلا تعتد غير العلم ذخرا فإن العلم كنز ليس يفنى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع.

وعن عمر رضى الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه.

والكلام فى هذا يطول، ولنختتم هذا النوع بحديث نبوى ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، حتى لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير بعلم فضلوا وأضلوا» وهذا التعليق لا يحتمل أكثر من هذا. وفيما ذكرته مقنع.

اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقني علما نافعا و تختم لى بخير و تحشرنى فى زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (سورة النساء: 69) آمين يا رب العالمين.

ص: 21

الباب الأول فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة و بيان فضلها و شرفها و ما يدل على ذلك من الآيات و الأحاديث و الآثار و الحكايات و العجائب [و ما سبب تسميتها كعبة و تسميتها بالبيت العتيق]

إشارة

الباب الأول فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة و بيان فضلها و شرفها و ما يدل على ذلك من الآيات و الأحاديث و الآثار و الحكايات و العجائب [و ما سبب تسميتها كعبة و تسميتها بالبيت العتيق] (1)

أما الآيات فمن ذلك قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ (سورة آل عمران: 96، 97) الآيتين.** قال الكواشى: سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين: قبلتنا قبل قبلكم أنزل الله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ**

و اختلف فى معنى كونه أول بيت وضع للناس، فقيل: أول بيت وضعه الله للطاعات و جعله متعبدا و قبلة للصلوات و موضعا للطواف، و يدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه، أنه سئل أهو أول بيت وضع؟ فقال: كان قبله بيوت و لكنه أول متعبد. و قيل: أول بيت بنته الملائكة فلما حجه آدم قالت له الملائكة: **بر حجك فإنا قد حججنا قبلك بألفى عام.**

و قيل: أول بيت بناه آدم. و قيل: أول بيت بناه إبراهيم، و قيل: أول بيت حج بعد الطوفان.

و قيل: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات و الأرض. فهذه ستة أقوال.

و بيان القول الأخير أن الله تعالى كان و لم يكن شىء قبله، و كان عرشه على الماء و ليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى. فقيل: إنه خلق السماء دخانا قبل الأرض و فتقها سبعا بعد الأرض. و رده بعضهم بأن خلق الأرض كان أولا مستدلا بقوله تعالى: **أَأَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (سورة فصلت: 9)** إلى قوله: **طَائِعِينَ.** قال النسفى فى تفسيره المسمى «بالمدارك»: يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض، و به قال ابن عباس رضى الله عنه و اختاره الشيخ جلال الدين السيوطى من المتأخرين، و أجاب بذلك عن سؤال رفع إليه صورته:

يا عالم العصر لا زالت أناملكم تهمنى وجودكم نام مدى الزمن

ص: 22

لقد سمعت خصاما بين طائفة من الأفاضل أهل العلم و اللسن
فى الأرض هل خلقت قبل السماء و هل بالعكس جا أثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال إن الأرض منشأة بالخلق قبل السما قد جاء فى السنن
و منهم من أتى بالعكس مستندا إلى كلام إمام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفى من مشكل و أبى نجاك ربك من زور و من محن
ثم الصلاة على المختار من مضر ما حى الضلالة هادى الخلق للسنن
فأجاب رضى الله عنه بما صورته:

الحمد لله ذى الإفضال و المنن ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السماء كما قد نصه الله فى حاميم فاستبين
و لا ينافيه ما فى النزاعات أتى فدحوها غير ذاك الخلق للفظن
فالحبر أعنى ابن عباس أجا بذا لما أتاه به قوم ذوو لسن
و ابن السيوطى قد خط الجواب لكى ينجو من النار و الآثام و الفتن
انتهى بنصه.

فإن قيل: هل قول السماء والأرض كان بلسان الحال أم المقال: قيل: إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما. وقيل: إن الله خلق فيهما كلاما فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها.

مطلب: أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

قال الثعلبي: خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الأرض من زبده والسماء من بخاره فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة. زاد غيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الأرض منها طبقا واحدا ثم فتحها بعد ذلك وكذلك السماء. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرّة الأرض بمكة.

قال بعض العلماء: فى هذا إيدان بأنها التى أجابت من الأرض، وعن كعب الأحرار رضى الله عنه قال: كانت الكعبة غثاء على الأرض. قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض فهو صلى الله عليه وسلم الأصل فى التكوين والكائنات تبع له.

مطلب: مدفن الإنسان بتربته

فإن قيل: مدفن الإنسان يكون بتربته، أى مكان طينته التى خلق منها وهو صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة الشريفة، أجاب بعض العلماء أن الماء لما تموج عند وقوع الطوفان ألقى تلك الطينة إلى ذلك الموضع من المدينة الشريفة. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما كان العرش على الماء قبل أن تخلق السموات والأرض بعث الله ريحا هفافة - بفاءين - فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع البيت كأنها قبة، فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال.

مطلب: أول جبل وضع فى الأرض أبو قبيس

وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى أى أصلها. والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف، وهى حجارة تثبت فى الأرض نباتا.

وروى عمر بن شبة فى أخبار مكة: خشعة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهى أكمة لاطية بالأرض. وقيل: هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين. ويقال للجزيرة التى فى البحر لا يعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف.

وقوله فى الآفة السابقة: لَلَّذِى بِنِكَتٍ مُّبَارَكًا (سورة ال عمران: 96) أى كثر الخفر لما فحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله من الثواب.

و انتصاب مباركا على الحال. قال الزجاج وغيره: المعنى استقر بمكة فى حال بركنه و هو حال من وضع، وقوله: فى آفاتٌ بِنَاتٌ (سورة ال عمران: 97) قال النسفى فى «تفسيره»: أى علامات واضحات لا تلتبس على أحد.

و مقام إبراهيم: عطف بيان لقوله آفات بِنَات، و صح بيان الجماعة بالواحد، لأنه بمنزلة آفات كثيرة لظهور شأنه و قوة دلالة على قدرة الله تعالى و نبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى صخر صلد، أو لاشتماله على آفات، لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آفة، و غوصه فىها إلى الكعبين آفة، و إلانة بعض الصخرة دون بعض آفة، و إبقاءه دون سائر آفات الأنبياء عليهم السلام آفة لإبراهيم خاصة.

وقوله: وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (سورة ال عمران: 97) عطف بيان لآفات، فكأنه قيل: فى آفات بِنَات مقام إبراهيم و أمن داخله. و الآياتان فى معنى الجمع، و يجوز أن تذكر هاتان الآياتان و يطوى ذكر غيرهم دلالة على تكاثر الآيات، فكأن المعنى مقام إبراهيم و أمن من دخله و كثير سواهما، و نحوه فى طى الذكر قوله صلى الله عليه وسلم: «حب إلى من دنياكم ثلاث» و قيل إن لفظ ثلاث موضوعة لا أصل لها فى الحديث، كما صرح به بعض أئمة الحديث «الطيب و النساء و قرعة عيني فى الصلاة» فقرة عيني ليس من الثلاث، بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا، و الثالث مطوى. انتهى باختصار.

مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام

و عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال:

المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال:

أربعون عاماً.

و فى ذلك إشكال أشار إليه جدى- أى جد المؤلف قاضى القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن على بن ظهيرة الشافعى تغمده الله برحمته و أسكنه بحبوح جنته- فى منسكه المسمى «بشفاء الغليل فى حج بيت الله الجليل» و هو أن

ص: 25

مسجد مكة بناه إبراهيم عليه السلام بنص القرآن وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ (سورة البقرة: 127) الآية. والمسجد الأقصى بناه سليمان كما جاء في حديث ابن عمر، أخرجه النسائي بإسناد صحيح. وبين إبراهيم وسليمان زمان طويل يزيد على ألف سنة كما قاله أهل التواريخ، فكيف قال في الحديث: بينهم أربعون سنة؟ والجواب عن ذلك بأنه يحتمل أن ابراهيم وسليمان إنما جددا ما بناه غيرهما كما سيأتى آنفا من أن أول من بنى البيت آدم، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما. ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن من الله تبارك وتعالى، فعلى هذه الأقاويل يكون قوله تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وهو الذى عليه جمهور العلماء و صححه النووي.

انتهى بمعناه.

ومن ذلك قوله تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا (سورة البقرة: 125) المراد بالبيت الكعبة، لأنه غالب عليها كالنجم للثريا. و مثابة: قال النسفي: مباءة و مرجعا للحجاج و العمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه.

و أمنا موضع أمن، فإن الجاني يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج، وهو دليل لنا فى الملتجئ إلى الحرم. انتهى.

وأصل الثوب لغة: الرجوع، و من ذلك قوله تعالى عقب هذه الآية: وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ (سورة البقرة: 125) الآية، المعنى: طهراه من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها. و المراد بالطائفين: الدائرون حوله. وبالعاكفين:

قيل: المجاورون الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يرحون.

وقيل: المعتكفون، وقيل: الطائفون النزاع إليه من البلاد. و العاكفون: المقيمون عنده من أهل مكة.

مطلب: قبلته صلى الله عليه و سلم

و من ذلك قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا (سورة البقرة: 143) ثم قوله:

فَلتَوَلَّيْنِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا (سورة البقرة: 144) الآيات.

ص: 26

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة.

قال النسفى: أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبه لقلقه فيرتد، فقد ارتد عن الإسلام عند تحويل القبلة جماعة. انتهى.

و المراد بقوله: شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بمعنى المحرم هو الكعبة. قال الكواشى:

و ذكر النسفى أن المراد جهته و سمته أى جعل تولية الوجه تلقاء المسجد و شطره نصب على الظرف أى نحوه، لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى.

و ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين.

انتهى، و قوله: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ (سورة البقرة: 144) قال الزمخشري أى إن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى إلى القبلتين.

مطلب: تحويل القبلة

فائدة: قال العلامة شهاب الدين أبو الفضل بن العماد الأقفهسى فى الدررة الضوية فى هجرة خير البرية: كان تحويل القبلة فى السنة الثانية من الهجرة. ثم قال: قال النووى ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمى: حولت القبلة فى ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان، كان النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فحانت صلاة الظهر فى منازل بنى سلمة- بكسر اللام- فصلى بهم ركعتين من الظهر فى مسجد القبلتين إلى بيت المقدس، ثم أمر و هو فى الصلاة باستقبال الكعبة و هو راعى فى ثالثة فاستدار و استدارت الصفوف خلفه صلى الله عليه وسلم، فأتى الصلاة، فسمى مسجد القبلتين.

و كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالصلاة إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة و بعد الهجرة بستة عشر شهرا أو سبعة عشر، ثم قال- أعنى ابن العماد: قول النووى أنه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا باستقبال بيت المقدس مدة إقامته بمكة قد جزم البغوى بخلافه فقال فى تفسير قوله تعالى:

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ (سورة البقرة: 144) الآية، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون

بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم بما يجدون من نعته فى التوراة، فصلى إليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر، وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة إبراهيم.

وقال مجاهد: كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا و يصلى إلى قبلتنا، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل: وددت لو حولنى الله إلى الكعبة، فقال له سل ربك. فجعل صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ (سورة البقرة: 144) الآيات. انتهى بنصه.

وما جزم به البغوى من أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة هو المعتمد و عليه أكثر المفسرين وأصحاب السير.

مطلب: المختار أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاد أو بأمر من ربه؟ وهذا تفريع على الأصح من أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة. و من ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ (سورة المائدة: 2) أى لا تحلوا من قصده من الحجاج و العمار، و إحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر و أن يحال بينها و بين المتسكين بها، قاله النسفى.

أقول: و توجيهه أن المتسكين إنما أرادوا تعظيم هذا البيت المشرف و جزيل الثواب، و فى الإحالة إبطال ذلك، و الله الموفق.

وفى «تفسير الكواشى»: وَلَا آمِينَ أَى و لا قتال قاصدين البيت، فإن قيل: هذا عام فى المؤمنين و المشركين أم انتسخ الحكم فى حق المشركين؟ فالجواب أنه منسوخ بقوله تعالى: فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (سورة التوبة: 5) و بقوله: فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسَّ جِدَّ الْحَرَامِ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا (سورة التوبة: 28) و هو المشهور.

مطلب: عن الحسن و غيره ليس في المائدة منسوخ

وعن الحسن و غيره ليس في المائدة منسوخ. و من ذلك قوله تعالى في السورة المذكورة هَدِيًّا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ (سورة المائدة: 95) فبالغ الكعبة صفة لهديا و جاز الوصف بذلك لأن إضافته غير حقيقية كما صرح به النحاة. و معنى بلوغ الكعبة أن يذبح بالحرم و هو فناء المسجد الذى هو فناء للبيت، كل ذلك تعظيما لهذا البيت أن لا تقام هذه القرية إلا فى حرمه، و لا يجرى الذبح فى غيره.

فروع: الأول: الهدى المذكور فى الآية هو جزاء الصيد، و يجب على المحرم عندنا بقتله الصيد سواء كان ناسيا أو عامدا أو مبتدئا و هو الذى قتل الصيد مرة أو عائدا و هو الذى قتل مرة بعد أخرى، بل العائد عندنا أشد جناية خلافا لمن يقول لا جزاء على العائد لأن الله تعالى قال: وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ (سورة المائدة: 95) جعل كل جزاء العائد الانتقام فى الآخرة فلا تجب الكفارة.

و الجواب عنه بأن وجوب الكفارة فى العائد مستفاد من الآية بدلالة النص، و المراد من قوله: و من عاد، العود مستحلا.

الثانى: يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة أيضا خلافا للشافعى لأنه يقول: الجزاء متعلق بالقتل فى قوله تعالى: وَ مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا (سورة المائدة: 95) ليست بقتل و لنا قوله صلى الله عليه و سلم: هل أشرتم هل دلتم ... الحديث. مع أن فى الدلالة عليه تقويتا لأمنه و هو قتل معنى.

الثالث: يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم و غيرهم سواء كان التصدق بالحرم أو حيث شاء بعد أن حصلت الإراقة فى الحرم، و عند الشافعى رحمه الله لا يجوز التصدق إلا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل فى «منسكه» و من ذلك قوله عقيب الآية المتقدمه أَنفَا جَعَلَ اللَّهُ الْكُعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ (سورة المائدة: 97) أى قواما لهم فى أمر دينهم و دنياهم فلا يزال فى الأرض دين ما حجت و عندها المعاش و المكاسب كذا فى «منسك» ابن جماعة. قال الجدى تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الآية:

أى ركز فى قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى على أحد و صارت وازعا لهم من الأذى

وهم فى الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم بعضاً، فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك. هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثأر، وبالجملة فهو سبب لقيام مصالح الناس فى أمر دينهم وديانهم وأخرتهم: أما فى أمر الدين فإن به يقوم الحج وتتم المناسك، وأما فى أمر الدنيا فإنه تجبى إليه ثمرات كل شىء و يأمنون فيه، وأما فى الآخرة فلأن المناسك لا تقام إلا عنده، وهى سبب لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات. انتهى.

بحروفه.

وروى عن الحسن البصرى أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة.

مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة

وفى تسمية البيت كعبة أقوال، فقليل: لتكعبه أى تربعه، يقال برد مكعب إذا طوى مربعا، وقيل لعلوه وتوتنه، ومنه سمي الكعب كعبا لتوتنه و خروجه من جانب القدم، يقال تكعبت الجارية إذا خرج نهداها، وقيل لانفرادها عن البيوت وارتفاعها. وذكر الأزرقى رحمه الله فى «تاريخه» أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة»(1).

مطلب: أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير

وأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير، فقالت قريش: ربع حميد بيتا، إما حياة وإما موتا(2).

وذكر أيضا أن شيبه بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة إلا أمر بهدمه.

ونقل عن جده عن يوسف بن ماهك قال: كنت جالسا مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت على أبى قبيس مشرف على الكعبة فقال:

أبيت ذلك؟ قلت: نعم، فقال: إذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشبيها كذا وفجرت بطونها أنهارا فقد أذف الأمر. أى: قرب(3).

ص: 30

1-5. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 280.

2-6. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 280.

3-7. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 280.

وذكر أن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظاماً لها، وأن الدور التي كانت تشرف على الكعبة هدمت وخربت إلا دار العباس هذه فإنها على حالها إلى اليوم. انتهى بمعناه(1).

وأخرج ابن شبة البصرى فى مؤلفه «أخبار مكة» أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه وقال: ليس لكم أن تبنا حولها ما يشرف عليها. انتهى.

أقول: إذا كانت العلة فى عدم العلو والإشراف هى الإعظام، فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالجملة التطاول فى البنيان من علامات الساعة على حد قوله صلى الله عليه وسلم: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» لأن المراد من الحديث الإخبار بتغير الأحوال وتبدلها كما قال الإشبيلي. وفيه دليل على كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء وتشيدده. ومات صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بناء ولا طوله. انتهى.

وما تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنفا مشعر بذلك حيث قال: فقد أذف الأمر.

وأما تسميته بالبيت الحرام فلأن الله تعالى حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وأن يختلى خلاه وأن يعضد شجره وأن يتعرض له بسوء. ثم المراد بتحريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى هَذِيأً بِالْعِ كَعْبَةِ (سورة المائدة: 95) فإن المراد بها الحرم كما تقدم أنفا. ومن ذلك قوله تعالى: وَ طَهَّرُ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ (سورة الحج: 26) أى المقيمين بمكة، وناهيك بهذه الإضافة المنوّهة بذكره المعظمة لشأنه الرفاعة لقدره. وكفى ذلك شرفاً وفخراً، وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدر، وما أحسن ما قيل فى ذلك المعنى:

وكفى شرفاً أنى مضاف إليكم وأنى بكم أذى وأذى وأعى

وهى من السرفى إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه، وأنشد فى المعنى:

ص: 31

لا يرجع الطرف منه حين يبصره حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

و من ذلك قوله تعالى: **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** (سورة الحج: 29) و المراد به طواف الزيارة الذى هو ركن فى الحج باتفاق الأئمة الأربعة، و لا- يحصل تمام التحلل إلا به، و هو آخر فرائض الحج الثلاثة، ثم قال قال النسفى: و هو: مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء.

مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق

و اختلف فى تسميته بالعتيق، فقيل: لأن الله أعتقه من الجبابة فلم يظهر عليه جبار.

وقيل: لقدمه لأنه أول بيت وضع كما تقدم، و العتيق القديم، قاله الحسن. وقيل: لأنه كريم على الله لأنه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وإنما بيت الله. وقيل: لأنه أعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان. وقيل: لشرفه سمى عتيقا.

وقيل: لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب. وقيل: لأنه يعتق زائر من النار و هو قريب مما قبله. وقيل غير ذلك. و القول الأول هو المعتمد و فى هذا من التنويه بشأنه ما لا يخفى.

استطرد: قوله بعد هذه الآية: **ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ** (سورة الحج: 30) الآية، قال النسفى: الحرمة ما لا يحل هتكه و جميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه و يحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج.

وقيل: حرمة الله خمس: البيت الحرام، و المشعر الحرام، و الشهر الحرام، و البلد الحرام، و المسجد الحرام.

أقول: فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصا بهذه الخمس و الله الموفق. و ذكر الزمخشري بدل المشعر المحرم حتى يحل، و من ذلك قوله تعالى: **ثُمَّ مَجَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** (سورة الحج: 33) أى عنده، و المراد الحرم الذى هو حريم البيت كقوله: **هَدْيًا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** (سورة المائدة: 95) كما تقدم، و المعنى واحد فلا نطول.

نكتة: ثم: للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال آنفا، والمعنى إن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دينكم ودياركم وأعظها و أبعدا شوطا في النفع محلها إلى البيت العتيق. كذا في «الكشاف» وهذا بعض ما ورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه. و أما ذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون.

و أما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا البيت دعامة الإسلام ومن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر زائرا كان مضمونا على الله إن رده رده بأجر وغنيمة، وإن قبضه أن يدخله الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم: «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة» وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها» يعنى الكعبة والحرم «فإذا ضيعوا ذلك هلكوا» أخرجه ابن ماجه وسنده حسن .. إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتى مفرقة في الأبواب الآتية في مظانها إن شاء الله تعالى مع مزيد بيان وإيضاح. والله أعلم.

الباب الثانى فيما ورد من الآيات الشريفة و العجائب الباهرة المنيفة فى زيادة تعظيم هذا البيت الشريف و ما جاء فى فضله و ما ورد فى فضل المقام و ما السبب فى تسميته بالمقام

إشارة

وفيه فصلان:

الأول: فى ذكر الحجر الأسود و ما ورد فى فضله و شرفه و ما سبب تسميته بالأسود.

و الفصل الثانى فى فضل الملتزم.

اعلم أن لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفا و تعظيما آيات كثيرة و عجائب غزيرة تدل على شرفه و فضله، منها: مقام ابراهيم صلوات الله عليه، و هو لغة موضع قدم القائم، و مقام ابراهيم هو الحجر الذى وقف عليه الخليل، و فى سبب وقوفه عليه أقوال:

الأول: أنه وقف عليه لبناء البيت، قاله سعيد بن جبير.

الثانى: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل عليهما السلام فلم يجده، فقالت زوجته انزل، فأبى، فقالت: دعنى أغسل رأسك فأنته بحجر فوضع رجله عليه و هو راكب فغسلت شقه ثم رفعته و قد غابت رجله فيه فوضعت تحت الشق الآخر و غسلته فغابت رجله الثانية فيه فجعله الله من الشعائر. و هذا القول منسوب إلى ابن عباس و ابن مسعود رضى الله عنهما.

الثالث: أنه وقف عليه للأذان للحج. و ذكر الأزرقى فى «تاريخه» أنه لما فرغ من التأذين جعل المقام قبلة فكان يصلى إليه مستقبل الباب. و ذكر أيضا أن ذراع المقام ذراع و أن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع.

و ذكر القاضى عز الدين بن جماعة فى «منسكه» أنه حرر مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع و ربع و ثمن بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه.

و ذكر أن أعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع و ربع و موضع غوص القدمين فى المقام ملبس بفضة و عمقه من فوق الفضة سبع قراريط و نصف قيراط بالذراع المتقدم.

ص: 34

أقول: لا- مناقضة بين ما ذكره الأزرقى والقاضى عز الدين فى ذرع المقام، ويمكن الجمع بأن ذرع الأزرقى كان باليد و ذرع القاضى عز الدين بالذراع الحديد حسبما تقدم، و بين ذراع اليد و الحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الأشخاص فتأمل. انتهى.

و أخرج الأزرقى أيضا أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فرمى المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذى ماتت فيه فاحتمل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتى به فربط إلى أستار الكعبة فى وجهها، و كتب بذلك إلى عمر فأقبل فرعا فدخل معتمرا فى رمضان و قد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس و سألهم عن موضعه، فقال المطلب ابن أبى وداعة: عندي علم ذلك، كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه إلى الركن و إلى باب الحجر و إلى زمزم بميقاط و هو عندي فى البيت، فقال له عمر: اجلس عندي و أرسل إليها فأرسل المطلب فأتى بها فوجدها عمر كما قال، فشاور الناس عمر و استثبت فقالوا: هذا موضعه فأمر بإحكام ربطه تحته ثم حوله فهو فى مكانه إلى هذا اليوم(1) انتهى بمعناه.

و مكانه هذا هو مكانه فى زمن الخليل عليه السلام كما نقله الإمام مالك فى «المدونة» ثم قال: و كانت قريش فى الجاهلية ألصقت بالبيت خوفا عليه من السيول، و استمر كذلك فى عهده صلى الله عليه و سلم و عهد أبى بكر رضى الله عنه، فلما ولى عمر رضى الله عنه رده إلى موضعه الآن كما سمعت. انتهى.

و أخرج الأزرقى عن ابن أبى مليكة أنه قال: موضع المقام هذا الذى هو فيه اليوم هو موضعه فى الجاهلية و فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم و أبى بكر و عمر رضى الله عنهما إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر ثم رد و جعل فى وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده(2). و فى هذا مناقضة لما قاله مالك رضى الله عنه فى «المدونة» و الله أعلم بالحقائق.

و صحح ابن جماعة ما قاله مالك. و يروى أن رجلا يهوديا أو نصرانيا كان بمكة يقال له جريج فأسلم، ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده، أراد أن يخرج إلى ملك الروم، فأخذ منه ثم قتل(3).

ص: 35

1-9. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 33.

2-10. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 35.

3-11. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 338.

و نقل العلامة ابن خليل فى «منسكه الكبير» أن الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلى عليها قد صلى عليهما بعض الصحابة.

مطلب: تقبيل المقام و استلامه ليس بسنة

وقال أيضا إن مسح المقام و مسه و تقبيله ليس سنة، إنما أمرنا بالصلاة عنده، و روى أن ابن الزبير رأى قوما يمسحون المقام، فقال: لم تؤمروا بالمسح، إنما أمرتم بالصلاة عنده.

انتهى.

مطلب مهم

بحث: كون المسح و التقبيل ليس سنة لا يمنع من الإتيان بهما على وجه التبرك، فمن فعل ذلك تبركا فالظاهر أنه لا بأس به فتأمل. و الله الموفق.

و روى أن عمر رضى الله عنه قال: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فقال صلى الله عليه و سلم: لم أؤمر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزل قوله: وَ اتَّخِذُوا (سورة البقرة: 125) الآية. و هذا أحد المواطن التى وافق فيها عمر ربه.

مطلب: فيما يتعلق بالحجر الاسود

(و منها) الحجر الاسود و حفظه و هو يمين الله فى الأرض، يشهد لمن استلمه بحق و أنه من الجنة. و سيأتى معنى كونه يمين الله.

و روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال «استقبل النبى صلى الله عليه و سلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلا ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال: يا عمر ها هنا تسكب العبرات» رواه ابن ماجه و الحاكم(1).

و عنه صلى الله عليه و سلم «ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له» أخرجه القاضى عياض فى «الشفاء»(2).

ص: 36

1-12. (1) أخرجه الحاكم فى المستدرک برقم 1670.

2-13. (2) الشفاء للقاضى عياض ج 2 ص 59.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمة.

و معنى فاوض: لابس، كذا ذكره العلامة ابن جماعة.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة «الركن و المقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، و لو لا أن الله طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق و المغرب»(1).

وقد فضل الله بعض الأحجار على بعض كما فضل بعض البقاع و الأيام و البلدان على بعض. و فى رواية: «و لو لا ما مسهما من خطايا بنى آدم لأضاء ما بين المشرق و المغرب».

و فى رواية لابن أبى شيبة: «ما بين السماء و الأرض، و ما مسهما من ذى عاهة و لا سقيم إلا شفى». و عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم «نزل الحجر الأسود من الجنة و هو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم» حديث حسن صحيح، و فى رواية خطايا أهل الشرك» و فى رواية لابن أبى شيبة «من الثلج» و فى رواية «كأنه لؤلؤة بيضاء» و فى رواية: «كأنه ياقوتة بيضاء» و فى رواية للأزرقي: «و إنه لأشد بياضا من الفضة».

و قال القاضى عز الدين بن جماعة: و قد رأيت أول حجأتى سنة ثمان و سبعمائة و به نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصا بينا. انتهى.

و قال العلامة ابن خليل فى «منسكه الكبير»: و قد أدركت فى الحجر الاسود ثلاثة مواضع بيضاء نقيه، فى الناحية التى إلى باب الكعبة المعظمة: إحداها و هى أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة، و الأخرى إلى جنبها و هى أصغر منها، و الثالثة إلى جنب الثانية و هى أصغر من الثانية تأتى قدر حبة الدخن. ثم إنى أتلحح تلك النقط فإذا هى كل وقت فى نقص. انتهى بنصه.

لطيفة: أحسن ما ذكر فى تسويده بالخطايا أنه للاعتبار، ليعلم أن الخطايا إذا أثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب أعظم و أوقع، فوجب لذلك أن تجتنب، و عنه صلى الله عليه وسلم أنه

ص: 37

قال: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه. فمن لم يدرك بيعة النبي صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله»⁽¹⁾ و معنى كونه يمين الله في أرضه أن من صافحه كان له عند الله عهد، و جرت العادة بأن العهد الذى يعقده الملك لمن يريد موالاته و الاختصاص به إنما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه. قاله الخطابى.

و نقل عن المحب الطبرى أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه، فنزل الحجر منزلة يمين الملك، و لله المثل الأعلى⁽²⁾.

و روى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قبل الحجر ثم إنه قال: و الله لقد علمت أنك حجر لا تضر و لا تنفع، قال بعض الفضلاء: إلا ياذن، و لو لا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، و قرأ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (سورة الأحزاب: 21) و روى أنه لما قال ذلك قال له أبى بن كعب: إنه يضر و ينفع، إنه يأتى يوم القيامة و له لسان ذلق يشهد لمن قبله و استلمه فهذه منقبة. و فى رواية أيضا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لعمر: بلى يا أمير المؤمنين، إنه يضر و ينفع، و إن الله لما أخذ المواثيق على آدم كتب ذلك فى رق و أقمه الحجر. و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة و له لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد، فقال عمر رضى الله عنه: لا- خير فى عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن. و فى رواية: لا أحيانى الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبى طالب حيا. و فى أخرى للأزرقي: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

فوائد:

الأولى: إنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام، فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله فى الجاهلية، فأراد عمر رضى الله عنه أن يعرف الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أن الحجر يضر و ينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية فى الأوثان، كذا نقله الجد عن المحب الطبرى.

ص: 38

1-15. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 278.

2-16. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 278.

الثانية: أن قول عمر هذا فيه التسليم للشارع في أمور الدين و حسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها و هي قاعدة عظيمة في اتباعه صلى الله عليه و سلم فيما فعله و لو لم تعلم الحكمة فيه، قال الشيخ زين الدين العراقي في «شرح الترمذى» و في قول عمر رضى الله عنه دليل على كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله، و أما قول الشافعى و أيضا قبل من البيت فحسن فلم يرد به الاستحباب، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين. انتهى.

و أوجب عن الشافعى بأن معنى قوله: فحسن، أن ذلك غير مكروه و لا مستحب. كذا قاله الجدر رحمه الله.

الثالثة: قال السهيلي: الحكمة في كون خطايا بنى آدم سودته دون غيره من حجارة الكعبة، أن العهد الذى فيه هي الفطرة التى فطر الناس عليها فى توحيد الله، فكل مولود يولد على الفطرة، و على ذلك فلو لا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد، فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد و الميثاق، و صار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد و الميثاق فتناسبا، فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد، و اسود الحجر بعد بياضه. و كانت الخطايا سببا فى ذلك حكمة من الله تعالى. انتهى.

الرابعة: قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم أنفا فقال: إذا سودته الخطايا ينبغى أن تبيضه الطاعات، أجب ابن قتيبة عن ذلك بأنه لو شاء الله لكان، ثم قال:

أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به و لا ينصبغ، و البياض ينصبغ و لا يصبغ به.

مطلب: الحكمة فى تغيير الحجر الأسود إلى السواد

الخامسة: روى عن ابن عباس أنه قال: إنما غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة. قال المحب الطبرى: إن ثبت هذا فهو الجواب، قال ابن حجر: أخرجه الجندى فى «فضائل مكة» بإسناد ضعيف، و قيل: إن شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين فى الجاهلية و الإسلام، و سيأتى الكلام فى سبب الحريق فيما بعد إن شاء الله تعالى.

مطلب: هل كان الحجر يسمى أسود قبل اسوداده حال كونه أبيض من اللبن أم لا؟

السادسة: قال الجدل رحمه الله: فإن قلت: هل كان الحجر يسمى بالأسود قبل اسوداده حال كونه أشد بياضا من اللبن أو لا؟ وإنما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده. قلت: لم أر في ذلك لأحد نقلا، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السواد، فيكون المراد بقولهم أسود أى ذو سواد، ويحتمل أنه لم يسم بذلك، إلا بعد اسوداده، والله أعلم.

انتهى.

مطلب: خواص الحجر

إشارة

السابعة: من خواص الحجر الأسود أنه اذا جعل فى الماء لا يغرق بل يطفو ويرتفع، وإذا جعل فى النار لا يحمى ولا تعمل فيه النار بل يبقى باردا على حاله. كذا نقله الطرسوسى.

و من آيات الحجر: أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم أعاده الله إليه. و وقع ذلك من جرهم وإياد و العمالقة و خزاعة و القرامطة.

و آخر من أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى و ذلك أنه فى موسم سنة سبع عشرة و ثلاثمائة حصل منه فى يوم التروية أذى عام، و ذلك أنه نهب الحاج و سفك الدماء حتى سال بها الوادى ثم رمى ببعض القتلى فى بئر زمزم حتى امتلأت، و أصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسه و مات، ثم انصرف و معه الحجر الأسود فعلقه على الأسطوانة السابعة من جامع الكوفة لاعتقاده الفاسد و زعم أن الحج ينتقل إليها، فاستمر عنده إلى أن اشتراه منه المطيع لله أبو القاسم و قيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين ألف دينار، ثم أعيد إلى مكانه سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة، و كانت مدة مكثه عندهم اثنتان و عشرون سنة إلا شهرا، و لما ذهب به هلك تحته أربعون جملا و لما أعيد إلى مكة حمل على قعود أعجف فسمن تحته.

ص: 40

وعن مجاهد أنه قال: يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفقتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن و افاهما بالوفاء.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يعيد الحجر إلى ما خلقه أول مرة» أخرجه الأزرقي.

وأخرج ابن شيبه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: يرفع الحجر الأسود يوم الاثنين. وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطًا» وروى أن الحجر الأسود كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث.

فروع:

إشارة

الأول: السنة في تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلا تصويت ولا تطنين ولا لحس باللسان، ثم إن أمكنه أن يسجد عليه فعل لأنه جائز عندنا وعند الشافعي وأحمد لأن فيه تقبيلا وزيادة سجود لله تعالى، وقال مالك: إن السجود عليه بدعة، ثم ذلك مشروط بعدم الإيذاء والزحام والمدافعة، لأن التقبيل سنة وترك الأذى عن الناس فريضة، فلا يجوز الإتيان بالسنة مع ترك الفريضة، ولأن له خلفا وهو الإشارة.

الثاني: إذا كان الحجر مطيبا فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو بيده أو بأكثرهما لزمه الدم وإلا فصدقة، وهذا عندنا، وعند الشافعي لا يشرع له التقبيل ولا المس.

الثالث: يستحب لمن أكل بصلا أو ثوما أو ما له رائحة كريهة وأراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة، فإن كان به بخر لا يمكن زواله فهو معذور.

الرابع: لو أزيل الحجر من موضعه - والعياذ بالله تعالى - استلم ركنه وقبلة وسجد عليه. كذا نقله القاضي عز الدين بن جماعة الدارمي من الشافعية، واستشكله بعض علمائهم. ووجهه الجحد رحمه الله وقال: إن الخصوصية التي تثبت للحجر من كونه يمين الله في الأرض و يشهد لمن استلمه بحق و تقبيله صلى الله عليه وسلم له غير موجودة في الركن الذي هو فيه. انتهى.

أقول: لم أقف على نقل لأصحابنا في ذلك، وما ذكره الجحد من التوجيه في غاية القبول، وربما يوافق أصولنا لأنه حيث ثبت هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به

دون الركن فلا ينتقل الحكم إلى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر، لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأى لا يجوز. أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية فينبغي الجواز لأنه محل البداءة. فتأمل. انتهى.

فائدتان:

الأولى: قد تقدم في الفرع الأول أن الزحام المفضى إلى الإيذاء عند استلام الحجر ممنوع، وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يزاحم على الحجر حتى يدمى أنفه ولا يترك تقبيله، فالجواب أنه كان مجتهدا وأن مذهبه أفضلية المزاحمة على الحجر وإن أفضت إلى الأذى.

مطلب: أول من استلم الركن من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير

إشارة

الثانية: أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاية بعده فاتبعته، أخرجه الأزرقى.

فصل: في فضل الركن اليماني وذكر شيء مما ورد فيه:

إشارة

روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما مررت بالركن اليماني إلا وعندك ملك ينادي آمين آمين فإذا مررت به فقولوا اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «على الركن اليماني ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وإن على الحجر الأسود ما لا يحصى» أخرجه الأزرقى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وكل بالركن اليماني سبعون ملكا من قال اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين» قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله: ولا تضاد بين الأحاديث على تقدير الصحة إذ يحتمل أن السبعين موكلون به ولم يكلفوا التأمين، وإنما يؤمنون عند سماع الدعاء، والملكان كلفا قول آمين. ورواية ملك محمولة على الجنس. انتهى بمعناه.

وروى الأزرقي عن عطاء قال قيل: يا رسول الله، إنك تكثر من استلام الركن اليماني، قال: ما أتيت عنده قط إلا و جبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه(1).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عند الركن اليماني باب من أبواب الجنة، و الركن الأسود من أبواب الجنة».

وأخرج الأزرقي عن مجاهد أنه قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو إلا استجيب له، وإن بين اليماني و الركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه، هم هنالك منذ خلق الله البيت(2).

وفي «رسالة الحسن البصري» عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبور سبعين نبيا».

وفي «منسك» ابن جماعة «ما بين الركن و المقام و زمزم قبور نحو من ألف نبي».

ونقل عن الشعبي أنه قال: رأيت عجبا: كنا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن عمر و عبد الله ابن الزبير و أخوه مصعب و عبد الملك بن مروان، فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم رجل فليأخذ بالركن اليماني و ليسأل الله تعالى حاجته فإنه يعطى من سعة، ثم قالوا لعبد الله بن الزبير: قم أولا، فإنك أول مولود في الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك و حرمة عرشك و حرمة نبيك صلى الله عليه وسلم أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز و يسلم عليّ بالخلافة، و جاء و جلس.

ثم قام أخوه مصعب فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك رب كل شىء و إليك كل شىء، أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق و تزوجني سكينه بنت الحسين. و جاء و جلس.

ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن و قال: اللهم رب السموات السبع و الأرض ذات النبات بعد الفقر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، و أسألك بحرمة وجهك،

ص: 43

1-17. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 338.

2-18. (2) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 339.

و أسألك بحقك على جميع خلقك و بحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتنى حتى تولينى شرق الأرض و غربها، و لا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء فجلس.

ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال: اللهم يا رحمن يا رحيم، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك، و أسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة.

قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد و قد أعطى ما سأل، و بشر عبد الله بن عمر بالجنة(1).

أقول: لقاتل أن يقول: ما الدليل على وجه البشرى؟ و لم أر أحدا من المؤلفين فى هذا المعنى ذكر شيئا مما يستدل به على ذلك و لا تعرض له فيما وقفت عليه. و يحتمل أن يكون أن يكون فى ذلك وجهان:

الأول: أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان قد كف بصره بعد ذلك و قد وعد النبى صلى الله عليه و سلم من ابتلى بذلك بالجنة كما فى «صحيح البخارى».

الثانى: أن الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل دليل على إجابة دعاء الجميع، إذ هو اللائق بكرم الله و سعة عطائه، و كان سيدنا عبد الله رضى الله عنه من الورع و الزهد و الصلاح بالمكانة التى لا تجهل كما فى مناقبه.

وفى «منهاج التائبين»: من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليمانى ليستلمه خاض فى الرحمة، فإذا استلمه غمرته الرحمة. و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ما بين الركن اليمانى و الحجر الاسود روضة من رياض الجنة».

فرع: استلام الركن اليمانى عندنا حسن و تركه لا يضر. لأنه صلى الله عليه و سلم كان يستلمه مرة و يتركه أخرى و هو الصحيح. كذا نقله الكرمانى من أصحابنا. و عن محمد أنه يستلمه و يقبل يده. و فى رواية عنه أنه يقبله. و عند الشافعى رحمه الله يستلم الركن اليمانى قولا واحدا.

ص: 44

مطلب: فى كىففة استلام الركن اليمانى هل يقبل يده ثم ينقلها إليه أو يضع يده عليه ثم يقبلها؟

لكن اختلف أصحابه فى كىففة استلامه. قال بعضهم: يقبل يده أولاً ثم يضعها على الركن لينقل القبلة إليه. وقال بعضهم: يضع اليد على الركن أولاً ثم يقبلها ليكون ناقلاً بركته إلى يده ونفسه، وهو الأصح عندهم. وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليمانى ولا يقبل يده، وإنما يضعه على فيه. وعند أحمد رحمه الله أنه يستلمه بيده ولا يقبله. وفى تقبيل يده خلاف عند أصحابه، كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة. ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله. وفى الكل ورد النقل عن الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم.

(و أما الركنان الآخران) اللذان يليان الحجر: فمذهب أهل العلم لا يستلمان، كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر و ابنه و معاوية.

فصل: فى فضل الملتزم و الدعاء فيه:

إشارة

إنما سُمى بذلك لأن الناس يلتزمون به و يدعون عنده و هو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء. روى القاضى عياض فى «الشفاء» بقراءته على القاضى الحافظ أبى علىّ رحمه الله، عن أبى العباس العذرىّ عن (أبى) أسامة محمد الهروىّ، عن الحسن بن رشيق، عن أبى الحسن محمد بن الحسن بن راشد، عن أبى بكر محمد بن إدريس، عن الحميدىّ، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ما دعا أحد بشىء فى هذا الملتزم الا استجيب له» قال ابن عباس: و أنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا استجيب لى.

وقال عمرو بن دينار: و أنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لى. وقال سفيان: و أنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار إلا استجيب لى. وقال الحميدى: و أنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لى. وقال محمد بن إدريس: و أنا فما

دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى. وقال أبو الحسن محمد بن الحسن: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لى. قال أبو أسامة: وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا. وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لى فى أمر الدنيا، وأنا أرجو أنت يستجاب لى فى أمر الآخرة. قال العذرى: وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبى أسامة إلا استجيب لى. قال أبو على: وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة فاستجيب لى بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لى بقيتها. انتهى(1).

يقول الحقيير مؤلف هذه الفضائل وجامعها: قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لى بفضل الله وأنا مستمر على الدعاء فى أمور آخر، منها حسن الخاتمة، وأرجو الله إجابة الدعاء بحصولها.

وذكر القاضى عز الدين فى «منسكه» عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: من التزم الكعبة و دعا استجيب له، ثم قال: فيجوز أن يكون على عمومته و يجوز أن يكون محمولا على الملتزم(2). انتهى.

ذكر معرفة الملتزم و المستجار و المتعوذ و المدعى و الحطيم

ذكر معرفة الملتزم و المستجار(3) و المتعوذ و المدعى و الحطيم

أما الملتزم فهو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة(4) كما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه.

و أما المستجار فهو ما بين الركن اليمانى و الباب المسدود فى دبر الكعبة(5) و الدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبى الدنيا.

و أما الحطيم فهو ما بين الحجر الأسود و مقام إبراهيم و زمزم و حجر إسماعيل.

و سمي بذلك لأن الناس كانوا يحطّون هنالك بالأيمان و يستجاب فيها الدعاء للمظلوم على

ص: 46

1-20. (1) الحديث و الأخبار التالية له لدى القاضى عياض فى الشفاء ج 2 ص 60.

2-21. (2) إخبار الكرام للأسدى ص 80.

3-22. (3) تحرف فى المطبوع إلى «المستجاب» و صوابه لدى الأسدى ص 80 و هو ينقل عن ابن ظهيرة.

4-23. (4) الأسدى ص 80.

5-24. (5) الأسدى ص 80.

الظالم، فقل من حلف هنالك كاذبا إلا عجلت له العقوبة و كان ذلك يحجز الناس عن المظالم(1).

وقيل: لأن الشاذروان هو الحطيم، لأن البيت رفع بناؤه وترك هو بالأرض محطوما(2).

والحطيم عندنا: هو الحجر - بكسر الحاء و سكون الجيم - و هو الموضع الذى نصب فيه ميزاب البيت، و إنما سمي بالحطيم لأنه حطم من البيت أى كسر، كذا فى كتبنا.

و أما المتعوذ و المدعى فروى عن ابن عباس أن الملتزم و المتعوذ و المدعى ما بين الحجر الأسود و الباب. و عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أن ما بين الركن الاسود و الباب، هو الملتزم، و ما بين الركن اليمانى و الباب المسدود هو المتعوذ. كأنه جعل الأول موضع رغبة، و الثانى موضع استعاذة.

و عن عمرو بن العاص أنه طاف بالبيت ثم استلم الحجر و قام بين الركن و الباب، فوضع صدره و وجهه و ذراعيه و كفيه و بسطهما بسطا، ثم قال: كذا رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل(3).

مطلب: دعاء آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام

و أخرج الأزرقى فى «تاريخه» أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا حين نزل، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتى و علانيتى فاقبل معذرتى. و تعلم ما فى نفسى و ما عندى فاغفر لى ذنوبى. و تعلم حاجتى فأعطنى سؤلى.

اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى و يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، و الرضا بما قضيت علىّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتنى بدعوات و استجبت لك، و لن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه و غمومه، و كففت عليه ضيعته، و نزعت الفقر من قلبه، و جعلت الغنى بين عينيه، و تجرت له من وراء تجارة كل تاجر، و أتته الدنيا و هى راغمة و إن كان لا يريد، ثم قال: فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى(4).

ص: 47

1-25. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 318.

2-26. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 318.

3-27. (3) الأسدى ص 81 و الخبر لديه بالنص كما هنا.

4-28. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 44، أخبار الكرام ص 81.

قال العلامة عز الدين بن جماعة: ولعله يريد سنة الطواف فى العدد، وإلا فقد ورد أن الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام، فلعله كان بغير عدد أو بغير ذلك العدد أو أراد لبنيه من بعده، والله أعلم. انتهى.

وروى الأزرقى أن ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الأسود فقال له ليس هاهنا الملتزم، إنما هو دبر البيت، فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش.

وذكر أيضا أن عائشة رضى الله عنه أرسلت إلى أصحاب المصاييح فأطفئوها ثم طافت من وراء ستر و حجاب ثلاثة أسابيع، تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو.

مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتى الطواف ثم يأتى بهما

فرع: الأولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتى الطواف ثم يأتى بهما بعد ذلك، كذا فى منسك الكرماني من أصحابنا: وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع. وأما بعده فإنه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتى الملتزم ثم يدعوه فيه بما أراد ثم ينصرف القهقري فيكون آخر عهده الالتزام. والله أعلم.

عدنا إلى المقصود:

ومنها: بقاء بنائه الموجود الآن وثباته ولا يبقى غيره من الأبنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون، وذلك لأن الأرياح والأمطار قلما تواترت على بناء إلا خرب، وهذا البيت الشريف لم تزل الأرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بنى وإلى تاريخه، ولم يقع بحمد الله تغير فى بنائه ولا خلل.

مطلب: ما وقع فى الكعبة من الترميم

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: ولم أقف فى شىء من التواريخ على أن أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئا مما صنعه الحجّاج إلى الآن إلا فى الميزاب والباب وعتبته. وكذا وقع الترميم فى جدارها غير مرة وفى سقفها وسلم سطحها.

ووقع أيضا فى جدارها الشامى ترميم فى شهور سنة سبعين ومائتين، ثم فى شهور سنة

اثنين وأربعين وخمسمائة ثم في شهور سنة تسع عشرة وستمائة ثم في سنة ثمانين وستمائة ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة(1).

ثم قال: وقد ترادفت الأخبار الآن في وقتنا هذا في سنة اثنتين وعشرين أن جهة الميزاب فيها ما يحتاج إلى ترميم، فاهتم لذلك سلطان الإسلام الملك المؤيد. ثم حججت سنة أربع وعشرين وتأمّلت المكان الذي قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة. وقد نقض سقفها في سنة سبع وعشرين على يدى بعض الجند فجدد لها سقفا ورخم السطح. فلما كان في سنة ثلاث وأربعين صار المطر إذا نزل ينزل إلى داخل الكعبة أشد مما كان أولا فأداه رأيه الفاسد إلى أن نقض السقف مرة أخرى، وسدّ ما كان في السطح من الطاقات التي كان يدخل منها الضوء إلى الكعبة(2).

ولزم من ذلك امتهان الكعبة، بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب، فغار بعض المجاورين، فكتب إلى القاهرة يشكو ذلك، فبلغ السلطان الظاهر فأفكر أن يكون أمر بذلك. وجهد بعض الجند لكشف ذلك(3). فتعصب للأول من جاور واجتمع الباقون رغبة ورهبة فكتبوا محضرا بأنه ما فعل شيئا إلا عن ملأ منهم وأن كل ما فعله مصلحة فسكن غيظ السلطان وغطى عليه الأمر.

وقال أيضا: ومما يتعجب منه أنه لم يبق الاحتياج في الكعبة إلى الإصلاح إلا فيما صنعه الحجاج، إما من الجدار الذي بناه في الجهة الشمالية وإما في السلم الذي جدده للسطح والعتبة، وما عدا ذلك مما وقع فإنما هو لزيادة محضنة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب(4).

قال الجد نور الله ضريحه: وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد بعض الجند وأنه جدد لها سقفا سبق قلم، وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم.

انتهى(5).

ص: 49

1- 29. (1) إخبار الكرام ص 90.

2- 30. (2) إخبار الكرام ص 90.

3- 31. (3) إخبار الكرام ص 91.

4- 32. (4) إخبار الكرام ص 92.

5- 33. (5) إخبار الكرام ص 92.

مطلب: عقوبة من أخذ شيئا من مال الكعبة و يسمى بالأبرق

(و منها) أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة و اشتد عليه النزع جدا حتى مكث أياما ينزع نزع شديدا فقال له أبوه: لعلك أصبت من الأبرق شيئا، يعنى مال الكعبة، فقال: أربعمائة دينار، فأشهد أبوه أن عليه للكعبة أربعمائة دينار، فسرى عن الفتى ثم لم يلبث أن مات(1).

مطلب: إذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعا

(و منها) أن مفتاح بابها إذا وضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعا. ذكره الفاكهى، وقال: إن ذلك مجرب(2).

مطلب: دخان البيت يصعد مستويا

(و منها) ما ذكره ابن الحاج أن دخان البيت لا يذهب يمينا ولا شمالا ولا أمام ولا خلف، بل يصعد مستويا إلى السماء. قال الفاسى: و لعل المراد بالدخان دخان ما تجمر به الكعبة(3) و الله أعلم

مطلب: هيئته و تعظيمه فى القلوب

(و منها) هيئته و تعظيمه فى قلوب الناس و كف الجبابرة عنه على مر الدهور و الأعصار و إذعان نفوس العرب لتوفير هذه البقعة بدون ناه و لا زاجر. روى أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على أبى قبيس بالحجارة و النيران و اشتعلت النار فى أستار الكعبة، جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد و يرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة و المطاف، فأطفأت النار و أرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه.

قال عكرمة: و أحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال فقال الحجاج: لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق، فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق و أحرقت معه أربعين رجلا، و ذلك فى سنة ثلاث و سبعين فى أيام عبد الملك بن مروان.

ص: 50

1-34. (1) إخبار الكرام ص 93.

2-35. (2) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 301.

3-36. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 302.

قال الجدي: هذا و الحجاج ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لإخراجه كما أشير إليه قريبا إن شاء الله تعالى.

أقول: و توجيهه أن فعل الحجاج و إن لم يقصد التسلط على البيت فهو مؤذن بجبروته و عدوانه و انتهاكه لحرمة البيت و المسجد و البلد و استباحته للقتال في هذه البقعة الشريفة، فهو جدير بإرسال الصواعق على منجنيقه و رجاله، بل و عليه، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. انتهى.

(و منها) أمن الخائف الثابت ذلك من قديم الدهر و كانت العرب يغير بعضها على بعض و يتخطفون الناس بالقتل و أخذ الأموال و أنواع المظالم إلا في الحرم، و يبنى على هذا أمن الحيوان فيه و سلامة الشجر، و ذلك للبركة و الهيبة و العظمة التي جعلها الله في هذا البيت و ما جاوره و بركة دعوة الخليل صلوات الله عليه في قوله تعالى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا (سورة البقرة: 126) الآية، و العرب تقول في ضرب المثل: آمن من حمام مكة، لأنها لا تهاج و لا تصاد(1).

حكى عن بعض العباد أنه قال: كنت أطوف بالبيت ليلا، فقلت: يا رب، إنك قلت و مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (سورة آل عمران: 97) فمن ماذا هو آمن؟ فسمعت من يكلمني و يقول:

من النار، فنظرت و تأملت فما كان في المكان أحد(2).

مطلب: لا يرى البيت أحد لم يكن رآه قبل إلا ضحك أو بكى

(و منها) ما روى عن الجاحظ أنه قال: لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه قبل ذلك إلا ضحك أو بكى.

مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

(و منها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع و أصحاب الفيل(3). حين قصدوا تخريبه، و عند ذكرهما رأيت أن أسوق خبرهما باختصار:

(أما قصة تبع(4) فذكر القطبي(5) في «الإعلام» أنه كان من الخمسة الذين دانت لهم

ص: 51

1-37. (1) إخبار الكرام ص 94-95.

2-38. (2) إخبار الكرام ص 95.

3-39. (3) إخبار الكرام ص 95.

4-40. (4) انظر قصة تبع: منائح الكرم ج 1 ص 374.

5-41. (5) تحرف في المطبوع إلى: «القرطبي» و صوابه لدى السنجاري في منائح الكرم ج 1 ص 374.

الدنيا بأسرها، و كان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا و أخرجه لينظر فى ملكه، و كان إذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال، و كان معه من العلماء و الحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان و لم يكونوا محسوبين من الجيش. ثم إنه قصد مكة، فلما انتهى إليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم و لم يعظموه، فغضب لذلك و دعا وزيره و شكى إليه فعلهم، فقال: إنهم عرب لا يعرفون شيئا و لهم بيت يقال له الكعبة و هم معجبون به، فنزل الملك بعسكره بيطحاء مكة و عزم على هدم البيت و قتل الرجال و نهب النساء و سبيهم، فأخذ الصداق و تفجر من عينيه و أذنيه و منخرية و فمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من شدة التن.

(فقال لوزيره) اجمع العلماء و الحكماء و الأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده، و عجزوا عن مداواته و قالوا: نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض، و هذا من السماء لا نستطيع له ردا، ثم اشتد أمره و تفرق الناس عنه، فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء لوزيره فقال: إن بينى و بينك سرا، فإن كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجتة، فاستبشر الوزير بذلك و جمع بينه و بين الملك، فلما خلا به قال له العالم: أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا، قال: نعم، فقال له العالم: أيها الملك نيتك أحدثت لك هذا الداء، و رب هذا البيت عالم بالأسرار، بادر و ارجع عما نويت، فقال الملك: قد أخرجت ذلك من قلبى و نويت لهذا البيت و أهله كل خير، فلم يخرج العالم من عنده الا و قد عافاه الله تعالى من علته فأمن بالله من ساعته و خلع على الكعبة سبعة أثواب، و هو أول من كسا الكعبة، كما سأذكره بعد إن شاء الله تعالى.

(ثم خرج) إلى يثرب و ليس بها يومئذ بيت و إنما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم إن العلماء و الحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة و هم أعلمهم و تبايعوا أن لا يخرجوا من يثرب و إن قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن الحكمة التى اقتضت إقامتهم فى هذه البلدة؟

فقالوا: أيها الملك إن ذلك البيت و هذه البقعة يشرفان برجل يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد، و وصفوه ثم قالوا: طوبى لمن أدركه و آمن به، و نحب أن ندركه أو يدركه أولادنا، فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء، و أعطى كل واحد منهم جارية و أعتقها و زوجه بها، و أعطاهم مالا جزيلا.

ثم كتب كتابا و ختمه بخاتم من ذهب و دفعه إلى عالمهم الكبير، الذى أبرأه من علته و أمره أن يدفعه إلى محمد صلى الله عليه و سلم إن أدركه، و إلا يوصى بذلك أولاده ثم أولادهم.

و كان الكتاب أما بعد: فإنى آمنت بك و بكتابك الذى ينزل عليك، و أنا على دينك و سنتك و آمنت بربك و بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان و الإسلام، فإن أدركتك فيها و نعمت، و إلا فاشفع لى و لا تنسى يوم القيامة فإنى من أمتك الأولين، و قد بايعتك قبل مجيئك و أنا على ملتك و ملة إبراهيم أبيك عليه السلام.

ثم نقش عليه لله الأمر من قبل و من بعد، و كتب عنوانه: إلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبى الله و رسوله و خاتم النبيين و رسول رب العالمين صلى الله عليه و سلم من تبع الأول حمير ابن وردع، ثم سار من يثرب إلى بلاد الهند فمات بها، و كان من يوم موته إلى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه و سلم ألف سنة لا تزيد و لا تنقص.

مطلب: آباء الأنصار أولئك الأربعمائة حكيم

و كان الأنصار من أولاد أولئك العلماء و الحكماء (فلما ظهر خبره) صلى الله عليه و سلم بمكة أرسلوا إليه كتاب تبع مع رجل منهم يقال له: أبو ليلى إلى مكة فوجد النبى صلى الله عليه و سلم فى قبيلة بنى سليم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول، قال: نعم، و بقى أبو ليلى متفكرا، ثم دفع الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى على بن أبى طالب فقراه عليه، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم كلام تبع قال: مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة يبشرهم بقدمه صلى الله عليه و سلم.

مطلب: أبو أيوب الذى نزل عنده صلى الله عليه و سلم من ولد العالم الذى شفى به تبع

(فلما هاجر) النبى صلى الله عليه و سلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم و صاروا يتعلقون بزمام ناقته و هو يقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى جاءت إلى دار أبى أيوب الأنصارى، و كان من أولاد العالم الذى شفى تبع برأيه. انتهى بمعناه.

وقيل: بل سبب عزمه على هدم البيت أن جماعة من هذيل ممن يحسد قريشا حسنوا لتبع هدم الكعبة، وأن يبنى بيتا عنده ويصرف حجاب العرب إليه، فلما سار لهذا القصد حصل له ما حصل، فأقلع عن ذلك كما تقدم، وأمر بقتل الهذليين، ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروف بقعيقعان فلذلك سمي به، وقيل لغير ذلك، وكانت خيله بالمكان المعروف بأجباد، فقال: سمي بذلك لهذا، وقيل: لغيره، وكانت مطابخه في الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز، فلذلك سمي الشعب بالمطابخ، وأقام بمكة أياما ينحر كل يوم مدة إقامته مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد ممن في عسكره منها شيئا، بل يردها الناس ثم الطير ثم السباع.

(و أما قصة أصحاب الفيل) إذ قصدوا تخريب البيت فأهلكهم الله تعالى، فروى أن الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم أبرهة الأشرم، بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة و صرفوا حجاج الكعبة إليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا إليها و دخلوها و لطحوها بالعدرة و هربوا.

فبلغ ذلك أبرهة و عزم على هدم الكعبة و تجهز في جيش عظيم، فلما شارف مكة أغار على سرحها فاستاق أموال قريش و أصاب إبلا لعبد المطلب و نزل بعرفة، فخرج إليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة نزل عن سريره ملكه إجلالا له و قال لترجمانه: سله عن حاجته، فسأله، فقال: حاجتي أن يرد عليّ ماتتي بعير أصابها قومه. فقال أبرهة لترجمانه: قل له:

قد كنت أعجبتني حين رأيتك، و لقد زهدت الآن فيك حيث جئت إلى بيت هو دينك و دين آباءك لأهدمه فلم تكلمني فيه و كلمتني في إبل أصبتها، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، و للبيت رب سيمنعه، و في رواية يحميه، فعظم كلامه عنده، و رد عليه إبله.

ثم خرج عبد المطلب و أمر قريشا أن يتفرقوا في الشعاب و رءوس الجبال خوفا عليهم من معرفة الجيش إذا دخل ففعلوا، و أتى عبد المطلب إلى الكعبة و أخذ بحلقها(1). و جعل يقول(2):

ص: 54

1- 42. (1) السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 49.

2- 43. (2) سيرة ابن هشام ج 1 ص 51.

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبيهم و محالهم غدوا محالك

جروا جموع بلادهم و الفيل كى يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم و كعبتنا فأمر ما بدا لك

و معنى محالك أى مكرك، و منه: وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ و قال أيضا:

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت قد عادا كافا منعهم أن يخربوا قراكا

ثم إن أبرهة أصبح متهيئا لدخول مكة و وجهوا الفيل إليها فنكص على عقبيه راجعا و برك، فأدخلوا الحديدة فى أنفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه إلى مكة فوجهوه إلى اليمن و إلى غيره من الجهات فهرول فوجهوه إلى مكة فأبى.

فبينما هم كذلك إذ أرسل عليهم طيرا من جهة البحر أبابيل، أى: جماعات، تجىء شينا بعد شىء، يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرين فى رجليه و حجرا فى منقاره إذا وقع الحجر على رأس أحدهم خرج من دبره فأهلكهم الله جميعا.

و يروى أن كل حجر كان مكتوبا عليه اسم الذى يقع عليه، و بعث الله على أبرهة داء فى جسده فتساقطت أنامله و انصدع صدره قطعتين فهلك.

و اختلف فى مقدار الحجارة، فقليل: كانت كأمثال الحمص، و قيل غير ذلك، و رأى

أهل مكة الطير لما أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب: إن هذا الطير لغريب، ثم بعث ابنه عبد الله أبا النبي صلى الله عليه وسلم على فرس ينظر فرجع وهو يركض، ويقول: هلك القوم جميعا ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا أموالهم.

وروى أنه لم ينج منهم إلا أبو يكسوم فسار راجعا وطائر يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي وأخبره بمصاب القوم فما استتم كلامه حتى رماه الطير فمات. ومن يومئذ احترمت الناس قريشا وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم.

وذكر العلامة ابن بحرق الحضرمي رحمه الله في سيرته النبوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يومئذ حملا وولد بعد الفيل بخمسين ليلة، والله أعلم.

(ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده ما لا يليق، فمن ذلك ما حكى أن رجلا كان في الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذا به فلصق ساعدها، فقال له بعض الصالحين: ارجع إلى المكان الذي فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود بإخلاص وصدق نية ففعل، فخلي عنه وانفصل ساعده.

(ومنها) قضية إساف لما فجر بنائلة في البيت مسخا حجرتين، وهما الصنمان اللذان كانا على زمزم تنحر لهما قريش في الجاهلية وتعبدهما وقالوا لو لا أن الله رضى بهما أن يعبدا معه ما نكسهما. فأنزل الله تعالى وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (سورة آل عمران: 75) ولم يزالا يعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور فيروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: «تلك أيست أن تعبد ببلادكم» وكان إساف و نائلة من جرهم(1).

(ومنها) قصة المرأة التي جاءت إلى البيت تعوذ به من ظالم، فجاء فمد يده إليها فصار أشل(2).

(ومنها) قصة الرجل الذي سألت عيناه على خده من نظرة نظرها إلى شخص في الطواف استحسنته.

ص: 56

1-44. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 307.

2-45. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 307.

و منها: أن البيت الشريف يفتح فيدخله الجرم الغفير من الناس متزاحمين فيسمعهم بقدره الله تعالى، ولم يعلم أن أحدا مات فيه من الزحام إلا ما وقع في سنة إحدى وثمانين و خمسمائة كما نقله المؤرخون، فإنه مات فيه أربعة وثمانون نفرا.

قال العلامة ابن النقاش: و الكعبة تسع ألف إنسان و إذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثير. قال الجد بؤاه الله دار كرامته: فعلى هذا إنها تسع كما ورد أن منى تسع كاتساع الرحم.

(و منها) ما أخرجه الفاكهي في «تاريخ مكة» بسنده إلى عبد الله بن بكر السهمي عن أبيه أنه قال: جاورت بمكة فعابت أسطوانة من أساطين البيت، فأخرجت و أتى بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع و أدركهم الليل، و الكعبة لا تفتح ليلا، فتركوها ليعودوا من غد فيصلحوها، فجاءوا في الغد فأصابوها أقوم من قدح(1).

قال العلامة ابن حجر: و هذا إسناد قوي رجاله ثقات، و بكر هو ابن حبيب من كبار التابعين. و كانت هذه القصة في أوائل دولة بني العباس، و الأسطوانة من خشب و الله أعلم.

و عابت فيما رواه الفاكهي بالعين المهملة و الموحدة- و قدح- بكسر القاف و بالحاء المهملة هو السهم.

(و منها) كما نقل عن الجاحظ أن الفرقة من الطير من حمام و غيره تقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة انفرت فرقتين فلم يعمل ظهره شيء منها(2).

و نقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة و مكى رحمهما الله، أن ما عوين من ارتفاع الطبر على البيت فللاستشفاء. و أنشدوا في معنى ذلك:

و الطير لا يعلو على أركانها إلا إذا أضحي بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله: و القول بأن الطير لا يعلو ضعيف، فإنه يعاين يعلوه، و قد علت العقاب التي أخذت الحية المشرفة على جداره، و تلك كانت من آياته. انتهى(3).

ص: 57

1- 46. (1) إخبار الكرام ص 97.

2- 47. (2) كتاب الحيوان للجاحظ ج 3 ص 193.

3- 48. (3) إخبار الكرام ص 98.

قال الزركشى: وليس فى هذا ما ينافى كلام مكى، انتهى، قال الجد رحمه الله:

قلت: و توجيه عدم منافاته أن ما عوين من ذلك قد يكون للاستشفاء، و أما العقاب فلأخذ الحية المذكورة، ثم قال أيضا: و المعروف عند أهل مكة المشرفة قبل وقتنا هذا ما قاله مكى و ابن جماعة و غيرهما. و أما فى وقتنا هذا فما قاله ابن عطية فإن الطيور الآن تعلوه كثيرا و يتكرر منها ذلك فى الساعة الواحدة، و هذا مشاهد لا ينكر، و لعل حدوث ذلك بسبب ما وقع من نقض السقف و التغيرات الواقعة و الله أعلم. انتهى بنصه (1).

أقول: و توجيه قول الجد رحمه الله ظاهر، إذ يحتمل أنه كان فى السقف المنقوض و فيما غير منه شىء من الإرصاء يمنع من ذلك، فزال عند النقض و التغيير، و الله الموفق.

انتهى (2).

(و منها) ما وقع عن التوربشتى فى «شرح المصاييح» أنه قال: و لقد شاهدت من كرامة البيت أيام مجاورتى بمكة أن الطير كان لا يمر فوقه، و كنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور فى ذلك الجو فأجدها مجتنبية عن محاذاة البيت، و ربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارا ثم ارتفعت.

ثم قال أيضا: و من آيات الله البينة فى كرامة البيت أن حمامات الحرم إذا نهضت للطيران طافت حوله مرارا من غير أن تعلوه فإذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التى حول الكعبة من المسجد و لا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفره، و قد كنا نرى الحمامة إذا مرضت و تساقط ريشها و تناثر ترتفع من الأرض حتى إذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من الأركان فتبقى به زمانا طويلا كهينة المتخضع لا حراك فيها ثم تنصرف بعد حين من غير أن تعلو شيئا من سقف البيت.

(و منها) أن المطر إذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب فى جميع جهات الأرض، فإن كان المطر من جانب، أخصب من الأرض ما يازاته من الجهة (3).

ص: 58

1- 49. (1) إخبار الكرام ص 99.

2- 50. (2) إخبار الكرام ص 99.

3- 51. (3) إخبار الكرام ص 100.

(و منها) أن الله تعالى يلحظه في كل عام لحظة في ليلة النصف من شعبان.

(و منها) أن خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ما في خزانة الكعبة من الحلبي، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله تعالى أعلاه أسفله و سقط منكسا فهلك و فر الأربعة(1).

و بعث الله تعالى حية سوداء الرأس و الذنب، و باقيها أبيض. فحرس البيت خمسمائة سنة، و هي التي اختطفها العقاب، كما تقدم. و يروى أن هذه الحية هي الدابة التي تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس. كذا نقله ابن جماعة(2).

(و منها) ما روى عن ابن عباس أن رجلا قرشيا قتل هاشميا في الجاهلية و أنكر قتله.

فقال له أبو طالب: اختر إحدى ثلاث: إما أن تؤدى مائة من الابل، و إما أن يحلف خمسون رجلا من عشيرتك أنك لم تقتله، و إلا قتلناك. فاختر عشيرته الحلف. فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء، و أطلق آخر بشفاعة أمه فيه، و حلف ثمانية و أربعون عند البيت. قال ابن عباس: فوالذي نفسى بيده ما جاء الحول و منهم عين تطرف. و قال إن ذلك أول قسامة في الجاهلية(3).

(و منها) أيضا أن خمسين رجلا من بنى عامر بن عامر بن لؤى حلفوا في الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا. ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة، فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم. فخرجوا من تحتها يسعون، فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلا فقتلته(4).

(و منها) ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال: يا أمير المؤمنين، كنا بنى الضبعاء عشرة، و كان لنا ابن عم فظلمناه، فكان يذكرنا بالله و الرحم أن نكف عنه، و كنا أهل جاهلية نرتكب كل الأمور، فلما رأنا لا نرد ظلامته أمهل(5) حتى إذا دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه و يقول:

ص: 59

1- 52. (1) إخبار الكرام ص 100.

2- 53. (2) إخبار الكرام ص 101.

3- 54. (3) إخبار الكرام ص 101.

4- 55. (4) إخبار الكرام ص 102.

5- 56. (5) تحرف في المطبوع إلى: «انسهل» و المثبت رواية الأسدي و هو ينقل عن المصنف.

لا هم أدعوك دعاء جاهدا اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا أعمى إذا ما قيد عني (1) القائدا

فمات إخوة لى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد و بقيت أنا فعميت و ليس يلائمنى قائد (2).

(و منها) ما روى عن حويطب بن عبد العزى أنه قال: كان فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه أحد، فجاء خائف فأدخل يده فى حلقة منها فاجتذبه (3) رجل فشلت يده، فلقد رأيتة فى الإسلام و إنه لأشلى (4).

فائدة: روى ابن عباس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم ثم قال: إن الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا و لا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت تعجل لأولئك فما ترون ذلك؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين.

قال إن الله عز وجل جعل فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمة عظمها و شرفها و عجل العقوبة لمن استحل شيئا منها لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم توعدهم، فلما انتهكوا ما حرم الله و عدهم بالساعة، فقال: وَ السَّاعَةُ أَذْهَى وَ أَمْرٌ فَأَخَّرَ الْعِقَابَ إِلَى الْقِيَامَةِ.

(و منها) ما يروى أن عبد الله بن عمر بن العاص كان جالسا فى جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار و قلصت الأفياء و إذا هم ببريق آيم داخل من جهة باب بنى شيبه، فأشربت أعينهم إليه و ابتدروه بأبصارهم فجاء حتى استلم الركن و طاف بالبيت سبعا و هم يحصونه ثم ذهب إلى دبر المقام فركع ركعتين و هم ينظرون إليه، فقال عبد الله ابن عمرو لبعض الجماعة: اذهب إلى هذا فحذره فإنى أخاف عليه أن يقتل أو يعذب به

ص: 60

1-57. (1) فى المطبوع: «يعبى» و المثبت رواية الأزرقى.

2-58. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 26.

3-59. (3) فى المطبوع: «فاجتذبه» و المثبت رواية الأزرقى.

4-60. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 24.

فذهب إليه حتى وقف على رأسه و حذره فأصغى إليه برأسه حتى استنفذ كلامه ثم ذهب في السماء حتى غاب فما يرى. و الأيم: هي الحية الذكر، و بريقه: لمعانه(1).

(و منها) ما روى أن طيرين أقبلا في الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلا أو بريدا حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة و كانت قريش تطعمهما و تسقيهما فإذا خف الطواف من الناس نزلا فدفا حول الكعبة حتى إذا اجتمع الناس طارا فوقعوا على الكعبة فمكشا كذلك شهرا أو نحوه ثم ذهبا. و معنى دفا: سارا. و سيأتي في فضائل الكعبة يدفون إليك دفيف النصور. قال في «الصحاح»: الدفيف: الدبيب و هو السير اللين.

و منها: ما أخرجه الأزرقى في «تاريخه» أن طائرا أقبل من ناحية أحياد الصغير لونه لون الحبرة بريشة حمراء و ريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر، و كان ذلك في يوم السبت السابع و العشرين من ذى القعدة سنة ست و عشرين و مائتين عند طلوع الشمس و الناس إذ ذاك في الطواف كثير من الحاج و غيرهم فوقع في المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم مقابل(2) الركن الاسود ساعة طويلة، ثم طار حتى صدم الكعبة في نحو من وسطها ما بين الركن الأسود و اليماني و هو إلى الركن الاسود أقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحجاج من أهل خراسان في الطواف عند الحجر الأسود، فطاف الرجل أسابيع و عيناه تدمعان على خديه و لحيته و الطائر على منكبه الأيمن و الناس يدنون منه و ينظرون إليه و يتعجبون منه و هو [ساكن] غير مستوحش(3) [منهم] ثم طار حتى وقع يمين المقام ساعة طويلة يمد عنقه و يقبضه إلى جناحه فأقبل فتى من الحجبة فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح أشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير، ففزع منه فأرسله فطار حتى وقع بين يدي دار الندوة، ثم خرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة و دار العجلة نحو قعيقعان(4).

(و منها) ما رواه أبو الطفيل قال: كانت امرأة من الجن تسكن ذا طوى في الجاهلية، و كان لها ابن ليس لها غيره، و كانت تحبه حبًا شديدا و كان شريفًا في قومه فتزوج. فلما كان

ص: 61

1- 61. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 17.

2- 62. (2) في المطبوع: «فقابل» و المثبت رواية الأزرقى الذي ينقل عنه المؤلف.

3- 63. (3) في المطبوع: «متوحش» و المثبت رواية الأزرقى الذي ينقل عنه المصنف.

4- 64. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 17 و ما بين حاصرتين منه.

يوم سابعه. قال لأمه: إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعا نهارا. فقالت: أراني إني أخاف سفهاء قريش فقال: أرجو السلامة. فأذنت له فولى في صورة جان فلما أدبر جعلت تعوده تقول:

* أعيدك بالكعبة المستوره** ودعوات ابن أبي محذوره*

* وما تلا محمد من سوره** إني إلى حياته(1) فقيره*

* وإني بعيشه مسروره(2)*

ثم مضى فطاف سبعا وصلى خاف المقام ركعتين، ثم أقبل راجعا حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال. فقال أبو الطفيل: وبلغنا أن الغبرة إنما تثور كذلك عند موت عظيم من الجان. قال: فأصبح كثير من بني سهم موتى على فرشهم من قبل الجان، فنهضت بنو سهم و حلفاؤها و موابيها و عبيدها فركبوا الجبال و الشعاب بالثنية فما تركوا حية و لا عقربا و لا شيئا من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه، و أقاموا على ذلك ثلاثا، فسمعوا في الليلة الثالثة هاتفا على أبي قيس يهتف بصوت جهورى يسمعه من بين الجبلين: يا معشر قريش الله الله، فإن لكم أحلاما و عقولا، اعذرونا من بني سهم، قد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم، ادخلوا بيننا و بينهم بصلح، نعطيهم و يعطونا العهد و الميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا. ففعلت قريش ذلك و استوثق البعض من البعض، فسميت بنو سهم الغياطة(3) قتلة الجن لذلك(4).

(و منها) أن الله تبارك و تعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف، فإن

ص: 62

1- 65. (1) فى المطبوع: «خبوته» و المثبت رواية الأزرقى و الأسدى.

2- 66. (2) من قوله: «أعيدك» إلى «مسروره» ورد نثرا فى المطبوع، و مثله لدى الأزرقى ج 2 ص 16، و ورد شعرا فى المخطوط و كذا لدى الأسدى فى إخبار الكرام ص 107، و قد آثرت رواية المخطوط و الأسدى و الشعر هنا من الرجز.

3- 67. (3) فى المطبوع: «العباطلة» و هو تحريف صوابه لدى الأزرقى و سموا بالغياطلة لأن أهمهم الغيطة.

4- 68. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 15 ..

تقصوا أكملهم بالملائكة. وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجبها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة، وأن الملك إذا نزل إلى الأرض في بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر، ثم يطوف بالبيت سبعا ويركع ركعتين، ثم يمضى لما أمر بعد.

و عن عمر رضى الله عنه أنه قال: من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجح كيوم ولدته أمه. و معنى لا ينهزه لا يحمله على ذلك.

(و منها) أن هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ما خلا عن طائف يطوف به من أنس أو جن أو غير ذلك(1).

قال بعض السلف: خرجت يوما في هاجرة ذات سموم، و قلت: إن خلا البيت عن طائف ففى هذا الحين. فرأيت المطاف خاليا، فدنوت فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها و هى تطوف حوله(2).

(و منها) ما يروى أن الكعبة شكت إلى الله تعالى ما نصب حولها من الأصنام و ما يستقسم به من الأزلام، فأوحى الله إليها أنى منزل نورا و خالق بشرا يحنون إليك حنين الحمام إلى بيضه، و يدفون إليك دفيق النسور.

و يحكى عن بعض السلف أنه دخل الحجر فى الليل، و صلى تحت الميزاب، فسمع و هو ساجد كلاما بين أستار الكعبة و الحجارة، و هو: أشكو إلى الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولى من إساءتهم، قال: فأولت أن البيت شكاً(3).

(و منها) ما ذكر أن يوم قتل عبد الله بن الزبير بمكة اشتد الحرب و اشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها(4).

(و منها) أن من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار و لم تؤثر فيه(5).

روى القاضى عياض فى «الشفاء» عن بعض شيوخ المغرب أن قوما أتوه فأعلموه أن

ص: 63

1- 69. (1) إخبار الكرام ص 109.

2- 70. (2) إخبار الكرام ص 110.

3- 71. (3) إخبار الكرام ص 112.

4- 72. (4) إخبار الكرام ص 110.

5- 73. (5) إخبار الكرام ص 110.

كتامة- وهى قبيلة من البربر- قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن، فقال لهم: لعله حج ثلاث حججات. فقالوا: نعم. فقال: حدثت أن من حج حجة أدى فرضه، و من حج ثانية دأين ربه، و من حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار(1).

(و منها) ما يروى عن الأوزاعى أنه قال: رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول:

يا رب إني فقير كما ترى وصييتى قد عروا كما ترى

و ناقتى قد عجفت كما ترى و بردتى قد بليت كما ترى

فما ترى فيما ترى يا من يرى و لا يرى

فإذا بصوت من خلفه يا عاصم يا عاصم، الحق عمك قد هلك بالطائف و خلف ألف نعجة و ثلاثمائة ناقه و أربعمائة دينار و أربعة أعبد و ثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها فليس له وارث غيرك. قال الأوزاعى: فقلت له: يا عاصم إنك دعوت قريبا، فقال: يا هذا أما سمعت قوله: وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (سورة البقرة: 186). (2)

الجامع اللطيف؛ ص 65

و منها) ما روى عن على بن الموفق أنه قال: طفت بالبيت ليلة و صليت ركعتين بالحجر، و استندت إلى جداره أبكى و أقول: كم أحضر هذا البيت الشريف، و لا أزداد فى نفسى خيرا!! فبينما أنا بين النائم و اليقظان إذ هتف بى هاتف، و هو يقول: يا على، سمعنا مقاتلك أو تدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه؟! (3).

(و منها) ما ذكر عن أبى بن خلف و عبید الله بن عثمان أنهما كانا فى الحجر فى شهر رجب فلم يشعرا إلا بحية قد أقبلت حتى مرت بهما، فدخلت تحت أستار الكعبة، و سمعا كلاما من حيث دخلت يقول: يا معشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم، كفوا سفهاءكم فإنكم فى بلد عظيم حرمة (4).

ص: 64

1-74. (1) الشفاء للقاضى عياض ج 2 ص 59.

2-75. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

3-76. (2) إخبار الكرام ص 111.

4-77. (3) إخبار الكرام ص 112.

(و منها) أن امرأة عابدة جاءت حاجة، فلما دخلت مكة جعلت تقول: أين بيت ربي؟

و تكرر ذلك، فقيل لها: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه تسعى حتى ألصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه إلا ميتة.

(و منها) أن الشبلي رضى الله عنه لما وصل إلى مكة و نظر إلى البيت عظم قدر ما ناله و أنشد طربا:

أبطحان مكة هذا الذى أراه عيانا و هذا أنا

ثم لم يزل يكررها حتى غشى عليه (1).

(و منها) أن أبا الفضل الجوهري لما دخل الحرم و رأى الكعبة علاه حال فقال- و قد دخله الطرب- هذه ديار المحبوب فأين المحبوب؟ و هذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون، و هذه ساعة الاطلاع على الدموع، فأين البكاءون؟ ثم شهق شهقة و أنشد:

هذه دارهم و أنت محب ما بقاء الدموع فى الآماق

ثم بادر إلى البيت باكيا و هو ينادى: لبيك اللهم لبيك (2).

و هذا بعض ما ذكر من فضائل هذا البيت، و هذه الأوراق لا تسع أكثر من ذلك و فيما ذكر مقنع، و الله تعالى أعلم.

ص: 65

1- 78. (1) إخبار الكرام ص 113.

2- 79. (2) إخبار الكرام ص 113.

الباب الثالث فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وكم مرة بنيت وما ورد في ذلك من الأقوال و الروايات و الاختلاف و بيان أسباب البناء و هأنا أذكره مبينا مفصلا مع التنبيه على أشهر الأقوال

إشارة

(اعلم) أن الكعبة زادها الله تعالى شرفا بنيت مرات. قال في «منهاج التائبين»: بنيت الكعبة خمس مرات: إحداها: بناء الملائكة، وقيل آدم. الثانية: بناء الخليل عليه السلام، الثالثة: بناء قريش في الجاهلية. الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه، الخامسة: بناء الحجاج، وقد قيل: إنها بنيت مرتين آخرين: الأولى: بناء العمالق بعد إبراهيم عليه السلام، و الثانية: بناء جرهم بعد العمالق، ثم بنته قريش، و الله أعلم. انتهى.

و في «شفاء الغرام» للقاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله أنها بنيت عشر مرات:

(الأولى) الملائكة عليهم السلام. ثم آدم صلوات الله عليه. ثم أولاده. ثم الخليل عليه الصلاة و السلام. ثم العمالق. ثم جرهم. ثم قصي بن كلاب. ثم قريش. ثم عبد الله بن الزبير رضى الله عنه. ثم الحجاج بن يوسف الثقفي. قال القاضي تقي الدين المشار إليه: وإطلاق العبارة بأنه- أى الحجاج- بنى الكعبة تجوز، لأنه لم يبين إلا- بعضها، كما سيأتى بيانه، و لو لا أن السهيلي و النووي ذكراه لما ذكرته. انتهى(1).

و في «الروض الأنف» للسهيلي، أن أول من بنى الكعبة شيث بن آدم عليهما السلام.

و ذكر في موضع آخر أن الملائكة هي التي أسست الكعبة(2).

و ذكر القاضي تقي الدين أيضا: أنه وجد بخط عبد الله المرجاني أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم بنى الكعبة بعد قصي و قبل بناء قريش، ثم قال: و لا أعلم له في ذلك سلفا و لا خلفا، و الله أعلم(3).

ص: 66

1- 80. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 147.

2- 81. (2) الروض الأنف ج 1 ص 336 و 340.

3- 82. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 147.

و اختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة. و ذكر الأزرقى رحمه الله ما يشهد للقولين (1).

فى «منسك» الجء نور الله ضريحه: بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات: الأولى: بناء الملائكة، الثانية: بناء آدم عليه السلام، الثالثة: بناء إبراهيم عليه السلام، الرابعة: بناء قريش فى الجاهلية. الخامسة: بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه و بناه. قال الجء رحمه الله:

و هذا هو المشهور المعروف.

و أخرج الفاكهى عن على كرم الله وجهه أن أول من بنى البيت الخليل عليه السلام و جزم به ابن كثير فى «تفسيره» و قال لم يجرى خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبله.

و قال فى «تاريخه» عند قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ (سورة آل عمران: 96) الآية.** يذكر تعالى عن عبده و خليله أنه بنى البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه، و بوأه مكانه، أى أرشده إليه و دله عليه. و عن على و غيره أنه أرشده إليه بوحي من الله و لم يجرى خبر صحيح عن معصوم. و ذكر ما تقدم، ثم قال: و من تمسك فى هذا بقوله تعالى **مَكَانَ الْبَيْتِ (سورة الحج: 26)** فليس بناهض و لا ظاهر، لأن المراد مكانه الكائن فى علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لءن آدم إلى زمن إبراهيم.

و قد ذكر أن آدم نصب عليه قبة، و أن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت، و أن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك. و كل هذه أخبار عن بنى إسرائيل و هى لا تصدق و لا تكذب فلا يحتج بها (2). انتهى.

أقول: فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات، الأولى: الخليل عليه السلام، الثانية:

بناء قريش، الثالثة: بناء ابن الزبير و الحجاج، لأن بناء الخليل ثابت بنص الكتاب، و بناء قريش ثابت فى «صحيح البخارى» و غيره، و بناء ابن الزبير و الحجاج ذكره عامة المفسرين و أهل التواريخ و غيرهم من العلماء.

و يحتمل أن يقال أيضا أن الكعبة بنيت أربع مرات: الأولى: بناء الملائكة و آدم معا فى آن واحد، و يشهد له ما سيأتى قريبا عن ابن عباس عند ذكر السبب فى بناء آدم عليه السلام

ص: 67

1-83. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 32.

2-84. (2) تاريخ ابن كثير ج 1 ص 181 و 182.

كما ستقف عليه، و هو مجرد تأسيس، الثانية: بناء الخليل. الثالثة: بناء قريش. الرابعة: بناء ابن الزبير و الحجاج، ويكون البناء الأول و الرابع مشتركا. ثم القول بأن ذلك فى آئين فهو تأسيس أيضا كما ذكره الفاسى فى «شفاء الغرام» لا بناء مرتفع كغيره من الأبنية الآتى وصفها، لأنه حينئذ يحتاج إلى معرفة السبب فى نقض بناء الملائكة على تقدير أوليته حتى بناه آدم، و فى نقض بناء آدم أن لو كان أولا حتى بنته الملائكة، كما ستعلمه عند ذكر أسباب الأبنية الآتية إن شاء الله تعالى.

و لم أر أحدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه و لا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة و آدم فى السماء كم هو؟ فيحتمل أنه كان مرتفعا و حفظ من الهدم و التغير إلى أن بنى عليه آدم أو الملائكة على الخلاف أيهما كان أولا، أو أنه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانيا على ما وجد من الأساس، أو لم يكن هناك ارتفاع أصلا بل مجرد تأسيس فبنى عليه، و يحتمل غير ذلك و الله أعلم بحقائق الأمور. انتهى.

وقد آن الشروع فى ذكر الأسباب المشار إليها:

أما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة و السلام: فروى عن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه قال: لما قال الله للملائكة: إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (سورة البقرة: 30) قالت: أى رب، خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها و يسفك الدماء، فغضب عليهم، فلاذوا بالعرش و رفعوا رءوسهم و أشاروا بالأصابع يتضرعون و يبكون إشفاقا لغضبه، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، و فى رواية سبعة أطواف يسترضون ربهم، فرضى عنهم و قال لهم: ابنوا لى فى الأرض بيتا، يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقى، فيطوف حوله كما فعلتم بعرشى، فأغفر له كما غفرت لكم، فبنوا البيت الحرام (1).

قال العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله: قول الملائكة عليهم السلام: أَتَجْعَلُ فِيهَا (سورة البقرة: 30) الآية سؤال على وجه الاستكشاف و الاستعلام على وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض و التنقص لبني آدم و الحسد لهم. كما توهمه بعض جهلة المفسرين (2).

ص: 68

1-85. (1) إخبار الكرام ص 117.

2-86. (2) البداية و النهاية ج 1 ص 79.

وفى «الروض الأنف» للسهيلي: لما قالت الملائكة أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا (سورة البقرة: 30) خافت أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه، فطافوا بالعرش سبعا.

وذكر ما تقدم عن على بن الحسين رضى الله عنه(1).

كذا حكاه الجد نور الله ضريحه و جعل الرحمة غبوقه و صبوحه فى «منسكه». ثم قال بعد ذلك: ظاهر قول السهيلي: خافت أن يكون الله عاتبا عليهم، أنه لم يقع من الله غضب عليهم و هو الموافق للحكم بعصمتهم، وقوله تعالى: لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (سورة التحريم: 6) و ما تقدم عن على بن الحسين يخالف ذلك. وقوله: لاعتراضهم فى علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من أن ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض، اللهم إلا أن يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة. انتهى.

وفى بعض الروايات أن الله تعالى بعث ملائكة فقال: لهم ابنوا بيتا على مثال البيت المعمور و قدره ففعلوا، و أمر الله تعالى أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور، و أن هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام و قبل خلق الأرض بألفى عام، و أن الأرض دحيت من تحته(2).

فصل: فى الكلام على البيت المعمور و شىء من خبره على سبيل الاستطراد

إشارة

روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «هذا البيت» يعنى الكعبة المشرفة «خامس عشر بيتا، سبعة منها فى السماء إلى العرش، و سبعة منها إلى تخوم الأرض [السفلى] و أعلاها الذى يلي العرش. البيت المعمور، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، و لكل بيت من أهل السماء و من أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت». أخرج الأزرقي(3).

ص: 69

1- 87. (1) الروض الأنف ج 1 ص 340.

2- 88. (2) إخبار الكرام ص 118.

3- 89. (3) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 35 و ما بين حاصرتين منه.

مطلب فى كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها

بحث: فإن قيل: فى قوله صلى الله عليه وسلم: ولكل بيت ... إلخ، إشارة إلى تسمية كل بيت منها بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك، فأيتها البيت المعمور المراد؟ فالجواب من وجوه: الأول: أن البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم ولزمه وصار علما عليه عند الإطلاق، والثانى: أنه تميز بكونه فى السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريبا، فيكون هو المراد دون غيره. الثالث: أنه يسمى بالضراح دون بقية البيوت الأخرى. والله الموفق.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام، لو سقط سقط عليه، يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط(1).

والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء فألف فحاء مهملة، وقيل بالصاد المهملة.

والمشهور الأول، وعند مجاهد: البيت المعمور هو الضريح يعنى بالضاد المعجمة والضريح لغة: البعيد.

الخلاف فى البيت المعمور و فى مكة

و اختلف فى البيت المعمور وفى مقره فقيل: إنه البيت الذى بناه آدم أول ما نزل إلى الأرض، كما سأذكره قريبا، ثم رفع إلى السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لأنه ضرح عن الأرض إلى السماء بمعنى أبعد.

وقيل: إن البيت بمكة معمور بمن يطوف به، وهذا منسوب إلى ابن عباس والحسن.

وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول: واحبذا بيت ربى ما أحسنه وأجمله، هذا والله البيت المعمور، و ظاهر هذين القولين يناهى ما تقدم.

وأما مقره فللأزرقى ثلاث روايات: الأولى: أنه فى السماء السابعة، الثانية: أنه فى السادسة، الثالثة: أنه فوق السموات السبع تحت العرش.

ص: 70

وفى رواية لغير الأزرقى أنه فى السماء الرابعة.

أقول: الرواية الأولى هى المشهورة الصحيحة الموافقة لما رواه مسلم فى «صحيحه» من حديث ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه من كونه صلى الله عليه وسلم اجتمع بإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة ورآه مسندا ظهره إلى البيت المعمور. وهذا الحديث أولى بالاعتماد عليه دون غيره.

قال القاضى عياض رحمه الله فى «الشفاء»: جود ثابت هذا الحديث ما شاء ولم يأت عنه أحد بأصوب من هذا. وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطاً كثيراً لا سيما شريك ابن أبى نمر. انتهى(1).

و أما سبب بناء آدم صلوات الله عليه: فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى لما أهبط آدم كان رأسه فى السماء، ورجلاه فى الأرض وهو مثل الفلك من رعدته، فطأ الله عز وجل منه إلى ستين ذراعاً. فقال: يا رب، ما لى لا أسمع صوت الملائكة؟ فقال له:

خطيبتك يا آدم. ولكن اذهب فابن لى بيتاً واذكرنى حوله كنعو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى، فأقبل آدم يتخطى، فطويت له الأرض، ولم يقع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمراناً وبركة حتى انتهى إلى مكة. فبنى البيت الحرام بعد أن ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت فى الأرض السفلى. فقذفت فيه الملائكة الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً. قال ابن عباس رضى الله عنه: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاق به آدم عليه السلام، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت(2).

أقول: هذا ما يشهد لبناء الملائكة و آدم فى آن واحد كما سبقت الإشارة إليه. انتهى.

مطلب الأجل التى بنيت منها الكعبة خمسة

ويروى أن بناءه من خمسة أجيل: لبنان، و طور زيتا، و طور سيناء، و الجودى، و حراء، حتى استوى مع وجه الأرض، أى لم يرتفع عن وجه الأرض، كما قدمته.

وسياتى بيان موضع هذا الجبال عند ذكر بناء الخليل إن شاء الله تعالى.

ص: 71

1- 91. (1) الشفاء للقاضى عياض ج 1 ص 116.

2- 92. (2) إخبار الكرام ص 119.

و الفلك فيما تقدم- بضم الفاء: هو السفينة. و وجه التشبيه أن آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة فى البحر حال هبوب الرياح.

وفى بعض الروايات أن آدم عليه السلام لما أهبط بأرض الهند اشتد بكأؤه و حزنه فتأب الله عليه و أمره بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة و وضعها له موضع البيت، و كانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة فناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلهب من نور الجنة(1).

و عن قتادة، أن آدم عليه السلام أهبط و معه بيت فكان يطوف به و المؤمنون من ولده كذلك إلى زمن الغرق، ثم رفعه الله عز و جل فصار فى السماء و هو الذى يدعى البيت المعمور. ذكره الحلیمی فى «منهاجه» ثم قال: يجوز أن يكون معنى قول قتادة من أنه أهبط مع آدم بيت أى مقدار البيت المعمور طولاً و عرضاً و سمكا ثم قيل له: ابن بقدره و حياله فكان حياله موضع بالكعبة فبناها فيه. و أما الخيمة فقد يجوز أن يكون أنزلت و ضربت فى موضع بالكعبة، فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت فتنفق هذه الأخبار. كذا فى «منسك» الجرد رحمه الله تعالى.

و أما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه: فروى عن مجاهد رضى الله عنه أن موضع البيت كان قد خفى و درس من الغرق أيام الطوفان، فصار موضعه أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هناك و لا يثبتونه. و كان المظلوم يأتيه من أقطار الأرض و يدعو عنده المكروب، فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له(2).

و عن ابن عمر: كانت الأنبياء يحجونه و لا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لخليله و أعلمه مكانه(3).

مطلب الخلاف فى هود و صالح هل حجا أم لا

و روى أن هوداً و صالحاً و من آمن بهما حجوا البيت و هو كذلك. و نقل العلامة السيوطى فى بعض كتبه أن جميع الأنبياء حجوا البيت إلا هوداً و صالحاً فرنهما كانا تشاغلا بأمر قومهما فماتا و لم يحجا.

ص: 72

1-93. (1) إخبار الكرام ص 120.

2-94. (2) إخبار الكرام ص 121.

3-95. (3) إخبار الكرام ص 122.

وأن آدم لما حج حلق جبريل رأسه بياقوته من الجنة فلما بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وأمره بينائه بقوله تعالى: **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** (سورة الحج: 26) وقوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ** (سورة البقرة: 127) الآيتين، أقبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة، وسن إسماعيل ست وثلاثون سنة. وأرسل الله معه السكينة والصرد والملك دليلاً حتى تبوأ البيت الحرام، فقال لابنه إسماعيل عليه السلام: **إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا**، فقال له إسماعيل: **وَأَيْنَ هُوَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مَرْتَفَعَةٍ عَلَيْهَا رِضْرَاضٌ مِنْ حِصْبَاءٍ فَمَا مَا يَحْفِرَانِ عَنْ الْقَوَاعِدِ وَيَقُولَانِ: رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْكَ إِنَّا نَتَّ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (سورة البقرة: 127) ويحمل إسماعيل الحجارة على رقبته وإبراهيم يبني، فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الأحجار، قرب له إسماعيل المقام فكان يقوم عليه (1). وقد تقدم الكلام عليه مستوفى.

والصرد- بضم الصاد وفتح الراء المهملتين- طائر ضخم الرأس فوق العصفور يصيد العصافير. وقيل: إنه أول طائر صام لله. والسكينة: لها رأس كراس الهرة وجناحان. وفي رواية كأنها غمامة أو ضبابة تعشى الأرض كالدخان في وسطها كهيئة الرأس يتكلم، وكانت بمقدار البيت، فلما انتهى الخليل صلوات الله عليه إلى مكة وقفت في موضع البيت ونادت يا إبراهيم، ابن علي مقدار ظلي لا تزيد ولا تنقص.

وفي رواية أنها تطوقت بالأساس الأول كأنها حية.

وفي أخرى أنها لم تزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامه انكشف.

قال السهيلي في «روضه»: **و السكينة من شأن الصلاة. قال صلى الله عليه وسلم: «وأؤها وعليكم السكينة» انتهى. فجعله علما على قبلتها حكمة من الله تعالى (2).**

ص: 73

1- 96. (1) إخبار الكرام ص 122.

2- 97. (2) الروض الأنف ج 1 ص 341.

و روى أن السكينة قالت لإبراهيم: رضى على البيت، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا أعرابى نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة(1).
كذا فى «منسك» الجد رحمه الله.

و ذكر أن الخليل لما حفر القواعد أبرز عن رابض كأمثال خلف الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلا. و كان يبنى كل يوم سافا(2) و هو المدماك(3) فى عرفنا الآن(4).

قال ابن عباس رضى الله عنه: أما و الله، ما بنياه بقصة و لا مدر. و لا كان معهم ما يسقفانه و لكنهما أعلماه و طافا(5) به.

و فى رواية: رضماه رضما فوق القامة و لم يسقفاه. و الرضم: أن ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط(6).

و القصة بفتح القاف هى النورة أو شبيها.

قال السهيلي: بناه الخليل من خمسة أجيل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، و هى:

طور سيناء، و طور زيتا، اللذان بالشام. و الجودى، و هو بالجزيرة، و لبنان و حراء و هما بالحرم، ثم قال: و انتبه لحكمة الله كيف جعل بناءه من خمسة أجيل فشاكل ذلك معناها، إذ هى قبلة للصلوات الخمس و عمود الإسلام، و قد بنى على خمس. انتهى(7).

قال الجد رحمه الله تعالى: و فى كون لبنان بالحرم نظر، إذ لا يعرف ذلك.

و يروى أن ذا القرنين قدم مكة و الخليل و ابنه بينان فقال: ما هذا؟ فقالا: نحن عبدان أمرنا بالبناء، فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة أكبش، فقال قد رضيت و سلمت ثم مضى.

ص: 74

1-98. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 60.

2-99. (2) تحرف فى د، و المطبوع إلى: «ساقا».

3-100. (3) المدماك: الصف من اللبن أو الحجارة.

4-101. (4) إخبار الكرام ص 124.

5-102. (5) إخبار الكرام ص 124.

6-103. (6) إخبار الكرام ص 125.

7-104. (7) الروض الأنف ج 1 ص 341.

مطلب: الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر و لم لقب بذلك و تعريف نبوته و عدمها

فائدة استطرادية: اعلم أن ذى القرنين اثنان: رومى، و مقدونى. و الذى اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى فى القرآن و هو صاحب الخضر. و اختلف فى تسميته بذى القرنين و هل كان نبيا أم عبدا صالحا. ف قيل: سمي بذى القرنين لأنه بلغ مغرب الشمس و مطلعها، و قيل: لأنه، ملك الروم و فارس أو الروم و الترك، و قيل: لأنه انقرض فى زمنه قرنان من الناس و هو حى.

و قال الواحدى: لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات، فبعثه الله فسمى ذى القرنين، و قيل: كان له قرنان. و قيل: كان كريم الطرفين أما و أبأ، و هذان القولان فى «المدارك» و قيل: لأنه عاش قرنين. و عن على: سخر له السحاب و مدت له الأسباب و بسط له النور، و كان الليل و النهار عنده سواء.

و أما أنه نبي أو ملك فعن عبد الله بن عمر و مجاهد أنه كان نبيا، و عن على كرم الله وجهه أنه كان عبدا صالحا أحب الله و ناصحه فأحبه الله و ناصحه، و عن وهب أنه كان ملكا عادلا، قال المفسرون: ملك الدنيا أربعة: مؤمنان و كافران: أما المؤمنان: فذو القرنين و سليمان بن داود عليهما السلام، و أما الكافران: فنمرود و بختنصر. قال القرطبي:

و سيملك الدنيا من هذه الأمة خامس و هو المهدي لقوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (سورة الفتح: 28) انتهى.

أقول: و سيملكها سادس أيضا، و هو عيسى صلوات الله عليه. كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين و غيرهما. انتهى.

مطلب سن ذى القرنين

و كان عمر ذى القرنين ألفا و ستمائة سنة، و اختلف فى زمنه و اسمه فقيل: كان فى زمن نمرود، و يؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت، كما تقدم، لأن الخليل و النمرود

فى زمن واحد، وعن وهب أنه كان فى الفترة بين عيسى و محمد عليهما السلام، وقيل:

كان بعد ثمود. وأما اسمه، فقيل: عبد الله، وقيل: إسكندر، وقيل: مرزبان بن مرزبة.

مطلب: الحجر الأسود و هل كان قبل إبراهيم أم لا

عدنا إلى المقصود، فلما انتهى الخليل عليه السلام فى البناء إلى موضع الحجر- بالفتح- طلب من إسماعيل حجرا يضعه ليكون علما على بدء الطواف فجاءه جبريل بالحجر الأسود، قيل نزل به من الجنة. وقيل: جاء به من أبى قبيس، لأن الله استودع الحجر أبى قبيس لما غرقت الأرض. وفى رواية أن الحجر نفسه نادى الخليل من أبى قبيس هأنذا، فرقى إليه فأخذه فوضعه فى موضعه هذا(1).

وجعل الخليل صلوات الله عليه طول البيت فى السماء تسعة أذرع، وعرضه فى الأرض اثنين و ثلاثين ذراعا من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عنده الحجر- بكسر الحاء- من وجهه، وجعل عرض ما بين الركن الشامى الغربى الذى فيه الحجر- بالكسر اثنين وعشرين ذراعا. وجعل طول ظهره من الركن الغربى إلى الركن اليمانى واحدا و ثلاثين ذراعا، وجعل عرض سقفها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعا، فلذلك سميت كعبة لأنها على خلقة الكعب، وكذلك بنى أساس آدم عليه السلام، وجعل بابها بالأرض غير مبوب، حتى كان يتبع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها بابا و غلقا فارسيا، و كساها كسوة تامة، و نحر عندها كما علمته(2) فيما تقدم. و سيأتى الكلام على ذلك فى محله مستوفى إن شاء الله تعالى.

وجعل الخليل الحجر- بكسر الحاء- إلى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز، فكان زربا لغنم إسماعيل، و حفر فى بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة، و هو الذى نصب عليه عمرو بن لحي هبل، صنم قریش الذى كانت تعبده و تستقسم عنده بالأزلام(3).

أقول: و لعله- و الله أعلم- هو المراد بقول أبى سفيان بن حرب فى يوم أحد: اعل هبل. انتهى.

ص: 76

1- 105. (1) إخبار الكرام ص 125.

2- 106. (2) إخبار الكرام ص 126.

3- 107. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 64.

ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما فيه من أموال الكعبة و حليتها مرة بعد أخرى، فبعث الله الحية لحراسته و هي التي اختطفها العقاب كما تقدم، و الله أعلم.

و أما سبب بناء قريش للبيت: فروى أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوته و كانت ركاما بعضها فوق بعض، فحصل في الأحجار تصدع و وهن، ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا جاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففرغت لذلك قريش فرعا شديدا، و هابوا هدمها، و خافوا إن مسوها ينزل عليهم العذاب(1).

فبينما هم على تلك الحال يتشاورون إذ أقبلت سفينة من الروم، حتى إذا كانت بمحل يقال له الشَّعْبِيَّة- بضم الشين المعجمة- و هو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت(2).

استطرد: في الكلام على فضل جدة التي هي الآن ساحل مكة و شئ ء من خبرها:

روى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مكة رباط و جدة جهاد»(3).

و عن ابن جريج قال: سمعت عطاء يقول: إنما جدة خزانة مكة و إن ما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها(4).

ثم قال- أعنى ابن جريج: إنى لأرجو أن يكون فضل مرابطة جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان(5).

و عن عباد بن كثير، أنه قال: الصلاة بجدة سبعة عشر ألف صلاة، و الدرهم فيها مائة ألف، و أعمالها بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مدَّ بصره مما يلي البحر(6).

و عن فرقد السَّبخي أنه قال: إنى رجل أقرأ هذه الكتب، و إنى لأجد فيما أنزل الله من كتبه جدَّة- أو جديدة- يكون بها قتلى و شهداء، لا شهداء يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم(7).

ص: 77

1- 108. (1) أخبار مكة الأزرقى ج 1 ص 160.

2- 109. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 160.

3- 110. (3) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 52 و ذكر محققه أن إسناده ضعيف.

4- 111. (4) أخبار مكة للفاكهي ج 1 ص 53.

5- 112. (5) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 53.

6- 113. (6) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 53.

7- 114. (7) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 55.

وعن بعض المكيين أن الحبشة جاءت إلى جدة في سنة ثلاث وثمانين في صدرها، فوقعوا بأهل جدة، فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة في البحر، وعليهم أميرهم عبد الله محمد بن إبراهيم المخزومي. انتهى(1).

قال الفاسي رحمه الله: عبد الله بن محمد هذا ولي مكة للرشيد العباسي، فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة(2).

وأول من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشعبية ساحل مكة قبل ذلك(3).

وذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محلق وأن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحدهما: يقال له مسجد الآبوس، وهو معروف إلى الآن، والآخر غير معروف، ولعله والله أعلم المسجد الذي تقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن. انتهى(4).

ويروى أن قبر حواء بجدة، والله أعلم(5).

ولنرجع إلى المقصود: فلما انكسرت السفينة بالشعبية وبلغ قريشا قصدوها واشتروا خشبها، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع وأن لا يعشروهم(6) وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم. وكانت الروم أيضا تعشر قريشا إذا دخلوا بلادهم. و كان في السفينة نجار بناء اسمه باقوم. وهو الذي بنى الكعبة لقريش كما روى عن سفيان بن عيينة(7).

ويروى أن قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد: إن الله لا يهلك من يريد الصلاح فارتقى على ظهر البيت، ومعه الفأس ثم هدم، فلما رآه سالما تابعوه(8).

ص: 78

1-115. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 141.

2-116. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 141.

3-117. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 141.

4-118. (4) رحلة ابن جبير ص 50، السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة ص 47.

5-119. (5) السلاح والعدة ص 27.

6-120. (6) عشر القوم: أخذ عشر أموالهم

7-121. (7) أخبار مكة للأزرق ج 1 ص 157.

8-122. (8) أخبار الكرام ص 129.

وفى بعض الروايات أن قريشا كانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجياد، فهدمته قريش وبنوها بحجارة الوادى، ورفعوها ثمانية عشر ذراعا فى السماء، وقيل عشرين(1).

وحضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء مع قريش، وكان يحمل الحجارة، وسنه إذ ذاك خمس و ثلاثون سنة، وهو الأشهر، وقيل: خمس وعشرون، وهو مشهور(2)، وعن الفاكهى كان قد ناهز الحلم، وفى «تاريخ الأزرقى» ما يؤيده، وهو ضعيف جدا فلا يعتبر بمخالفته القولين الأولين.

فبينما هو يحملها و عليه نمرة قد ضاقت فذهب بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودى:

يا محمد، خمر(3) عورتك فلم ير بعدها عربانا، وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين(4).

واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود حتى رضوا بأول داخل، فكان هو أول داخل صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة(5).

وأخرج الأزرقى فى رواية أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا، فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا، ونقصوا من عرضها أذراعا أدخلوها فى الحجر.

أقول: بناء قريش ثابت على القول المشهور بعد بناء الخليل، وقد علمت فيما سبق أن الخليل صلوات الله عليه جعل طولها فى السماء تسعة أذرع كما تصافرت به الأقوال، وستقف على ذلك من كلام الأزرقى أيضا عند ذكر بناء ابن الزبير أنفا، فما نقله من أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا... إلخ، فيه مناقضة لما سيأتى عنه، ولم يثبت من طريق صحيح أن أحدا بناها بعد الخليل، وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعا، وما تقدم من بناء العمالقمة وجرهم وقصى بعد الخليل إنما هو مجرد خبر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل، وعلى تقدير الصحة فلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقا. على أن الأزرقى نفسه ذكر

ص: 79

1-123. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 160.

2-124. (2) إخبار الكرام ص 130.

3-125. (3) خمر وجهه: غطاءه وستره.

4-126. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 158، إخبار الكرام ص 131.

5-127. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 159، إخبار الكرام ص 131.

بناء العمالقة، وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما، نعم نقل الفاسى رحمه الله عن الزبير بن بكار: أن قصيا بنى الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، ثم قال: وفيه نظر، لأنه إن أريد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من أن الخليل جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشا زادت تسعة أذرع، وإن أريد أن قصيا جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين في بناء الخليل، ومن الجهة الشامية واليمانية لا يبلغ خمسة وعشرين وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم لم بينها إلا على قواعده غير أن قريشا استقصرت عن عرضها في الجهة الشرقية والغربية أذراعا لأمراقتضاه الحال هذا معنى كلام الفاسى. ثم على تقدير حمل الخمسة والعشرين ذراعا في بناء قصى على أنه ارتفاع البيت في السماء وإن كان يخالف المشهور، فليس فيه دلالة لما رواه الأزرقى لنقصه ذراعين، فيكون ما نقله الأزرقى مجرد رواية لم يعضدها شيء فلا يعول عليه، والله الموفق.

وروى أن أبا وهب المنزومى قال لقريش عند بناء البيت: لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا طيبا، ولا تدخلوا فيه مهر بغي(1)، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد إبراهيم(2). والله أعلم.

وأما سبب بناء ابن الزبير رضى الله عنهما: فهو أن الحصين بن نمير لما قدم مكة، ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير، أصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام حول الكعبة، ونصب خياما يستظلون فيها من الشمس، وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشى مكة، وهما، أبو قبيس والأحمر الذى يقابله، وصار يرمى به على ابن الزبير وأصحابه فتصيب الأحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها وصارت كأنها جيوب النساء(3).

ثم إن رجلا من أصحاب ابن الزبير أوقد نارا في بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الأسود واليمانى، والمسجد يومئذ صغير، وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة،

ص: 80

1- 128. (1) البغى: المرأة الزانية الفاجرة.

2- 129. (2) إخبار الكرام ص 131.

3- 130. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 202 وما بعدها.

و الكعبة إذ ذلك مبنية بناء قريش: مدماك من ساج و مدماك من حجارة، فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت و احترق الساج الذى بين البناء، فازداد تصدع البيت و ضعفت جدرانه، و تصدع الحجر الأسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة، ففزع لذلك أهل مكة، و أهل الشام، أعنى الحصين و جماعته(1).

و عن الفاكهى: أن سبب حريق البيت إنما كان من بعض أهل الشام أحرق على باب بنى جمح، و فى المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ فى البيت، فظن الفريقان أنهم هالكون(2).

قال الجدر رحمه الله: قلت: و هذا يخالف ما ذكر من أن السبب فى ذلك إنما هو من بعض أصحاب ابن الزبير، و لعل ما ذكره الفاكهى أصوب، على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك(3): فيكون السبب مركبا. و الله أعلم. انتهى معناه.

فائدة: أخرج الأزرقى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: أول ما تكلم فى القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة و هذا من قدر الله. و قال آخر: ما قدر الله هذا(4).

ثم جاء نعى(5) يزيد بعد ذلك بتسعة و عشرين يوما و الحصين مستمر على حصار ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير إلى الحصين جماعة من قريش فكلموه و عظموا عليه ما أصاب الكعبة و قالوا له: إن هذا من رميكم لها، فأنكر ذلك ثم ولى راجعا إلى الشام فدعا ابن الزبير حينئذ ووجه الناس و استشارهم فى هدم الكعبة فأشار عليه القليل من الناس بذلك و أبى الكثير.

و كان أشدهم إباء عبد الله بن عباس، و قال دعها على ما أقرها رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم و تبنى فيتهاون الناس بحرمتها و لكن ارقعها، فقال ابن الزبير: و الله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه و أمه، فكيف أرفع بيت الله، و استقر رأيه على هدمها رجاء أن يكون هو الذى يردها على قواعد الخليل صلوات الله

ص: 81

1-131. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 203.

2-132. (2) إخبار الكرام ص 133.

3-133. (3) إخبار الكرام ص 133.

4-134. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 197.

5-135. (5) انظر فى ذلك: أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 203.

عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضی الله عنها: «لو لا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بايين» وفي رواية: «حديث عهدهم بكفر»(1).

نكتة: اعلم أن للمبتدأ الواقع بعد لو لا ثلاثة أحوال: مخبر عنه بكون غير مقيد، و مخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه، و مخبر عنه بكون يدرك معناه عند حذفه.

فمن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم: «لو لا قومك حديثو عهد...» الحديث. و لو لا زيد غائب لم أذكر، فالخبر فى هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لأنه لو اقتصر فى هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لو لا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة، و هو خلاف المقصود، إذ من أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل، و فى هذا الحال لا مانع من نقض الكعبة وبنائها على الوجه المذكور، و قد ذكره ابن مالك فى شواهدة على «صحيح البخارى» بأبسط من هذا فراجع إن أردته.

ثم إن ابن الزبير رضی الله عنه أمر بهدم الكعبة و كان ذلك سنة أربع و ستين من الهجرة فى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة. أخرجه الأزرقي. و قيل: سنة خمس و ستين(2).

فلم يجترئ على ذلك أحد، و خرج أهل مكة إلى منى و أقاموا بها ثلاثا خوفا أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك. و خرج عبد الله بن عباس إلى الطائف، فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه و أخذ المعول و جعل يهدمها، فلما رأوا أنه لم يصبه شىء صعدوا معه و هدموا و أرقى ابن الزبير [فوقها] عبيدا من الحبشة يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم: «يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»(3).

لطيفة: قال بعض العلماء: إنما صغر ذو السويقتين، لأن فى سيقان الحبشة دقة و حموشة- أى بالحاء المهملة و الشين المعجمة- قال فى «الصحاح»: رجل أحمش الساقين دقيقهما.

أقول: فعلى هذا يكون العطف تفسيريا. انتهى.

ص: 82

1-136. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 204.

2-137. (2) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 206.

3-138. (3) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 205 و ما بين حاصرتين منه.

قال الجدر رحمه الله: فإن قلت: هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّحْرُومًا (سورة العنكبوت: 67) ولأن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة لمسلمين.

قلت: (الجواب) أن ذلك محمول على وقوعه في آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض قرآن ولا إيمان. انتهى بمعناه.

أقول: ويؤيده ما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال الله تعالى:

إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربتته، ثم أخرب الدنيا على أثره. انتهى.

قال شيخ الإسلام في «فتح الباري»: وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وفي وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة، كل ذلك لا يعارض الآية أعنى قوله: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّحْرُومًا (سورة العنكبوت: 67) فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن يستحل هذا البيت إلا أهله». وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها. انتهى.

وقال الزركشى: والحق في الجواب أنه لا يلزم من قوله: حَرَمًا مَّحْرُومًا وجود ذلك في كل الأوقات فلا يعارضه ارتفاع هذا المعنى في وقت آخر. فإن قيل: قد قال صلى الله عليه وسلم:

«إنى أحلت لى مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة». قلنا: أما الحكم بالحرمة والأمن فلم يرتفع إلى يوم القيامة، وأما وقوع الخوف فيها وترك حرمتها فقد وجد ذلك في أيام يزيد وغيرها. انتهى.

وعن الحلیمی من الشافعية أن تخريب الحبشة للبيت يكون في زمن عيسى عليه السلام، والصحيح بأن ذلك بعد موته.

ولما انتهى ابن الزبير رضى الله عنه من هدم البيت حفر عن الأساس من نحو الحجر - بكسر الحاء - ليقف على قواعد إبراهيم فلم يصب شيئاً فشق عليه ذلك فبالغ في الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد إبراهيم فإذا هي صخر أمثال الخلف من الإبل - بالخاء المعجمة - واللام.

و عن عطاء أنه قال: كنت فى الأمناء الذين جمعوا على حفرة فحفروا قامة و نصفا فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل، فتحركت قواعد البيت و ارتجت مكة بأسرها. و رأوه بنيانا مربوطا ببعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير و كبر(1).

ثم أحضر الناس و أمرهم بالإشراف فنزلوا و شاهدوا ذلك. فشرع حينئذ فى أمر البناء و أراد أن يبينها بالورس، فقيل له: إن الورس يذهب. و لكن ابنها بالقصة(2)، و أخبر أن قصة صنعاء(3) أجود فأرسل بأربعمائة دينار يشتري بها ذلك(4).

وفى «الزهر الباسم» أنه بناها بالرصاى المذاب بالورس.

ثم إنه سأل رجالا- من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها؟ فأخبروه بمقلعها، فنقل ما احتاج إليه و عزل من حجارة البيت ما يصلح أن يعاد فيه، ثم بنى على تلك القواعد بعد بأن جعل أعمدة من الخشب و ستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها و يصلون إليها حتى ارتفع البناء(5).

و أخرج الأزرقى أن البناء لما صار ثمانية عشر ذراعا فى السماء و كان هذا طولها يوم هدمها، قصرت حينئذ لأجل الزيادة التى زادها من الحجر، فلم يعجب ابن الزبير ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها، فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع، و زادت قريش تسعة أذرع، و أنا أزيد تسعة أخرى. فبناها سبعة و عشرين ذراعا و عرض الجدار ذراعان. و جعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد. و كانت قريش جعلت فيها ست دعائم فى صفين، و أرسل إلى صنعاء فأتى برخام منها يقال له البلق، فجعله فى الروازن الذى فى سقفها للضوء(6). انتهى.

أقول: هذا يخالف ما تقدم عن الأزرقى من أن طول البيت كان سبعة و عشرين ذراعا فاقصرت قريش إلخ كما سبق الكلام فيه. انتهى.

ص: 84

1-139. (1) إخبار الكرام ص 136.

2-140. (2) القصة- بالفتح- الجص، لغة حجازية.

3-141. (3) تحرف فى المطبوع إلى «صفا» و صوابه لدى الأزرقى.

4-142. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 205، إخبار الكرام ص 136.

5-143. (5) إخبار الكرام ص 137.

6-144. (6) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 209.

و جعل ابن الزبير للبيت بايين متقابلين أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه، و فى «شفاء الغرام» أنهما لاصقان بالأرض.

قال الحافظ ابن حجر: جميع الروايات التى جمعتها فى هذه القصة متفقة على أن ابن الزبير جعل الباب بالأرض. و مقتضاه أن يكون الباب الذى زاده على سمته.

وقد ذكر الأزرقى أن جملة ما غيره الحجاج: الجدار الذى من جهة الحجر، و الباب المسدود الذى فى الجانب الغربى عن يمين الركن اليمانى و ما تحت عتبة الباب الأصلى و هو أربعة أذرع و شبر(1).

و هذا موافق لما فى الرواية المذكورة لكن المشاهد الآن فى ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلى، و هو فى الارتفاع مثله. و مقتضاه أن يكون الباب الذى فى عهد ابن الزبير لم يكن لاصقا بالأرض فيحتمل أن يكون لاصقا كما صرحت به الروايات، لكن الحجاج لما غيره رفعه و رفع الباب الذى يقابله أيضا ثم بدا له فسد الباب المجدد. لكن لم أر النقل بذلك صريحا، ثم قال: و ذكر الفاكهى أنه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة فى سنة ثلاثة و ستين و مائتين فإذا هو مقابل باب الكعبة، و هو بقدره فى الطول و العرض، و فى أعلاه كلاليب ثلاثة كما فى الباب الموجود سواء، و الله أعلم. انتهى.

قال الجد رحمه الله: قوله و يحتمل أن يكون لاصقا كما صرحت به الرواية فيه بعد إذ مشاهدة البناء من أسفل الباب و ارتباط بعضه ببعض يقضى بخلاف ذلك، و الله أعلم.

انتهى.

أقول: و كان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين، و لما انتهى إلى موضع الحجر الأسود تحرى غفلة الناس نصف النهار فى يوم صائف، و جاء بالحجر هو و ولده و جبير بن شيبه و وضعوه بأيديهم. كذا فى «الزهر الباسم» و قيل: بل الحجة تواعدوا لوضع الركن، فلما دخل ابن الزبير فى صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فأدركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فأخذ بطرف الثوب فرفعه معهم. و قيل: بل وضعه ابن الزبير بنفسه و شده بالفضة. و قيل: وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير و جبير بن شيبه،

ص: 85

أمرهما عبد الله بن الزبير أن يجعلا الركن في ثوب ويخرجا به، وهو يصلى بالناس الظهر على غفلة من الناس لئلا يعلموا بذلك فيتنافسوا في وضعه. أخرجه الأزرقى (1).

وقيل: وضعه حمزة ابنه وحده بأمر أبيه. نقله السهيلي بالصواب.

وكان الحجر قد تصدع من الحريق وانفرد ثلاث فرق، وانشطت منه شظية كانت عند بعض آل شيبية بعد الحريق بدهر طويل، فشد ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية، ووضعها بين في أعلى الركن. ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك وتقلقت حتى خيف على الحجر. فلما اعتمر هارون الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بنقب الأحجار التي فوق الحجر والتي تحته فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة.

ولما فرغ ابن الزبير رضى الله عنه من بناء الكعبة وذلك في سابع وعشرين من رجب من سنة خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك و لطح جدرانها من خارج بذلك من أعلاها إلى أسفلها وسترها بالدباج، وقيل: بالقباطى، وما فضل من الحجارة فرشها حول البيت، و قال: من كانت لى عليه طاعة فليعتمر من التنعيم شكرا لله عز وجل، و من قدر أن ينحر بدنة فليفعل، و من لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، و من لم يقدر فليصدق بقدر طوله. ثم خرج ماشيا حافيا و خرج معه رجال من قريش مشاة حفاة: عبد الله بن صفوان و عبید بن عمير فأحرم من أكمة أمام مسجد عائشة رضى الله عنها بمقدار غلوة تقارب المسجد المنسوب لعلى، و جعل طريقه على ثنية الحجون، و دخل من أعلى مكة و طاف بالبيت، و استلم الأركان الأربعة، و قال: إنما كان ترك استلام الركنين يعنى الشامى و الغربى لأن البيت لم يكن تاما يعنى على قواعد إبراهيم. و صارت هذه العمرة سنة عند أهل مكة فى هذا اليوم يعتمرونها فى كل سنة إلى يومنا هذا.

و أهدى ابن الزبير فى تلك العمرة مائة بدنة نحرها من جهة التنعيم، و بعض طرق الحل و لم يبق من أشراف مكة و ذوى الاستطاعة بها إلا من أهدى، و أقاموا أياما يتطعمون و يتهادون شكرا لله تعالى على الإعانة و التيسير على بناء بيته الحرام بالصفة التى كان عليها مدة الخليل عليه السلام، و الله أعلم.

(و أما سبب بناء الحجاج و تغييره) بعض ما صنعه ابن الزبير فهو أن ابن الزبير رضى الله عنه لما

ص: 86

قتل، كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد زاد في الكعبة ما ليس منه و أحدث فيها بابا آخر، و استأذنه في رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش. فكتب إليه عبد الملك: لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شىء، أما ما زاد في طوله فأخره. و أما ما زاد فيه من الحجر- بكسر الحاء- فرده إلى بنائه و سد بابه الذى فتحه- يعنى الغربى-.

فبادر الحجاج عند ذلك و نقض الشق الذى يلى الحجر- بالكسر أيضا- و بناه و رفع بابها و سد الباب الغربى(1).

و قد روى غير واحد من أهل العلم أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج فى ذلك، و لعن الحجاج لما أخبره الحارث أن عبد الله بن أبى ربيعة سمع الحديث من عائشة رضى الله عنها الذى اعتمده ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة. و هو قوله صلى الله عليه و سلم: لولا قومك(2) ... إلخ.

و كل شىء فيها الآن بناء ابن الزبير ما عدا الجدار الذى فى الحجر و سد الباب الغربى و تغيير ما تحت عتبة الباب الشرقى و الدرجة التى فى باطنها.

و روى أن هارون الرشيد أو أباه المهدي أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضى الله عنه فى هدمها و ردها إلى بناء ابن الزبير للحديث المذكور، فقال مالك: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه و بناه، فتذهب هيئته من صدور الناس(3).

قال الفاسى: و كأن مالكا لحظ فى ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

و هى قاعدة مشهورة معتمدة انتهى. و الله أعلم(4).

فصل فى ذكر كنز الكعبة و الحكم فيه

روى البخارى عن أبى وائل، قال: جلست مع شيبه- يعنى ابن عثمان- على الكرسى فى الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر. ثم قال: لقد هممت أن لا أدع فيها

ص: 87

1-147. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 210، إخبار الكرام ص 145.

2-148. (2) إخبار الكرام ص 146.

3-149. (3) إخبار الكرام ص 147.

4-150. (4) إخبار الكرام ص 147.

صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبك لم يفعل (ه، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضى الله عنه) قال: - يعنى عمر - هما المرآن أقتدى بهما(1).

أقول: جلوس شيبية على الكرسي في الكعبة، قال المحب الطبري: لما أخبر شيبية أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يتعرضا للمال رأى عمر أن ذلك هو الصواب.

و كأنه رأى حينئذ أن ما جعل في الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره، أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر أنه تركه صاحبا مع رؤيته جواز إنفاقه في سبيل الله، لأن صاحبيه إنما تركاه للعدو الذي تضمنه حديث عائشة رضى الله عنها(2). انتهى.

وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: يحتمل أن يكون تركه صلى الله عليه وسلم لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواهد بناء إبراهيم، ويؤيده ما وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث: ولأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض وهذا التعليل هو المعتمد عليه، فإنفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم لزوال سبب الامتناع. انتهى.

فائدة: أخرج الأزرقى في «تاريخه» أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجب الذي في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت، وأن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: يا رسول الله، لو استعنت بهذا المال على حربك. فلم يحركه. ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه(3).

وأخرج أيضا أن الحسين بن الحسين العلوى عمد إلى خزانة الكعبة في سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما، و قال: ما تصنع الكعبة بهذا المال؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا(4).

ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق. ولم يخالط مالا قط إلا محق(5). وأدنى ما يصيب أخذه أن يشدد عليه عند الموت.

ص: 88

1- 151. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 245 وما بين حاصرتين منه، القرى ص 521، منائح الكرم ج 1 ص 380.

2- 152. (2) القرى لقاصد أم القرى ص 521.

3- 153. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 246.

4- 154. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 247.

5- 155. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 247.

فروع: الأول: تختص الكعبة الشريفة بما يهدى إليها و ما ينذر لها من الأموال و امتناع صرف شىء منها إلى الفقراء و المصالح، إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه. و إلا فلا يغير شىء عن وجهه. نبه عليه الزركشى فى الشافعية.

الثانى: إذا نذر شمعا يشعله فيها أو زيتا و نحوه وضعه فى مصابيحها. و إن كان لا يستعمل فيها بيع و صرف الثمن فى مصالحها. صرح به الماوردى.

الثالث: نقل الجدى فى «منسكه» مسألة تعم بها البلوى، فقال: شخص نذر أن يوقد شمعا على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به و أوقده على الباب قليلا، فجاء الحجة فأخذه و منعوا استمرار وقوده، و قالوا: هذه عادتنا مع كل أحد. و ربما سرقة نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر و المرسل معه ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال؟.

الجواب: الناذر خلص عن عهده المنذور لبلوغه محله، و كون الحجة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر فى ذمة الناذر و لا المرسل معه، و إن كان على الحجة إيقاؤه موقودا إلى نفاذه. و لا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك. و محل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود و لو على ندور مصل هناك أو غيره، و إلا فإن كان المقصد بالنذر و هو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة، و مقتضى كلام النووي عدم الصحة. و صرح به الأذرى و تبعه الزركشى انتهى.

أقول: مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل بل و لا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر. و أما الحجة فلهم أخذه بغير إذن المرسل، إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه. نص عليه فى «القنية» من كتب المذهب انتهى.

الرابع: تصح صلاة الفرض و النفل عندنا فى الكعبة من غير كراهة بجماعة و غيرها، و تجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة. و مذهب الإمام الشافعى رحمه الله كمذهبنا فى جواز الفرض و النفل فى باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده، لكن يشترط فى الفريضة أن لا يرجو المصلى جماعة خارج الكعب.

قال الشافعي رحمه الله: ما تقوتى فريضة فى جماعة فأصلبها فى موضع أحب إلى من بطن البيت، لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها. و أما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون أمام المصلى شاخص قدر ثلثى ذراع تقريبا من جدار الكعبة و هو الصحيح من مذهبه، و مذهب الإمام مالك رضى الله عنه عدم جواز الفريضة فى جوف البيت و كذلك السنن المؤكدة كالعيدين و الوتر و ركعتى الفجر و ما أشبهها على مشهور مذهبه. و أما النفل فيجوز. و أما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع و مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه أن صلاة الفريضة فى الكعبة لا تصح، و فى النافلة خلاف بين أصحابه. و الأصح الصحة، و كذا الحكم فى السطح عندهم فى الفريضة و النافلة.

فصل فى الكلام على دخوله صلى الله عليه و سلم الكعبة الشريفة بعد الهجرة و صلواته فيها و بيان مصلاه منها و عدد دخوله

فصل فى الكلام على دخوله صلى الله عليه و سلم الكعبة الشريفة بعد الهجرة و صلواته فيها و بيان مصلاه منها و عدد(1) دخوله

روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة و بعث إلى عثمان بن طلحة ف جاء بالمفتاح و فتح له الباب و دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه أسامة بن زيد و بلال و عثمان بن طلحة فأغلقها عليهم و مكث فيها ما شاء ثم خرج. قال ابن عمر رضى الله عنهما:

فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقال: جعل عمودين عن يمينه و عمودا عن يساره و ثلاثة أعمدة وراءه. و كان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين(2).

و فى البخارى عن ابن عمر أيضا، أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل و يجعل الباب قبل ظهره [فمشى] حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع، فيصلّى [و هو] يتوخّى المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى فيه(3).

و قد أوضح ابن عمر رضى الله عنه موضع مصلاه صلى الله عليه و سلم فى الحديث أيضا شافيا.

ص: 90

1-156. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «عدم».

2-157. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 266.

3-158. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 268، و ما بين حاصرتين منه.

و أخرج الأزرقي أن معاوية لما دخل الكعبة استدعى ابن عمر و هو فيها فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أين صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم منها؟ قال: بين العمودين المقدمين، اجعل بينك و بين الجدار ذراعين أو ثلاثة(1).

فوائد: الأولى: قال الحافظ أبو الفضل العراقي: و ينبغي للمصلى أن لا يجعل بينه و بين الجدار أقل من ثلاثة أذرع، فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى و ذراعه في مكان قدمى النبي صلى الله عليه و سلم، فهذا أولى من التقدم عنه(2). و الله أعلم انتهى.

الثانية: إدخال النبي صلى الله عليه و سلم هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخصص كل واحد منهم.

(أما دخول عثمان بن طلحة) فلئلا يتوهم الناس أنه عزله أو لأنه كان يقوم بفتح الباب وإغلاقه.

(و أما بلال) فلكونه مؤذنه و خادم أمر صلواته.

(و أما أسامة) فلأنه كان يتولى خدمة ما يحتاج إليه.

الثالثة: أن الحكمة في غلق عثمان الباب عليهم لأمرين: لئلا يزدحم الناس عليه صلى الله عليه و سلم، و لئلا يظنوا أن الصلاة فيه سنة. قاله الكرمانى.

و هذا الدخول الذى وقع فى يوم الفتح هو أول دخوله صلى الله عليه و سلم بعد الهجرة. و لا خلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما.

وقيل: إنه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات آخر: الأولى: فى ثانى الفتح لحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده عن أسامة رضى الله عنه و فيه أنه صلى الله عليه و سلم صلى ركعتين و لم يصل يوم الفتح.

الثانية: فى عمرة القضية لما رواه المحب الطبرى فى «القرى»(3) عن عروة بن الزبير.

الثالثة: فى حجة الوداع لما أخرجه أبو داود فى سننه عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها و قد ضعفها العلماء. و بين الفاسى رحمه الله ما فيها من الوهن و الضعف.

ص: 91

1-159. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 271.

2-160. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 227.

3-161. (3) تحريف فى المطبوع إلى: «الغرر».

ونقل الأزرقى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها(1). انتهى والله أعلم.

و هذا يدل على عدم دخوله في المرات الثلاث.

(استطرد مفيد): أجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون أن حجة الوداع كانت وقتها الجمعة بلا ريب ونقل النووي في «الروضة» أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول. كذا نقله ابن سيد الناس(2) وغيره من أصحاب السير، وهو مذهب الجمهور الراجح. واعترضه بعض العلماء بأنه لا يستقيم أن تكون وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول حيث كانت الوقفة في عام حجة الوداع سواء تمت الشهور الثلاثة التي بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم أم نقصت أم تم بعضها، لأنها إن تمت كان الثاني عشر من ربيع، الأحد. لأنه يكون أول ذى الحجة الخميس و آخره الجمعة وأول المحرم السبت و آخره الأحد وأول صفر الاثنين و آخره الثلاثاء وأول ربيع الأربعاء و حينئذ يكون ثاني عشره الأحد، وإن نقص شهر واحد كان أول ربيع الثلاثاء فيكون ثاني عشره السبت وإن نقص شهران كان أول ربيع الاثنين و ثاني عشره الجمعة وإن نقصت الثلاثة كان أول ربيع الأحد و ثاني عشره الجمعة.

قال العلامة ابن العماد: وهذا الاعتراض ساقط من أصله، والصواب ما قاله الجمهور وصاحب «الروضة» وذلك أن التاريخ إنما يقع برؤية الهلال، والأهلة تختلف بحسب اختلاف المطالع، وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعد عنهم كما قاله الأصحاب و اتفقوا عليه في كتاب الصيام.

فحينئذ فأهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخميس ووقفوا الجمعة. وأهل المدينة يجوز أنهم رأوه ليلة الجمعة لأن مطلعهم مختلف مع أهل مكة، فإذا تمت الشهور كان أول ذى الحجة الجمعة و آخره السبت، و كان أول ربيع الأول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين و هذا الجواب صحيح، و يتصور أيضا بغير هذا.

و العجب ممن يقدم على تغليب جمهور العلماء و يغفل عن قاعدة التاريخ و أقوال العلماء

ص: 92

1-162. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 269، و القرى ص 495.

2-163. (2) سيرة ابن سيد الناس ج 2 ص 338.

فى اختلاف المطالع ورؤية الأهله. انتهى ما قاله ابن العماد ملخصا من «سيرته» و هو قول عظيم و بحث مستقيم فلهذا أثبتته و الله أعلم.

(وقد استحباب الأئمة الأربعة رضى الله عنهم) دخول الكعبة و استحسان مالك كثرة دخولها. و نقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلا بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من عندى و هو قرير العين طيب النفس ثم رجع إلى و هو حزين، فسألته فقال:

إنى دخلت الكعبة و وددت أنى لم أكن فعلت، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى.

أخرجه أحمد و الترمذى (1).

و لا دلالة فيه على ذلك، بل دخوله صلى الله عليه و سلم دليل الاستحباب و تمنيه عدم الدخول قد علله صلى الله عليه و سلم بالشفقة على أمته، و لا يرفع ذلك حكم الاستحباب. قاله المحب الطبرى (2).

(اعلم) أن لدخول الكعبة آدابا كثيرة، منها: الاغتسال كما روى عن بعض العلماء.

و منها: نزع الخف و النعل لما فى «سنن» سعيد بن منصور عن عطاء و مجاهد، و كرهه مالك رضى الله عنه و هو مذهب أحمد رضى الله عنه.

أقول: مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياسا على الصلاة فى الخف و النعل، قال فى النصاب من كتب المذهب المختار أن الصلاة فى الخفاف و النعل أقرب إلى حسن الأدب انتهى. و الله الموفق.

فائدة: أخرج الأزرقى أن قريشا لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف و النعل و لم يدخل بهما الكعبة إعظاما لها الوليد بن المغيرة، فجرى ذلك سنة (3). و الوليد هذا هو جدنا لأن نسب بنى ظهيرة متصل به و كان إسلامه.... (4).

و منها: أن لا يرفع بصره إلى السقف لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها. أخرجه البيهقى فى «سننه» و الحاكم فى «المستدرک» قال المحب الطبرى: و إنما كره ذلك لأنه يولد الغفلة و اللهو عن القصد (5).

ص: 93

1- 164. (1) أورده صاحب القرى ص 494.

2- 165. (2) القرى ص 494.

3- 166. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 174.

4- 167. (4) بياض بالأصلين.

5- 168. (5) القرى ص 502.

و منها: أن لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذى. نص عليه النووى وغيره.

و منها: أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر(1).

و منها: أن يلزم قلبه(2) الخشوع و عينيه الدموع إن استطاع ذلك(3).

و منها: أن لا يسأل مخلوفا لما روى عن سفیان بن عيينة أنه قال: لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: سلنى حاجتك. فقال: إني أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره(4).

و ذكر الفاكهى أن التارك لسؤال هشام إنما هو منصور الحجبي. و الله أعلم.

فصل فى ثواب دخول الكعبة الشريفة و فيما يطلب من الأمور التى فعلها رسول الله صلى الله عليه و سلم

أما ثواب دخولها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من دخل البيت فصلى فيه دخل فى حسنة و خرج من سيئة مغفورا له» و مثله عن ابن عمر رضى الله عنهما.

وفى «رسالة الحسن البصرى» عنه صلى الله عليه و سلم «من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عز و جل و فى حمى الله عز و جل و فى أمن الله عز و جل، و من خرج خرج مغفورا(5) له».

وفى رواية عن مجاهد أنه زاد: يخرج معصوما فيما بقى، نقله ابن جماعة. ثم قال:

يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الإسلام.

و عن عطاء رضى الله عنه قال: لأن أصلى ركعتين فى الكعبة أحب إلى من أن أصلى أربعا فى المسجد الحرام. و عن الحسن أنه قال: الصلاة فى الكعبة تعدل مائة ألف صلاة، أخرجهما الفاكهى(6).

ص: 94

1-169. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 266.

2-170. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «قبله» و صوابه لدى المحب الطبرى فى القرى ص 402، و شفاء الغرام ج 1 ص 266.

3-171. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 266.

4-172. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 266.

5-173. (5) ذكره السيوطى فى الجامع الكبير ج 1 ص 776 عن ابن عباس، و عزاه للطبرانى و البيهقى فى السنن.

6-174. (6) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 256.

وأخرج الأزرقي عن موسى بن عقبة قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كما طفنا سبعا دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين.

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه بعد أن دخل الكعبة:

أبعد دخول البيت و الله ضامن يبقى قبيح و الخطايا الكوامن

فحاشا و كلاب تسامح كلها و يرجع كل و هو جدلان آمن(1)

و أما ما يطلب في الكعبة من الأمور التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتكبير و التسبيح و التهليل و التحميد و الثناء على الله تعالى و الدعاء و الاستغفار للأحاديث الدالة على ذلك في «الصحيحين» و غيرهما. و فيهما أيضا عن أسامة أنه صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت ركع قبل البيت ركعتين، و قال: هذه بالقبلة. و قبل: بضم القاف و الباء الموحدة، و يجوز إسكان الموحدة و هو ما استقبلك(2) منها.

و في معنى قوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة ثلاثة احتمالات. الأول: أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم و صلوا إليه أبدا الثاني: أن معنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم علمهم سنة موقف الإمام و أنه يقف في وجه الكعبة دون أركانها و جوانبها و إن كانت الصلاة في جميع جهاتها مجزئة. قالهما أبو سليمان الخطابي رحمه الله الثالث: قاله النووي رحمه الله في «شرح مسلم» بعد ذكره للاحتمالين الأولين، و هو أن معناه هذه بالكعبة هي المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله لا كل الحرم و لا مكة و لا كل المسجد الذي حول الكعبة بل هي الكعبة نفسها فقط(3). و الله أعلم.

أقول: قد ظهر لي احتمال آخر لم أر أحدا ذكره و هو أنه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم و التشريف و التأكيد لأمرها و الإشادة بذكرها على حد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه عند الحجر الأسود: هاهنا تسكب العبرات. و الله الموفق.

ص: 95

1-175. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 256.

2-176. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 258.

3-177. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 258.

و روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت وقف عند كل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار.

وأخرج الفاكهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده.

قال الفاسي رحمه الله: وهذا غريب جدا والله أعلم بصحته. ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستجابته (1). انتهى.

ومن الأمور التي صنعها النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة على ما قيل أنه ألصق بطنه وظهره بها.

واستحب ذلك الحافظ العراقي ونقل الطبري الكراهة في ذلك (2). والله تعالى أعلم.

فائدة: ذكر ابن الصلاح رحمه الله في منسكه أن مما أحدثه بعض الفجرة في جوف الكعبة بعد الستمان بدعتين: إحداهما: العروة الوثقى، وذلك أنهم عمدوا إلى موضع عال داخل الكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثقى وأوقعوا في العقول الضعيفة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فألجأهم ذلك إلى أن يقاسوا في الوصول إلى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضا، وربما صعدت الأثني فوق الذكر ولا مست الرجال ولا مسوها فيلحقهم بذلك أنواع الضرر دنيا ودينا.

الثانية: أن في وسط البيت مسمارا سموه سرّة الدنيا وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم سرته وينطح على ذلك المسمار فلا قوة إلا بالله. انتهى.

قال السيد الفاسي رحمه الله: وهذان الأمران لا أثر لهما الآن في الكعبة. وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى في سنة إحدى و سبعمائة بأمر بعض العلماء الواردين في السنة المذكورة انتهى. ولم يذكروا زوال البدعة الأخرى متى كان.

أقول: قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم: وربما صعدت الأثني فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال إذ ذاك جميعا، وإنما اختص النساء بانفرادهن في الدخول بعد ذلك. انتهى.

ص: 97

1-178. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 260.

2-179. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 260.

الباب الرابع فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة زادها الله شرفا و تطيبها و تحليتها و معاليقها

اشارة

ص: 98

روى الأزرقي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن سب أسعد الحميري وهو تبع، لأنه أول من كسا الكعبة في الجاهلية كما تقدم، فكساها المسوح ثم الأنطاع ثم الحصر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفي ذلك يقول:

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا(1)

ويروى أنه لما كساها المسوح والأنطاع انتفضت، فأزال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضا، فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها.

أقول: مقتضى ما رواه الأزرقي من النهي عن سب تبع كونه كسا البيت. وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأنه كتب بذلك كتابا وأودعه للعالم الذي أبرأه من علته وأوصاه أن يوصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن أدركه هو أو واحد من ولده وكان الأمر كذلك. وإن الكتاب وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه فقال: مرحبا بالأخ الصالح فينبغي أن لا يسب تبع مطلقا لأنه من جملة المؤمنين والمؤمنين لا يباح سبه.

وأيضا قد تقدم أن تبع لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة. وقوله هنا في ثالث الآيات المنسوبة إليه: وخرجنا منه نؤم سهيلا، يدل على خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق. انتهى.

ص: 99

وقيل إن إسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة، وكانت في الجاهلية تكسى أكسية شتى ما بين وصائل وأنطاع وكرار و خز و نمارق عراقية، وإذا خلق منها شىء أخلف مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شىء من ذلك.

وكساها فى الإسلام(1) سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم معاوية، وابن الزبير ومن بعدهما.

ويقال: إن أول من كسا البيت الديباج، الحجاج. وقيل: يزيد بن معاوية، وقيل: ابن الزبير، وقيل: عبد الملك بن مروان.

وكانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحجاج، حتى كانت دولة بنى هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكى يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا الإزار(2).

وكان عمر رضى الله عنه يكسوها من بيت المال، وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ما كان يجلل به بدنه من القباطى والحبرات والأنماط.

وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان لأجل العيد(3).

والقباطى - بفتح القاف جمع قبطية بضم القاف - وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خص بالثياب، وأما فى الناس فقبطى - بكسر القاف - لا غير. والوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية. والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا أيضا وهو من ثياب اليمن. ويقال له برد حبرة وبرد حبرة على الوصف وعلى الإضافة. والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والإضافة أيضا. والأنماط ضرب من البسط واحدها نمط.

ومن كسا البيت الصليحي صاحب اليمن ومكة، وذلك فى زمن الحاكم العبيدى، والمستنصر العبيدى. وكانت من الديباج الأبيض(4).

ص: 100

1- 181. (1) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 195.

2- 182. (2) إخبار الكرام ص 160.

3- 183. (3) إخبار الكرام ص 160.

4- 184. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 198.

و كساه أيضا من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيزار بعد مراسلته و استئذانه لملوك مصر و إرسال الكسوة إلى مصر، ثم وصلت إلى مكة صحبة الحاج و ذلك سنة خمس و خمسين و ثمانمائة(1).

و كساه أيضا السلطان محمود بن سبكتكين الديباج الأصفر، و ذلك في سنة ست و ستين(2) و أربعمائة.

فوائد:

الأولى: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج.

الثانية: ذكر بعض العلماء حكمة حسنة في سواد كسوة الكعبة، فقال: كأن البيت يشير إلى أنه فقد أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم.

الثالثة: ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير، و سبب ذلك أنها أضلت العباس و هو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك، و هى أول عربية كستها الحرير(3).

و منهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات و غيرها، و كانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار و قيل بأربعة آلاف دينار و ذلك في سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة(4). و رباطه المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخاص على يمين الخارج من باب الحزورة أحد أبواب المسجد الحرام، و يقال: إن عدنان كساها أيضا كذلك و خالد بن جعفر ابن كلاب.

ص: 101

1-185. (1) إخبار الكرام ص 161.

2-186. (2) كذا في الأصلين، و مثله لدى الأسدى، و هو ينقل عن المؤلف. و فيه نظر، لأن محمود بن سبكتكين مات سنة 421 هـ. أبو المحاسن موضحا: «و فى سنة 466 هـ، ورد إلى مكة إنسان عجمى يعرف بسلاار من جهة جلال الدولة ملكشاه، و معه للبيت كسوة ديباج أصفر، و عليها اسم محمود بن سبكتكين و هى من استعماله، و كانت مودعة بنيسابور من عهد محمود بن سبكتكين عند إنسان يعرف بأبى القاسم الدهقان، فأخذها الوزير نظام الملك و أنفذها مع المذكور» (النجوم الزاهرة ج 5 ص 95).

3-187. (3) إخبار الكرام ص 159.

4-188. (4) إخبار الكرام ص 162.

الرابعة: نقل القاضي تقي الدين رحمه الله أن كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه إلى الموقف بعرفة، فإذا كان يوم النحر يأتي بها من منى إلى مكة لأجل اللبس، ثم صار أمراء الحاج بعد ذلك يضعونها في الكعبة قبل الصعود إلى الحج. و موجب أن بعضها كان سرق في بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد إليه بمال بذله (1).

انتهى بمعناه.

الخامسة: أول من كسا الكعبة الديباج الأسود الناصر العباسي. فاستمر ذلك إلى يومنا هذا. ولم تزل المملوك يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحي القاهرة يقال لها بيسوس (2)، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، و كان الناصر العباسي كسا البيت ديباجا أخضر قبل الأسود (3).

السادسة: نقل الفاسي رحمه الله، أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة، مع جانب كبير من كسوتها، أو ستة آلاف درهم كاملية عوضا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس (4) لما ولي أمر مكة في آخر سنة ثمان وثمانين و سبعمائة، و تبعه أمراء مكة في الغالب. ثم إن السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة و كسوة المقام و يهديهما لمن يريد من المملوك وغيرهم.

انتهى (5).

وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة إلى يومنا هذا.

و أخرج الأزرقى رحمه الله عن شيبه بن عثمان أنه دخل على عائشة رضی الله عنها، فقال: يا أم المؤمنين، إن الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر، فنعمد إلى بئر فنحفرها و ندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب و الحائض، فقالت عائشة رضی الله عنها: ما أصبت، و بس ما صنعت، إن ثياب الكعبة إذا نزع عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، و لكن بعها و تصدق بثمنها (6). و نقل جواز البيع عن ابن عباس أيضا.

ص: 102

1- 189. (1) شفاء الغرام ج- ص 204.

2- 190. (2) تحرف في المطبوع إلى: «بيسوس» و صوابه من د، و إخبار الكرام.

3- 191. (3) إخبار الكرام ص 163.

4- 192. (4) تحرف في المطبوع إلى: «مغاس» و صوابه من د، و شفاء الغرام.

5- 193. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 205.

6- 194. (6) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 261.

فروع: الأول: يحوز بيع ثياب الكعبة عندنا إذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم، ويجوز الشراء من بنى شيبية لأن الأمر مفوض إليهم من قبل الإمام.

نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى «شرح منظومته» وواقفه السبكى من الشافعية، ثم قال: وعليه عمل الناس. و المنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها إلى الإمام يصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعا وإعطاء، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وفى «قواعد» صلاح الدين خليل بن كيكلى (1) أنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الإمام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة و الوقف بعد استقرار هذه العادة و العلم بها فينزل لفظ الواقف عليها، و استحسّن النووى الجواز أيضا (2).

قال الجرد رحمه الله: هذا فى الستور الظاهرة، و أما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ما هى عليه لأن الكلام إنما هو فى الستور التى جرت العادة أن تغير فى كل عام، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة. انتهى.

الثانى: لو نذر شخص أن يكسو البيت صح نذره و ستره بالحريز أو غيره لأن ذلك من القربات. ذكره النووى رحمه الله.

الثالث: لو سرق إنسان شيئا من ستر الكعبة أو من فضة بابها لا يقطع عندنا لعدم الجواز. و الله أعلم.

ذكر تطيب الكعبة المشرفة

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره، و لأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدي لها ذهباً و فضة أخرج الأزرقي.

وقد تقدم أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها و ظاهرها بالعنبر و المسك من أعلاها إلى أسفلها ثم كساها و كان يجمرها فى كل يوم برطل من الطيب، و فى يوم الجمعة برطلين. و أجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به فى الموسم و فى رجب. و أخذها عبيدا بعث بهم إليها، ثم تبعه الولاة بعد ذلك (3). و هو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال (4).

ص: 103

1-195. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «كليكلى» و صوابه من د، و شفاء الغرام.

2-196. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 204.

3-197. (3) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 253، 254.

4-198. (4) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 254.

ولما حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين و مائة رفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى أنها قد أثقلتها، و يخشى على الجدران من ذلك، فأمر بتجريدتها ثم ضمخها من خارجها و داخلها بالغالية و المسك و العنبر، ثم كساها ثلاثة ثياب قباطى و خز و ديباج و هو جالس فى المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها و هى تطفى. و قيل: إن ما فى أحجارها من السمرة إنما حصل من آثار تلك الغالية(1).

فرع: قال النووى رحمه الله: لا يجوز أخذ شىء من طيب الكعبة لا للتبرك و لا لغيره، و من أخذ شيئاً من ذلك لزمه رده، فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه(2).

ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

أخرج الأزرقى رحمه الله أن أول من حلى الكعبة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم بالغزالين الذهب اللذين وجدتهما فى زمزم حين حفرها و سيأتى الكلام على سبب حفر زمزم فى محله إن شاء الله تعالى(3).

و أما فى الإسلام فالوليد بن عبد الملك بعث إلى و إليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بسنة و ثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، و على ميزاب الكعبة و على الأساطين التى فى داخلها و الأركان(4).

ثم لما ولى الأمين بن الرشيد أرسل أيضا إلى عامله بمكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار ليحلى بها باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح(5). و زاد عليها ما بعثه الأمين و ضربه صفائح و مسامير و حلى به الباب، و جعل له حلقتين ذهبا(6).

و قيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد(7). و قيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك و غيرهم بعد ذلك.

فرع: قال النووى و الرافعى: تحرم تحلية الكعبة بالذهب و الفضة و كذا سائر المساجد.

ص: 104

1- 199. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 263.

2- 200. (2) إخبار الكرام ص 165.

3- 201. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 185.

4- 202. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 211.

5- 203. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 212.

6- 204. (6) شفاء الغرام ج 1 ص 186.

7- 205. (7) إخبار الكرام ص 166.

و خالفهما السبكي وأفتى بالحل، وقال: إن المنع لا سيما في الكعبة بعيد وغريب في المذاهب كلها، قل من ذكره. فلا وجه له ولا دليل يعضده. وهذا في التحلية بصفائح النقيدين، وأما التمويه فلا أمنع من جريان خلاف فيه لأن في ذلك إفساد مالية. انتهى.

ونقل الإمام أبو الليث السمرقندي من أئمتنا إباحة ذلك عن أبي حنيفة رضي الله عنه، ثم قال:

وعندي أنه لا بأس به إذا لم يكن من غلة المسجد.

ذكر معاليق البيت الشريف وما أهدى إليه في معنى الحلية

ذكر معاليق البيت الشريف وما أهدى إليه في معنى الحلية (1)

أخرج الأزرقى رحمه الله في «أخبار مكة» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى، كان مما بعث إليه هلالان من الذهب، فبعثهما عمر إلى الكعبة وعلقهما في جوفها (2).

وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدحين من قوارير. وبعث ابنه الوليد بقدحين أيضا. وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضا وبالسرير الزينبي (3). وبعث السفاح بصحفة خضراء، وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية. وبعث المأمون بياقوتة فاخرة. وبعث الخليفة المتوكل العباسي بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد، وسلسلة من ذهب (4).

وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبد على صورة إنسان، وبالتاج الذي كان على رأس الصنم، وبالسرير الذي كان يوضع عليه. هذا ملخص ما ذكره الأزرقى (5).

ص: 105

1-206. (1) في المطبوع: «وما أهدى بعد مضي الجاهلية» والمثبت رواية: د، وشفاء الغرام.

2-207. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 224.

3-208. (3) تحرف في المطبوع إلى: «الرسى» والمثبت رواية د، والأزرقى.

4-209. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 224 و 225.

5-210. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 225.

وأهدى إلى الكعبة بعد ذلك أشياء آخر ذكرها الفاسى تقى الدين وغيره. و من ذلك:

قفل فيه ألف دينار بعثه إليها المعتصم العباسى فى سنة تسع عشرة و مائتين (1). و من ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء كبيرة وزنها كما قيل أربعة و عشرون مثقالا، بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم (2). و من ذلك عدة قناديل كلها فضة ما عدا واحدا منها كان ذهباً زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسى فى سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة (3).

و من ذلك قناديل محكمة الصناعة و محاريب مبنية زنة كل محراب أزيد من قنطار، بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين و الأربعمائة. و من ذلك قناديل ذهب و فضة بعثها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة (4).

و من ذلك قفل و مفتاح بعث بهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر و ركب القفل على باب الكعبة (5).

و من ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ و البلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال، و فى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، و بينها ست قطع بلخش فاخرات أيضا، بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خدابنده (6) ملك التتار فى سنة ثمان عشرة و سبعمائة، فأراد الرسول تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فمنعه أمير الركب المصرى فى السنة المذكورة، و قال: لا يمكن ذلك إلا بإذن السلطان، يريد صاحب مصر، و هو إذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون. فلوظف الأمير و عرفه الرسول بأن الوزير نذر أن يعلقهما على باب الكعبة فأذن له فى ذلك، فعلقتا زنا قليلا ثم أخذهما أمير مكة إذ ذاك و هورميثة بن أبى نمى. و من ذلك أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما قيل قدر الدورق من دوارق مكة. اثنان ذهباً، و اثنان فضة. بعث بذلك السلطان شيخ أويس صاحب بغداد فى اثنى عشر لسبعين و سبعمائة، فعلق ذلك فى الكعبة يسيرا ثم أخذه أمير مكة عجلان بن رميثة.

هذا ملخص ما ذكره الفاسى (7).

ص: 106

1- 211. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 190.

2- 212. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 191.

3- 213. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 192.

4- 214. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 192.

5- 215. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 192.

6- 216. (6) تحرف فى المطبوع إلى: «صعيد بن خرنبدا» و صوابه من د، و الفاسى.

7- 217. (7) شفاء الغرام ج 1 ص 192 و 193.

ثم قال: وليس في الكعبة الآن- يعنى فى زمنه- شىء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى. و مما لم يذكره مما ذكرنا سوى ستة عشر قنديلا، منها: ثلاثة فضة، و واحد ذهب، و واحد بلور، و اثنان نحاس، و التسعة الباقية زجاج، و سبب ذلك توالى الأيدى عليه من الولاة و غيرهم(1).

فمن ذلك ما وقع لأبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم و دعا لنفسه بالإمامة(2) أنه أخذ من حلية الكعبة و ضربها دنانير و دراهم، و سميت بالفتحية، و أخذ المحاريب التى أهداها صاحب عمان، و من ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسينى، أنه فى سنة اثنتين و ستين و أربعمائة أخذ قناديل الكعبة و ستورها و صفائح الباب لكون صاحب مصر المستنصر العبيدى لم يرسل له شيئا لاشتغاله بالقحط الذى كادت مصر أن تخرب بسببه(3).

و مما أهدى للكعبة بعد الفاسى [نحو عشرين قنديلا ذهبا، و نحو عشرة فضة و غير ذلك](4).

فصل فى الكلام على سدانة البيت و هى خدمته و نوالى أمره و فتح بابه و إغلاقه

إشارة

و كانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه أيضا فأهلكهم الله. ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الأمر إلى أبى غبشان، فباع مفتاح البيت من قصى بن كلاب بزق من خمر، فقيل فى ذلك أخسر من صفقة أبى غبشان، فذهبت مثلا(5). و صارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصى، و انتهى إليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة، و هى الحجابة و أعطى عبد مناف السقاية و الرفادة، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ولده عثمان، و لم تزل تنتقل فى أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة، ثم إلى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة و هى فى ولده إلى الآن.

ص: 107

1- 218. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 193.

2- 219. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «الأمانة» و صوابه من د، و الفاسى.

3- 220. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 193.

4- 221. (4) بياض بالأصل، و ما بين حاصرتين عن إخبار الكرام ص 172.

5- 222. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 114.

و يروى عن عثمان بن طلحة قال: فتحنا البيت يوما في الجاهلية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل مع الناس فتكلمت بشيء فحلم عني. ثم قال يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ و ذلت فقال بل عزت، و دخل الكعبة. و وقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت السلام فخشيت من قومي فقدمت المدينة فبايعته و أقمت معه حتى خرج في غزوة الفتح فلما دخل مكة قال يا عثمان: ائت بالمفتاح فأيتت به فأخذه مني ثم دفعه إلى وقال:

خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم، و فى ذلك (1) نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (سورة النساء: 58).

و فى «سنن سعيد بن منصور» أنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ المفتاح من بنى شيبه أشفقوا أن ينزعه منهم، ثم قال: يا بنى شيبه، هاكم المفتاح و كلوا بالمعروف. قال العلماء: إن هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، و أعظم من ذلك أن يشرك معهم غيرهم.

قال الشيخ محب الدين الطبرى فى «القرى»: لا يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمة و لازموا الأدب فى خدمته، أما إذا لم يحفظوا حرمة، فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمة. ثم قال أيضا: و ربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم: و كلوا بالمعروف. فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت، و لا- خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك و أنه فى أشنع البدع و أقبح الفواحش، و هذه اللفظة إن صحت فيستدل بها على إقامة الحرمة، لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف، و إنما الإشارة و الله أعلم إلى ما يتصدق به من البر و الصلة على وجه التبرر، فلهم أخذه و ذلك أكل بالمعروف لا محالة، أو إلى ما يأخذه من بيت المال على ما يتولونه من خدمته، و القيام بمصالحه، فلا يحل لهم الا قدر ما يستحقونه و الله تعالى أعلم. انتهى كلام المحب (2).

(و أما الرفاة) فأصلها خرج من قريش كانت تخرجه من أموالها إلى قصي يصنع به

ص: 108

1-223. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 1 ص 265، شفاء الغرام ج 2 ص 139، 140.

2-224. (2) القرى ص 506.

طعاما للحاج، يأكله من ليس له سعة، وكان قصى ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة، ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم. ثم صارت بعد عبد مناف ابن قصى إلى ابنه هاشم فكان يطعم الناس في كل موسم إلى أن توفي. فقام بذلك بعده عبد المطلب. ثم بعده أبو طالب واستمر إلى أن جاء الإسلام. فقام به النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر رضى الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر في حجة الوداع. ثم أقامه أبو بكر في خلافته، ثم عمر، ثم الخلفاء بعده(1).

ثم لما ولي معاوية رضى الله عنه اشترى دارا بمكة و سماها دار المراحل وجعل فيها قدورا فكانت الجزر والغنم تطبخ فيها أيام الحج في الموسم، ثم يفعل ذلك في شهر رمضان.

ويروى أن أول من أطعم الحاج الفالودج بمكة عبد الله بن جدعان وفد على كسرى فأكل عنده الفالودج فسأل عنه فقالوا: لباب البر مع العسل، فقال: ابغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالودج للحاج، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه، ألا من أراد الفالودج فليحضر، فحضر الناس وما زال ذلك إطعامه للحاج في الجاهلية.

(و أما السقاية): فكان أصلها حياضا من آدم، توضع على عهد قصى بفناء الكعبة، وتملأ ماء للحاج، وكان قصى يسقى اللبن المخيض و يسقى الماء المنبوذ بالزبيب أيضا، وما زال ذلك فعله حتى هلك. فقام به هاشم بعده. ثم أخوه المطلب بعده. ثم عبد المطلب، وكان يسقى لبنا وعسلا في حوض من آدم عند زمزم، ثم قام به العباس رضى الله عنه بتولية النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تزل في ولده من بعده.

أقول: إلى يومنا هذا.

(تتميم بذكر شىء من خبر قصى): روى الأزرقى رحمه الله أن قصيا لما انتهت إليه رياسة مكة وقرب أجله قسم رياسته و مكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، وأعطى عبد الدار السدانة وهى حجابة البيت و دار الندوة واللواء(2). وقد تقدم ذكر السدانة و السقاية والرفادة وتفسيرها مستوفى.

ص: 109

1- 225. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 139 فما بعدها.

2- 226. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 110.

(و أما الندوة): فهي دار بناها قصى حين صار أمر مكة إليه ليحكم فيها بين قريش، و كانت أول دار بنيت بمكة و لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصى إلا ابن أربعين سنة للمشورة، و أما ولد قصى فيدخلونها كلهم و حلفاؤهم، و لم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار، ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار، و إنما سميت دار الندوة لاجتماع الندى فيها لأنهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم و إبرام أمرهم و عقد الألوية لحروبهم(1). و هذه الدار في الرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة، و هي معروفة مشهورة.

(و أما اللواء): فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم(2).

(و أما القيادة): فولياها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، ثم وليها بعده ابنه أمية، ثم من بعده ابنه حرب، فقاد الناس يوم عكاظ و غيره من حروب قريش، ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه إلا يوم بدر، قاد الناس عتبة بن ربيعة، فلما كان يوم أحد و الأحزاب قادهم أبو سفيان، و كانت الأحزاب آخر وقعة لقريش ثم أيد الله الإسلام و منّ بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه و سلم هذا ملخص ما رواه الأزرقى من خبر قصى(3). و ذكر غيره في قسمة قصى غير هذا و الله أعلم.

فائدتان:

الأولى: روى الفاكهي رحمه الله أن الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح في الجاهلية يوم الاثنين و يوم الجمعة. و في «تاريخ الأزرقى» أنها كانت يوم الاثنين و يوم الخميس يعني في الجاهلية(4). قال الفاسي رحمه الله: وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن يعني في زمنه، و فتحها يوم الاثنين متروك(5).

(أقول): قد أعيد فتحها يوم الاثنين بعد ذلك و صارت تفتح يوم الاثنين و يوم الجمعة إلى يومنا هذا. و في هذا دلالة لصحة ما رواه الفاكهي. و مما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير

ص: 110

1- 227. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 109، 110.

2- 228. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 111.

3- 229. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 115.

4- 230. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 174.

5- 231. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 209.

فى خبر «رحلته» و كانت فى سنة تسع و سبعين و خمسمائة، من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين و يوم الجمعة إلا فى رجب تفتح كل يوم (1). و ما يروى عن عثمان بن طلحة أنه قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين و يوم الجمعة، ف جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشىء إلى آخر ما قدمته آنفاً، فيه تأييد لما ذكره الأزرقى أيضاً، على أن الجمع بين روايتى الأزرقى و الفاكهى ممكن، بأنه يحتمل أن كلا الأمرين وقع و أنها كانت تفتح يوم الخميس أولاً و مكث ذلك مدة، ثم تغير و صارت تفتح يوم الجمعة أو العكس. انتهى.

الثانية: روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دخل مكة يوم الفتح، أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة و قام المسلمون و تجردوا فى الأزرق و أخذوا الدلاء و ارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها و بطنها فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه و غسلوه. و هذا الخبر فى الجملة يصلح أن يكون شاهداً لما يفعله الحجة من غسل باطن الكعبة فى كل عام و الله أعلم.

ص: 111

الباب الخامس فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به و فضل النظر إليه و بيان المواضع التى فيها صلى النبى صلى الله عليه و سلم حول البيت و بيان جهة المصلين إليه من سائر الآفاق و ذكر و ليطوفوا بالبيت العتيق

إشارة

قال جل اسمه لخليله عليه السلام: وَ طَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ (سورة الحج: 26) وقال تعالى و تقدس: وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ (سورة البقرة: 125) الآيات، و اختلف فى معنى التطهير، فقيل طهره من الآفات و الريب. و قيل من الأوثان فلا ينصب حوله وثن. و قال السدى. معنى طهرا بيتى: أمتنا بيتى و قيل غير ذلك. و قد سبق بعض الكلام على ذلك فى أول الكتاب.

(و أما الأحاديث) فأكثر من أن تحصى (فمن ذلك): ما روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:

من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه- و فى رواية يحصيه- كان كعتق رقبة. و معنى أحصاه أو يحصيه: قال بعض العلماء: يتحفظ فيه أن لا يغلط.

وعنه صلى الله عليه و سلم أنه قال من طاف بالبيت سبعا و صلى خلف المقام ركعتين و شرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره».

وعنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة، فإذا دخل غمرته، ثم لا يرفع قدما و لا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة و حط عنه خمسمائة سيئة و رفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، و كتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل، و استقبله ملك على الركن، و قال له: استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى و شفع فى سبعين من أهل بيته. أخرجه الأزرقى (1) و غيره.

ص: 113

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: الكعبة محفوفة بسبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها.

أقول: وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الركعتين قبل الطواف ثواب عتق رقبة.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و حشر يوم القيامة من الآمنين. ذكره القاضى عياض فى «الشفاء»(1).

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: الطواف بالبيت خوض فى رحمة الله تعالى ذكره الحسن فى «رسالته»(2).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. رواه الترمذى وقال: حديث غريب.

قال القاضى عز الدين بن جماعة رحمه الله: والمراد بخمسين مرة والله أعلم:

خمسون أسبوعاً، لأن الشوط الواحد لا يتعبد به. ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا: من طاف خمسين أسبوعاً كان كما ولدته أمه. فهذه الرواية مفسرة للأولى. وليس المراد بأن يأتى بالخمسين فى آن واحد، بل أن توجد فى صحيفة حسناته. انتهى ملخصاً.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته.

وقال صلى الله عليه وسلم: استكثروا من الطواف بالبيت فإنه أقل شىء تجدونه فى صحفكم و أغبط عمل تجدونه.

وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه و غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت، طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس، و طواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس(3). فقال رجل: يا رسول الله لم يستحب هاتان الساعتان؟ قال: إنهما ساعتان لا تعدوهما الملائكة(4).

الجامع اللطيف؛ ص 114

ل المحب: يحتمل أن يريد بالبعدية ما قبل الطلوع و الغروب و لو بلحظة تسع

ص: 114

1- 234. (1) الشفاء ج 2 ص 60.

2- 235. (2) فضائل مكة للحسن البصرى ورقة 6.

3- 236. (3) اخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 22.

4- 237. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

أسبوعاً. و يحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعله الأظهر. وإلا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب، وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين(1). انتهى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أكرم سكان أهل السماء على الله الذين يطوفون حول عرشه، وأكرم سكان أهل الأرض على الله الذين يطوفون حول بيته.

وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من طاف بالبيت سبعا ولا يتكلم إلا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات. ومن طاف فتكلم في الحل خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه.

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازي في سبيل الله والبار بوالديه والطائف ببيت الله الحرام.

والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً، وفيما ذكرته كفاية. وإذا كان الطائف بهذه المزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغي له الإخلاص وليحذر من أن يكون كما قال بعض العلماء العارفين:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد والجسم في بلد و الروح في بلد

ماذا فعلت و ماذا أنت فاعله مبهرجا في التقى للواحد الصمد

إن الطواف بلا قلب ولا بصرعلى الحقيقة لا يشفى من الكمد

(و أما الآثار) فروى عن ابن عمر أنه قال: كان أحب الأعمال إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم مكة الطواف.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: من حج البيت فطاف خمسين أسبوعاً قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه.

ص: 115

و عن ابن عمر أيضا أنه قال: من طاف و صلى ركعتين فهاتان يكفران ما أمامهما.

و عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه طاف بالبيت و هو متكئ على غلام له يسمى طهمان، و هو يقول: و الله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا- أقول فيه هجرا و أصلى ركعتين أحب إلى من أن أعتق طهمان(1). و الهجر- بضم الهاء- هو الإفحاش فى المنطق، قاله فى «الصحاح».

و فى «الإحياء للغزالي» لا تغرب الشمس من يوم إلا و يطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، و لا يطلع الفجر من ليلة إلا و طاف واحد من الأوتاد، و إذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض.

و روى الأزرقى رحمه الله أن ابن عمر، كان يطوف سبعة أسابيع بالليل و خمسة بالنهار و أن آدم عليه السلام كان يطوف كذلك.

و ذكر غير الأزرقى أن آدم كان يقول فى طوافه: اللهم اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى.

و عن محمد بن فضيل أنه قال: رأيت ابن طارق فى الطواف، و قد انفرج الطائفون له و فى رجليه نعلان، فحزروا طوافه فى ذلك الزمان فإذا هو يطوف فى اليوم و الليلة عشرة فراسخ(2). و الحزر- هو التقدير و الخرص- يقال حزرت الشىء أحزره و أحزره بالضم و الكسر كذا فى «الصحاح».

و ذكر ابن الجوزى فى «الصفوة» أن محمد بن طارق كان يطوف كل يوم و ليلة سبعين سبعا(3).

فائدة: أعداد الطواف لها سبع مراتب(4) ذكرها الإمام أبو عبد الله بن أبى الصيف اليمنى رحمه الله.

ص: 116

1- 239. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 3.

2- 240. (2) صفة الصفوة ج 2 ص 217.

3- 241. (3) صفة الصفوة ج 2 ص 217، و عبارته: «كان يطوف فى اليوم و الليلة سبعين أسبوعا» و بهامشه: «يقال: طاف بالبيت أسبوعا: أى سبع مرات، و الأسبوع من الطواف: سبعة أطواف.

4- 242. (4) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 284.

الأولى: أن من طاف خمسين أسبوعا فى اليوم و الليلة يخرج من ذنوبه كىوم ولدته أمه للحديث الذى قدمته آنفا.

الثانية: واحد و عشرين أسبوعا كل يوم فىكون بحجة و قد قيل سبعة أسابيع بعمرة.

وقيل فى الحديث ثلاث عمر بحجة.

الثالثة: أربعة عشر أسبوعا فىكون بحجة أيضا لأنه ورد فى حديث آخر عمرتان بحجة، و هذا فى غير عمرة رمضان لأن العمرة فيه كحجة مطلقة كما جاء فى الحديث، و فى حديث آخر كحجة معه صلى الله عليه و سلم.

الرابعة: اثنا عشر أسبوعا خمسة بالنهار و سبعة بالليل لما سبق قريبا من فعل آدم و ابن عمر و يستحب أن يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التى فى النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع و هو فى الطواف للحديث الذى رواه ابن عمر قاله الجد.

الخامسة: سبعة أسابيع فىكون بعمرة لما تقدم فى المرتبة الثانية.

السادسة: ثلاثة أسابيع، قال الجد. يأتى فى الأول بأذكار الطواف و دعواته الخاصة، و فى الثانى بالباقيات الصالحات، ففى ذلك حديث، و فى الثالث بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و هو لا إله إلا الله و وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد بيده الخير، و هو على كل شىء قدير. ربنا آتانا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

السابعة: أسبوع واحد كل يوم، فقد جاء فى الحديث أن الأسبوع بعثت رقبة، و يدخل بهذا الأسبوع فى جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة و العشرين كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى، و الباقيات الصالحات هى: قولك سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر.

فائدة: المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم و العبادة قاله الحسن. و قيل: العافية، و قيل: المال، و قيل: المرأة الحسنة، و قيل: العفة، و قيل: الرزق الواسع. و بحسنة الآخرة الجنة بالإجماع كذا قاله الدميرى، و قيل: الحور العين أو الجنة أو العفو و المعافاة.

(و اعلم) أنه ينبغى المثابرة على الطواف فى أوقات. (منها) ما تقدم من الطواف بعد الصبح و العصر للحديث السابق.

و منها: فى وقت المطر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من طاف بالكعبة فى يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة و محاباة عنه الأخرى سيئة.

و عن أبى عقال قال: طفت مع أنس بن مالك رضى الله عنه فى مطر. فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا أنس: استأنفوا(1) العمل فقد غفر لكم. هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و طفتنا معه فى مطر(2).

و عن مجاهد قال: كان كل شىء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير، فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف، فجعل ابن الزبير يطوف سباحة، و ذكر القاضى عز الدين بن جماعة عن جده أنه طاف بالبيت سباحة، و كان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله. و ذكر أن بعض المكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك.

و منها: فى شدة الحر، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من طاف حول البيت أسبوعا فى يوم صائف شديد الحر و استلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدا و أقل كلامه إلا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها و يضعها سبعون ألف حسنة، و يمحى عنه سبعون ألف سيئة، و يرفع له سبعون ألف درجة(3).

و فى رواية عن ابن عباس بعد قوله: شديد الحر، و حسر عن رأسه، و قارب خطاه، و أقل التفاته، و غض بصره ثم ذكر بقية الحديث. و زاد يعتق عنه سبعين رقبة، ثم كل رقبة عشرة آلاف درهم و يعطيه الله سبعين شفاعا إن شاء فى أهل بيته من المسلمين، و إن شاء فى العامة، و إن شاء عجلت له فى الدنيا، و إن شاء أخرت له فى الآخرة 4.

أقول: فإن قيل: هل يستوى الطائف فى شدة الحر بغير خف أو نحوه بمن طاف لابسا لذلك أم غير اللابس أفضل و أكثر ثوابا لأنه حينئذ أكثر مشقة؟ (الجواب): أن إطلاق الحديث يقتضى التسوية بين اللابس وغيره، و لكن سياق الحديث يفهم منه أن غير اللابس أكثر ثوابا حيث علل بشدة الحر لأن المراد تجشم المشقة، و لا شك أن غير اللابس أكثر

ص: 118

1- 243. (1) فى المطبوع: «انتفوا» و المثبت رواية الأزرقى.

2- 244. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 21.

3- 245. (3) أورده الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 285 و قال: هذا حديث ضعيف الإسناد جدا.

مشقة، و يؤيده قوله في رواية ابن عباس حاسرا عن رأسه، إذ المراد المصابرة على ذلك، و ينبغي في رواية حسر الرأس أن يحمل على الاستطاعة و عدم الضرر، و أما من تضرر بكشف الرأس أو خشى الضرر فالأفضل له تغطية رأسه، فإن الحرج مدفوع شرعا، و الله الموفق.

و منها: عند خلو المطاف لأنه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له في سائر أقطار الأرض، و كذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها، فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده.

فوائد:

الأولى: إن قيل ما العلة في جعل الكعبة على يسار المطاف دون يمينه، و ما الحكمة في ذلك؟ (اعلم) أن العلة في ذلك اجتماع القلبين في جهة واحدة لأن القلب بيت الرب و القلب في الجانب الأيسر. قال الجد رحمه الله: قلت: و قد يقال أيضا في وجه المناسبة إن المستحب في ابتداء الطواف استقبال الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، و حينئذ فشقه الأيمن إلى جهة باب البيت، و شقه الأيسر إلى جهة الركن اليماني، و الانفتال إلى جهة اليمين أولى من الانفتال إلى جهة اليسار. و يستأنس لذلك بأن داخل المسجد يستحب له أن يبدأ برجله اليمنى و البداء بجهة الشق الأيمن يتبدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الأسلوب المعتاد، و أيضا لإخفاء أن جهة الباب أفضل الجهات فجهة الركن اليماني بالنسبة إليها مفضولة و المسارعة إلى الأفضل أفضل من المسارعة إلى المفضول.

انتهى.

الثانية: قال بعض العلماء: إنما يجعل الطائف البيت على يساره، و يتدئ بالحجر الأسود لأن الحجر إذا استقبلت البيت من ثنية كداء من باب بنى شيبية يبقى في ركن البيت على يسارك و هو يمين البيت، لأنك إذا قابلت شخصا فيمينه يسارك و يسارك يمينه و الذي يلاقيك من البيت هو وجهه لأن فيه بابه، و باب البيت وجهه أى بيت كان، و الأدب أن لا يؤتى الأفاضل إلا من قبل وجوههم و لأجل ذلك كان الابتداء بثنية (1) كداء، و الأصل في كل قرية يصح فعلها باليمين و اليسار أن لا تفعل إلا باليمين كالوضوء و غيره.

ص: 119

1- 246. (1) تحرف في المطبوع إلى: «كان الابتدائية كدا».

فإذا ابتدأ بالحجر و جعل البيت على يساره كان قد ابتدأ باليمين و الوجه معا فيجمع بين الفاضلين، و لو عكس ذلك فاته الجمع المذكور، و يمين البيت جميع الحائط الذى بين الركنين الأسود و اليماني و يسار البيت الحائط الذى عند الحجر - بكسر الحاء- و دبر البيت الحائط الذى فيه الباب المسدود. و إنما سمي الشام لأنه على شمال البيت، و اليمن لأنه على يمين البيت. و سميت ريح الدبور لأنها تأتي من دبر البيت. و ريح الشمال لأنها تأتي من شمال البيت.

الثالثة: كان النساء و الرجال يطوفون معا مختلطين حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال و النساء و أجلس عند كل ركن حرسا معهم الشياطين، و سببه أنه بلغه قول بعض الشعراء:

يا حبذا الموسم من موفدو حبذا الكعبة من مشهد

و حبذا اللاتى يزاحمننا عند استلام الحجر الأسود

فقال. أما إنهن لا يزاحمنك بعد، فأمر بالتفريق(1).

الرابعة: أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد عقبه بن الأزرق بن عمرو، و كانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة، فكان يضع فى جدار داره مصباحا كبيرا يضىء على وجه الكعبة أخرجهما الأزرقى(2).

فروع: الأول: قال الجرد: الآتى بأسبوع بسكينة و وقار و تودة بحيث يطوف غيره أسابيع فى زمن طوافه الأسبوع مع تساوى أوصافهما فى الحضور و الخشوع هل يستويان؟ قال المحب الطبرى: هذا يبنى على أن طول القيام فى الصلاة أفضل أم تكثير الركعات و هو يقتضى أفضلية الأسبوع. قال النسائى: و نص عليه الشافعى.

أقول: و هو مقتضى مذهب محمد بن الحسن من أصحابنا حيث قال: طول القنوت أحب إلى من كثرة الركوع و السجود، و هو محمول على المنفرد لقوله صلى الله عليه و سلم: من أم قوما

ص: 120

1-247. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 20.

2-248. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 247.

فليخفف فإن وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة، وإذا صلى منفردا فليطول ما شاء.

انتهى.

واعتبر بعض المتأخرين الخطى فوجد كل طوفة مائة و عشر خطوات إذا كان بينه وبين البيت ذراع أو فوقه قليلا، فتكون للطوافات السبع سبعمائة و سبعون خطوة. انتهى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة، وذلك أنهم ألين الناس فيه مناكب وأنهم يمشون فيه التؤدة. أخرجه الأزرقى.

الثانى: الترتيب فى الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة، وكذا لو طاف عاريا أو بغير طهر، فإن أمكن إعادته فى طوافى الحج والعمرة أعاد وإلا جبر بالدم خلافا للثلاثة.

الثالث: اختلف العلماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة، وهل الاعتمار أفضل أم الطواف. فمذهب الجمهور أن الصلاة أفضل فرضها و نفلها لأنها أفضل عبادات البدن، و ذكر جماعة من علمائنا أن الطواف أفضل فى حق الآفاقي، و الصلاة فى حق المكي أفضل. وهو مذهب المالكية و متأخرى الشافعية. و ذهب الماوردى إلى أن الطواف أفضل.

ورجحه ابن عبد السلام و احتج بما سياتى قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل للطائفين أكثر.

(و أما المفاضلة) بين الطواف و العمرة عن أنس بن مالك أنه سأل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال: بل الطواف. أخرجه الأزرقى.

قال المحب الطبرى: مراد أنس و الله أعلم أن تكرار الطواف أفضل من العمرة و لا- يريد طواف أسبوع واحد، فإنه موجود فى العمرة(1). انتهى.

وله فى هذا المعنى تأليف لطيف سماه «عواطف النصره فى تفضيل الطواف على العمرة» ذهب فيه إلى أن الاشتغال بتكرار الطواف فى مثل مدة العمرة أفضل من الاشتغال بالعمرة، و استدل رحمه الله على ذلك بجملة أدلة. و ذهب جماعة من الشافعية منهم السبكي و البلقيني إلى تفضيل الاعتمار مطلقا على الطواف(2).

ص: 121

1-249. (1) القرى ص 332.

2-250. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 289.

الرابع: لا بأس عندنا للطائف أن يقرأ القرآن في نفسه لأنه ذكر مشرف في مكان مشرف. ويكره أن يرفع صوته بالقراءة فيه كي لا يقع في الرباء والسمعة. ولفظة لا بأس، تدل على أن الأولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة، فإنه صلى الله عليه وسلم اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلاً لإجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ إلا قوله: رَبَّنَا آتِنَا إِلَى قَوْلِهِ:

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (سورة البقرة: 201) كذا نقله الكرماني من أصحابنا. والصحيح من مذهب الشافعي أن الدعاء المأثور في الطواف أفضل من القراءة للتابع. واستدل أصحابه بأنه قد نهى عن القراءة في الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما. قال الزركشي: وقد ينازع في عبارتهم في هذه المسألة، إذ لا شيء من الذكر أفضل من القرآن، فكيف يكون الاشتغال بالمأثور أفضل من الاشتغال بالقرآن؟ وأجيب بأن القراءة فعل القادر وهي حادثه والقرآن قديم. والتفضيل بين القراءة والذكر، والصواب أن القرآن من حيث حقيقته أفضل. وقد ألف أبو بكر الآجري تأليفاً يتضمن الإنكار على الجاهر في الطواف بذكر أو تلاوة، وغلظ في ذلك وشدد وينبغي أيضاً لمن كان في المسجد قريباً من الطواف أن لا يرفع صوته بتلاوة أو ذكر لتلايشوش على الطائفين أو المصلين.

الخامس: من سنن الطواف للرجل القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أسير في الاستلام والتقيل. وهذا إذا لم يؤذ أو يتأذ بزحمة أو غيرها وإذا لم يفته الرمل أيضاً بسبب الزحمة، فإن خشى فوات الرمل فالبعد أولى للإتيان به لأن الرمل عندنا لا بدل له، ولهذا إذا اشتدت الزحمة يقف وأيضاً في قرب الرجل من البيت بعده عن النساء فإن طوافهن غالباً من جهة حاشية المطاف لا سيما عند من يقول بنقضهن. والمستحب للمرأة البعد عن البيت لتلا تخالط الرجال إلا في وقت خلو المطاف فالقرب أولى والخشْي كالمرأة.

السادس: التطوع بشوط واحد في الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه أم لا؟ فمذهب الشافعي أن من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة. أما لو نوى أن يطوف أسبوعاً ثم بدا له بعد أن طاف طوفة واحدة مثلاً أنه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقي من السبع.

أقول: مقتضى مذهبنا أيضاً عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياساً على الركعة

الواحدة في حق عدم المشروعية عندنا لا في حق الحنث، فإن حلف لا يصلى يحنث بأداء ركعة واحدة. انتهى.

السابع: يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لأنه ليس من البيت نص على ذلك الأصحاب. و مذهب الشافعية و الحنابلة و بعض متأخري المالكية أنه يجب أن يكون الطائف بجميع بدنه خارجا عن البيت و الحجر و الشاذروان. و ينبغي الاحتراز عند الشافعي لمن قبل و استلم من أن يمر و شىء من بدنه في الشاذروان، بل يقر قدميه إلى أن يعتدل بعد التقبيل أو الاستلام، فإن لم يقرهما فليرجع إلى مكانه قبل الاستلام لئلا يقع بعض طوافه في البيت لا بالبيت، لأن الشاذروان عندهم جزء ناقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين ظهر على الأرض.

قال الجد رحمه الله: لم ينقل وقوع هذا التحرز عن أحد من السلف الصالح، و لو وقع لنقل، و لكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع أنه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل أن لا يكون منقولاً إذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود.

و عند الحنابلة أن الطائف لو كان يمس الجدار بيده في موازاة الشاذروان صح طوافه، لأن معظمه خارج البيت.

و أفاد الشيخ القدوة أبو عبد الله خليل إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام بأنه لم يشترط أحد من متقدمي المالكية فيما علمه الطواف خارج الشاذروان، و أن الشيخ أبا الطيب القاسمي المالكي كان ينكر ذلك و لا يثبت في مذهب مالك. قال الفاسي رحمه الله:

ينبغي الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب و إلا فلا محذور في ذلك. كيف و الخروج من الخلاف مطلوب و هو هنا قوى و الله أعلم.

نكتة: اعلم أن منشأ الخلاف بين الأئمة في ذلك حديث عائشة المتقدم المصرح بأن قريشا اقتصروا على قواعد إبراهيم، و قد صح أن ابن الزبير رضی الله عنه لما بلغه هذا الحديث قال: أنا اليوم أجد ما أنفق و لست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته و بناها على قواعد إبراهيم، و أدخل فيها الحجر و جعل لها بابين على ما كان في زمن قريش إلى آخر ما تقدم.

فإذا علمت هذا ظهر أن ما ذكره الشافعية من أنه ينبغي الاحتراز عن الشاذروان عند

التقييم ليس بناهض. فينبغي حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن الميلىق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة إليه بقول أو فعل و لنقل ذلك، هذا مع توفر الدواعى على النقل.

ونازع الفاسى فى ذلك فقال: وبعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس إبراهيم عليه السلام كما فى خبر بنائه. وهذا المعارض لا يخلو من حالين: أحدهما أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعها عن الأرض. والآخر أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه. بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنياً على أساسه.

والأول لا- يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضى أن يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الأرض ولا ناقصاً عن أساسها، ووقع هذا فى بنائه أقرب من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء. وإذا كان هذا مصلحة فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير. نعم فى بناء ابن الزبير على أساس إبراهيم دليل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجه منه قريش من الحجر فإنه بنى ذلك على أساس إبراهيم لا أساس قريش.

والثانى غير مسلم لأن الجدار إذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الأرض لا يخرج ذلك عن كونه مبنياً على أساسه وهذا مما لا ريب فيه وإنكاره مكابرة والله أعلم. انتهى.

الثامن: يجب على الطائف عندنا أن يكون طوافه من وراء الحجر، فلو طاف الطواف الواجب فى جوف الحجر بأن يدخل من إحدى الفتحتين ويخرج من الأخرى عليه الإعادة وتجزئ على الحجر خاصة، والأفضل الإعادة على البيت كله.

وذكر قاضى خان فى شرح «الجامع الصغير» فى صفة الإعادة على الحجر صورتين:

الأولى: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعا.

الثانية: أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى إلى آخره ثم يرجع ولا يدخل

الحجر، ويتدئ من أول الحجر من المكان الذى ابتداء منه أولا ولا يعد رجوعه إلى ذلك شوطا يفعل ذلك سبعا، فإن رجع إلى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب «الهداية».

و حكى ابن عبد البر إجماع العلماء على أن من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر، ولو لم يطف من ورائه لم يجزه.

التاسع: لو طافت المرأة متنتقة في غير حالة الإحرام فمقتضى مذهب الشافعى الكراهة كما تكره صلاتها متنتقة، قاله النووى وهو مذهب مالك.

قال الجدد رحمه الله: محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها، أما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة، بل تنقبها حينئذ متعين، وعندنا لا يكره لها ذلك في الطواف. نص عليه السروجى في غايته.

العاشر: قال ابن جماعة في «منسكه» ومن البدع ما يفعله كثير من الجهلة من ملازمة البيت و تقبيله عند إرادة الطواف قبل استلام الحجر الأسود و تقبيله، والذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو الابتداء بالحجر لأنه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم.

فصل فى ثواب النظر إلى البيت زاده الله شرفا و بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم حول البيت و ذكر ذرع أرض المطاف

روى الحسن البصرى رحمه الله فى «رسالته» أنه صلى الله عليه وسلم قال: من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسبا لله عز وجل و لرسوله تعظيما للبيت، كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم، وأول ما ينظر الله إلى أهل الحرم، فمن رآه مصليا غفر له، و من رآه قائما غفر له، و من رآه جالسا مستقبل القبلة غفر له.

و روى ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله ينزل فى كل يوم و ليلة مائة و عشرين رحمة على هذا البيت، ستون للطائفين، و أربعون للمصلين و عشرون للناظرين (1).

ص: 125

أقول: هذا الحديث وإن كان ضعيفا فقد نص النووى وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف فى الفضائل انتهى.

وفى رواية أخرى ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين و مائة رحمة الحديث.

قال المحب الطبرى: ولا تضاد بين الروايتين، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت، و يطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى: **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** (سورة البقرة):

(144) و يجوز أن يريد مسجد الجماعة و هو الأظهر، و يكون هو المراد بالتنزيل على أهل المسجد، و لهذا انسحبت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد(1). انتهى.

ثم قال أيضا عند كلامه على هذا الحديث: يحتمل فى تأويل القسم بين كل فريق وجهان: الأول قسمة الرحمة بينهم على المسمى بالسوية، لا على العمل بالنظر إلى قلته و كثرته و صفته، و ما زاد على المسمى فإنه ثواب من غير هذا الوجه، و نظير هذا: أعط الداخلين بيتى مائة دينار، فدخل واحد مرة، و آخر مرارا فلا خلاف فى تساويهما فى القسم(2).

الوجه الثانى: و هو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل، لأن الحديث ورد فى سياق الحث و التحضيض و ما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل و الأكثر(3).

ثم قال بعد أن استوفى الكلام فى كيفية قسمة الرحمة: إذا تقرر ذلك فالترفضيل فى الرحمة بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث، أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة، و الصلاة على النظر، و إذا تساوا فى الوصف، هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيخص به و بما ورد من الأحاديث المتقدمة فى فضل الطواف [من] عموم قوله صلى الله عليه و سلم: و اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة. أو تقول: الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا- فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن، و لا ينكر أن بعض الصلاة أفضل من بعض(4).

ص: 126

1- 252. (1) القرى ص 325.

2- 253. (2) القرى ص 325.

3- 254. (3) القرى ص 326.

4- 255. (4) القرى ص 326 و ما بين حاصرتين منه.

ثم قال بعد كلام آخر: ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع [ثبوت] الأخصية له بمتعلق الثلاثة، وهو البيت الحرام، ولا خفاء بذلك، ولذلك بدأ به في الذكر هنا وفي قوله تعالى: وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ الْآيَتِينَ (سورة الحج: 26، 27) ولما كانت الصلاة على تنوعها لم تشرع إلا عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبد به وقد لا يكون، وذلك إذا لم يقصد به التعبد تأخر في الرتبة (1).

وقولنا: إذا تساوا في الوصف نحتز مما إذا اختلف وصف المتعبدين، فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلي والناظر خاشعا يعبد الله كأنه يراه، كان المتصف بذلك أفضل، إذ ذلك الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليا عنه، وهو المشار إليه والله أعلم في قوله تعالى: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (سورة الكهف: 30) انتهى باختصار (2).

وهو كلام عظيم كاف شاف حري (3) أن يكتب بماء الذهب في بياض الحدق، وقد ذكره في كتابه «القرى» بأبسط من هذا، واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة لا يحتملها هذا التعليق فليراجعه مريده في محله، فرحمه الله ولله دره من عالم محقق.

وفي «رسالة الحسن» أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: من نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة في الآمنين. وفيها عنه صلى الله عليه وسلم: من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة سنة يعني صائما وقائما وراكعا وساجدا.

وعن ابن عباس أنه قال: النظر إلى الكعبة محض الإيمان أخرجه الجندي. وعن سعيد ابن المسيب: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وعن عطاء: النظر إلى البيت الحرام عبادة، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المنحبت المجاهد في سبيل الله عز وجل. وعن أبي السائب المدني: من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. وعن زهير بن محمد قال:

الجالس في المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف به ولا يصلي أفضل من المصلي في بيته لا ينظر إلى البيت. أخرجه الأزرقى (4).

ص: 127

1- 256. (1) القرى ص 327 وما بين حاصرتين منه.

2- 257. (2) القرى ص 327.

3- 258. (3) تحرف في المطبوع إلى: «حر».

4- 259. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 9.

فصل فى ذكر المواضع التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم حول الكعبة و بيانها ملخصة كما نقله الفاسى عن القرى للمحب الطبرى مع زيادة أدلة

إشارة

فصل فى ذكر المواضع التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم حول الكعبة و بيانها ملخصة كما نقله الفاسى (1) عن القرى للمحب الطبرى (2) مع زيادة أدلة

الأول: خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر فى صفة حجه صلى الله عليه وسلم من قوله:

ثم نفر إلى مقام إبراهيم فقرأ و اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (سورة البقرة: 125) و جعل المقام بينه و بين البيت ثم صلى الركعتين.

الثانى: تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما فى النسائى من حديث المطلب بن أبى وداعة.

الثالث: قريبا من الركن الشامى مما يلى الحجر - بسكون الجيم - كما فى «سنن أبى داود» من حديث عبد الله بن السائب.

الرابع: عند باب الكعبة كما فى «تاريخ الأزرقى» من حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم:

أمنى جبريل عند باب الكعبة مرتين. قال الفاسى: و يحتمل ثلاثة وجوه. الأول: أن يكون صلى و جاه الباب. الثانى أن يكون فى الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه.

الثالث أن يكون فى الملتزم و هو بعيد. و الوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة، و إنما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عز الدين بن عبد السلام و الشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا أن مصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الحفرة المرخمة. و لم أقف على كلام ابن عجيل، و لكن بلغنى أن الطبرى إمام المقام سأله عن ذلك فحقيقه له بطريق الكشف. و أما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى. قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام: و لم أر ذلك لغيره، و فيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة، و لما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف و الله أعلم. انتهى.

الخامس: تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحا إلى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم باب العمرة خلف ظهره. كما فى «مسند أحمد»

ص: 128

1-260. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 351.

2-261. (2) القرى لقاصد أم القرى ص 348.

و«سنن أبي داود» وغيرهما من حديث المطلب بن أبي وداعة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى مما يلي باب بنى سهم، والناس يمرون بين يديه. و باب بنى سهم هو باب العمرة المذكور.

والسادس: فى وجه الكعبة كما فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين، وقال: هذه القبلة، كما تقدم. قال المحب الطبرى: وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذى له خلفها دبر الكعبة، ويطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب وهو المتعارف. والظاهر أن هذا الموضوع تلقاء المقام فى فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلى فيه. ثم قال: ويحتمل على بعد أن يكون الموضوع الرابع- يعنى المتقدم عند باب الكعبة- قال ابن جماعة: وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات. فعن ابن عمر البيت كله قبلة و قبلته وجهه، فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبى صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب. ومثله عن عمرو بن العاص. والمراد بقبلة النبى صلى الله عليه وسلم قبلته بالمدينة الشريفة. انتهى.

(السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن إسحاق فى «سيرته» فى قصة طويلة. قال الفاسى: ولم يبينه المحب. ويحتمل أن يكون عليه السلام صلى إلى وسط الجدار كما نقله ابن سراقه ويكون عند الرخامة التى فى الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين أنه عمل المطاف. ويحتمل أن يكون مانلا عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود أو إلى جهة الركن اليمانى.

الثامن: فى الحجر للحديث الصحيح: بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام. وقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (سورة غافر: 28).

الآية قال المحب الطبرى: ولا يبعد أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب. فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: صلوا فى مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار. فقليل له: ما مصلى الأخيار وما شراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب وماء زمزم، وهو صلى الله عليه وسلم سيد الأخيار، ولا يبعد أن تكون الإشارة إليه صلى الله عليه وسلم.

روى عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر وقال: صلى فيه إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت(1). وفي هذا دلالة على أن جميع الحجر من البيت. وكذلك ما ورد أن عائشة رضی اللہ عنہا سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر: هل هو من البيت؟ فقال: نعم. والصحيح أن القدر الذي فيه من البيت ستة أذرع أو ما يقارب السبعة(2) كما جاء مصرحاً به في الحديث الآخر عن عائشة رضی اللہ عنہا و هو: لو لا قومك إلى أن قالت ولزدت فيه ستة أذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة. وفي رواية فهلمى لأريك ما تركوه قومك فأراها قريباً من سبعة أذرع، فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على المقيد وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن أشار إليه المحب الطبري.

وعن علي بن أبي طالب رضی اللہ عنہ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة رضی اللہ عنہ: إن علي باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفوراً لك ما مضى فاستأنف العمل، وعلي باب الآخرة ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج:

مرحوما إن كنت من أمة محمد تقياً(3).

وفي «رسالة الحسن» أن إسماعيل عليه السلام شكى إلى ربه حرّ مكة فأوحى إليه أنى أفتح لك باباً من الجنة في الحجر يخرج عليك الروح منه إلى يوم القيامة. والروح بفتح الراء نسيم الريح(4).

وفيها عن عثمان بن عفان رضی اللہ عنہ أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جئت؟ فسألوه، فقال: كنت قائماً على باب الجنة، وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده(5).

ص: 130

1- 262. (1) أخبار للأزرقي ج ص 312، إخبار الكرام ص 86.

2- 263. (2) إخبار الكرام ص 86.

3- 264. (3) إخبار الكرام ص 86.

4- 265. (4) إخبار الكرام ص 86.

5- 266. (5) إخبار الكرام ص 87.

و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له (1).

ونقل ابن جماعة عن بعض السلف أن من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشئ مائة مرة وهو ساجد استجيب له.

وعن عطاء بن أبي رباح أنه قال: من قام تحت مشعب الكعبة ودعا استجيب له و خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أخرجه الأزرقى (2). و المشعب: مجرى الماء و مسيله. و منه:

يجىء الشهيد يوم القيامة و جرحه يشعب دما. كذا فى «النهاية» (3).

و يروى عن أبى هريرة و سعيد بن جبيرة و زين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة.

(و من فضائل الحجر) أن فيه قبر إسماعيل و أمه هاجر، و كان عمره مائة و ثلاثين سنة يوم مات و قيل مائة و سبع و ثلاثين. و نقل القاضى أبو البقاء بن الضياء فى «منسكه البحر العميق» عن الفقيه إسماعيل الحضرمى (4) نفع الله به أنه لما حج سأل المحب الطبرى عن ثلاث مسائل: عن الحفرة الملاصقة للكعبة. و عن البلاطة الخضراء التى فى الحجر، و عن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء. فأجاب بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم. و البلاطة الخضراء قبر إسماعيل و يشبر من رأسها إلى ناحية الركن الغربى مما يلى باب بنى سهم ستة أشبار، فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام.

و القبران المرجومان فهو أن البيت الشريف أصبح يوما فى دولة بنى العباس و قد لطحه رجلان بالعدرة فقبض عليهما أمير مكة و استأذن الخليفة فى أمرهما فأمر بصلبهما فرسم فى هذا الموضع و صارا يرجمان إلى الآن. انتهى.

و ينبغى توقى النوم فيه و الا-حتراز مما أحدثه العوام من وقوفهم فى فتحتى الحجر بقصد السلام كما يزعمون على النبي صلى الله عليه و سلم، و من استدبارهما الكعبة فيهما للدعاء أيضا.

و المعروف فى آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة.

ص: 131

1- 267. (1) أخبار الكرام ص 87.

2- 268. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 318.

3- 269. (3) النهاية لابن الأثير (ثعب).

4- 270. (4) إخبار الكرام ص 88.

ذكر ذرع الحجر من داخله و صفته و خبر شىء من عمارته

أما ذرعه فمن جدر الكعبة الذى فيه الميزاب إلى جدر الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعا. وسعة ما بين الفتحتين سبعة عشر ذراعا و قيراطان و عرض جداره... (1).

و أما صفته فهو عرصة مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة و أول من رخمه المنصور العباسى فى سنة أربعين و مائة لما حج. و ذلك أنه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بنت عبد الله و أمره بأنه لا يأتى الصباح إلا و قد ستر بالرخام، فدعا زياد الصناع فعملوه على السرج قبل أن يصبح (2). ثم جدد بعد ذلك مرارا كثيرة. و آخر من عمره على ما هو عليه الآن فى زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الغورى على يد مباشر عمائره الأمير خاير بك العلائى المعروف عند أهل مكة بالمعمار، و ذلك فى سنة سبع عشرة و تسعمائة. و كانت عمارته فى هذه السنة مرتين، الأولى: بحجارة منحوتة من جبل الشيبكة، و الثانية: بهذا الرخام الموجود كما ترى.

فرع: حكم الصلاة فى مقدار ما فى الحجر من البيت حكم الصلاة فى الكعبة يجرى فيه الخلاف المتقدم بين الأئمة الأربعة، و قد علمته فلا تطول بإعادته لما فيه من تحصيل الحاصل، و الله أعلم.

(تتميم) أخرج الفاسى رحمه الله عن بعض مشايخ مكة المتقدمين أن للنبي صلى الله عليه و سلم مصلى بين الحفرة المرخمة و بين الحجر - بسكون الجيم - عند الحجر المشوبر الذى يقال له المقام المحمدى، و أن من دعا عنده بهذا الدعاء. يا واحد يا واحد، يا ماجد يا ماجد، يا برّ يا رحيم، يا غنى يا كريم أتمم على نعمتك و ألبسنى عافيتك استجيب له (3).

ثم قال: و الحجر المشوبر الذى هو علامة لهذا المصلى لا يعرف الآن (4). و الحفرة قد سبق ذكرها. و هذا المصلى هو الموضع الثالث الذى ذكره المحب، لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها و الركن الشامى مصلى للنبي صلى الله عليه و سلم غيره، و الله أعلم. انتهى بمعناه.

ص: 132

1- 271. (1) يياض بالأصلين.

2- 272. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 345.

3- 273. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 358.

4- 274. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 358.

(استطرد) فى بيان مصلى آءم ءلله السلام ءند البىء ءلن نزل ءء ءءءم فى الباب الأوء فى فضل المءءزم ءن الأزرقى رءمه الله أن آءم طاف بالبىء سبعا؁ ءم صلى ءءاه الكعبة ركعتلن ءم أءى المءءزم إلى آءر ما ءءمءه ءنه.

و آءرء الأزرقى أفضا فى رواءة آءرى؁ أن آءم ءلله السلام ءلن نزل طاف بالبىء سبعا ءم صلى ءءاه باب الكعبة ركعتلن (1).

ونقل الفاسى رءمه الله فى «شفائه» من ءلام ابن سراقء؁ ما يقتضى زلءاءة ببلان فى مصلى آءم ءلله السلام؁ فقالم: و من باب الكعبة إلى مصلى آءم ءلن فرء من طوافه؁ و أنزلء ءلله ءوبء و هو موضءء ءلءوق من إزار الكعبة أرجع من ءسعة أءرع؁ و هناء ءان موضءء مقام إبراىلم ءلله السلام و صلى النبى صلى الله ءلله ءلله و سلم ءنده ركعتى طوافه. و ببلن مصلى آءم و الرءن الشامى ءمانلءة أءرع. اءءهى. قال الفاسى: و ءء ءءرر لى مما ءءره ابن سراقء فى ذرع ما ببلن الرءن الشامى و مصلى آءم أن بءون مصلى آءم طنا بءرب ءءفرة المرءمة ءلى فى وءه الكعبة بءلء بءون منه إلى ءءفرة ءلاءة أءرع إلا ءلء بالءءلء (2) اءءهى.

و فى رواءة لابن أبى ءءنلأ أن صلاءة آءم إلى ءانب الرءن اللمانى.

و فى آءرى ءن الفاكهى أن الموضءء ءلى ءلب (3) فىه ءلى آءم ءبر الكعبة ءند الباب ءلى ءءءه ابن الزبلر ءانب الرءن اللمانى؁ و الله أءلم.

فصل فى ببلان ءءاه المصللن إلى ءبلءة من سائر الآفاق ملءصا مما ءءره الشلء ءز ءءلن بن ءماعءة فى ءائءه بءءف الكواءب إذ للس ءل أحد بءرف الاسءءلال بها

(فءءة) مصر و صعبلءها الأعلى و سواءلها السفلى أسوان و إسنا و ءوص و الفسطاظ و الإسءنءرلءة و الاءلءم و المءءة و ءملاط و بلبلس و بركة و طرابلس و صفء؁ و ساءل المغرب؁ و الأءلس؁ و ما ءان ءلى سمءه ما ببلن الغربى و المبلزاب.

ص: 133

1- 275. (1) آءبار مءة للأزرقى ء 1 ص 44.

2- 276. (2) شفاء الغرام ء 1 ص 335.

3- 277. (3) فى المءبوع: «بءبء».

(وجهة) جانب الشام الغربى ووسط غزة و الرملة و بيت المقدس و المدينة الشريفة، و دمشق، و فلسطين و عكا و صيدا، و ما والى ذلك من السواحل على سمتة و هى من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربى.

(وجهة) الشام كلها غير ما ذكر و هى حمص و حماة و سلمية و حلب و منبج و حران و ميافارقين و ما و الاها من البلاد و سواحل الروم ما بين الميزاب و الركن الشامى، موقفهم موقف أهل المدينة و دمشق، لكنهم يتياسرون شيئا يسيرا و الجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى.

(وجهة) الرها و الموصل و ملطية و سميساط و سنجار و الجزيرة و ديار بكر و ما كان على سمت ذلك إلى القبلة من الركن الشامى إلى مصلى آدم عليه السلام.

(وجهة) الكوفة و بغداد و حلوان و القادسية و همذان و الرى و نيسابور و خراسان و مرو و خوارزم و بخارى و نسا و فرغانة و الشاش و ما كان على سمت ذلك، ما بين مصلى آدم عليه السلام إلى قرب باب الكعبة.

(وجهة) البصرة و الأهواز و فارس و كرمان و أصبهان و سجستان و شمال بلاد الصين و ما على سمت ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

(وجهة) وسط بلاد الصين و الهند و المهرجان و كابل و المهديان و التتار و المغل و القندهار(1) و ما و الاها و ما كان على سمتها، من الركن الأسود إلى دون مصلى النبى صلى الله عليه و سلم.

(وجهة) بلاد الهند و جنوب بلاد الصين و أهل التهايم و السد و البحرين و ما و الاها و كان على سمتها، من دون مصلى النبى صلى الله عليه و سلم إلى ثلثى هذا الجدار.

(وجهة) اليمن بأسره ظفار و حضر موت و صنعاء و عمان و صعدة و الشجر و سبأ و ما و الاها و كان على سمتها، من دون الركن اليمانى بسبعة أذرع إلى الركن اليمانى.

(وجهة) الحبشة و الزنج و زيلع و أكثر بلاد السودان و جزائر فرسان و ما و الاها من البلاد و كان على سمتها، من الركن اليمانى إلى ثلثى الجدار و هو آخر الباب المسدود.

ص: 134

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك و سواكن و بلاد البلين و النوبة إلى بلاد التكرورو ما وراء ذلك و ما على سمتة، من بلاد السودان و غيرهم إلى البحر المحيط من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار.

(وجهة) شمال بلاد البجاة و النوبة و أوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد إفريقية و أوسط بلاد بربر و بلاد الجريد إلى البحر المحيط و هي جهة جدة و عيذاب و جنوب أسوان من دون الركن الغربي بثلث الجدار إلى الركن الغربي. انتهى ما لخص من الدائرة و هذه الجهات المذكورة هي من حيث الجملة، و من أراد التحرير في الاستقبال كما ينبغي فليراجع كتب الميقات و ما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد و الله أعلم.

ص: 135

الباب السادس فى فضل مكة زادها الله شرفا و تعظيما و حكم المجاورة بها و ذكر شىء مما ورد فى ذلك

اشارة

ص: 136

قال الله تعالى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا (سورة البقرة: 126) يعنى مكة. قال النسفى:

أى اجعل هذا البلد أو المكان بلدا آمنا أى ذا أمن، أو آمنا من فيه فهذا مفعول أول و بلدا مفعول ثان و آمنا صفة له.

وقال تعالى فى سورة إبراهيم أيضا: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (سورة إبراهيم: 35) بصيغة التعريف و المراد مكة و الفرق بين هذه و بين ما فى البقرة أنه سأل فى الآية الأولى أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها و فى هذه الآية أن يخرجها من صفة الخوف إلى الأمان كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا. كذا فى «المدارك».

وفى «تفسير الكواشى» إنما عرف هنا و نكر فى البقرة لأن النكرة إذا عينت تعرفت.

وقيل دعا مرتين فحكيتا. و قوله بواد غير ذى زرع هو مكة لأنه لم يكن بها يومئذ ماء و لا حرث فكانت هاجر ترضع إسماعيل و تأكل من التمر و تشرب من الماء اللذين جاءت بهما معها إلى أن نفدا و سيأتى الكلام على ذلك فى محله فى فضائل زمزم مستوفى إن شاء الله تعالى. و قال جل و علا وَ صَدَّرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً (سورة النحل: 112) الآية، يعنى مكة شرفها الله تعالى. قال القرطبي: ضربها الله مثلا لغيرها من البلاد أى أنها مع جوار بيت الله و عمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط، فكيف بغيرها من البلاد.

انتهى.

و كانت العرب قد قطعت على قريش و كفار مكة الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و ابتلاههم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة و كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر الناس بحمل الطعام إليهم و هم بعد مشركون كذا فى «المعالم».

وقيل فى تفسير قوله تعالى: فَازْتَقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (سورة الدخان: 10)

ص: 137

أنه دخان قريش هذا. والصحيح أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد. ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصائص، كذا في «المدارك» و الحنيد المشوى على حد قوله تعالى: جاء بِعَجَلٍ حَنِيدٍ (سورة هود: 69) و الخصائص: الخلل. يقال للفرج التي بين الأثافي خصائص. كذا في «الصحاح».

و عنه صلى الله عليه وسلم أن أول آيات الساعة الدخان وأنه يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين ليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، و أما الكافر فيخرج من منخرية و أذنيه و دبره.

وقوله: كَانَتْ أَمِدَّةً أَى من القتل والسبى، وقوله: مُطْمَئِنَّةً لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن و الانزعاج و القلق مع الخوف، وقوله: يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا أَى واسعاً، وقوله مِنْ كُلِّ مَكَانٍ أَى من كل بلد على حد قوله تعالى: يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ (سورة القصص: 57) و معنى الكلية: الكثرة. كقوله: وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (سورة النمل: 23) وقال تعالى مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا (سورة النمل: 91) قال المفسرون: معناه قل يا محمد إنما أمرت أن أخص الله تعالى بعبادتي و توحيدى الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة المشرفة. و خصها بالذكر دون غيرها لأنها مضافة إليه و أحب البلاد و أكرمها عليه، و أشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن بيته و مهبط وحيه. و معنى حرّمها، يعنى جعلها حراماً آمناً لا يسفك فيه دم و لا يظلم فيه أحد، و قال تعالى: لا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (سورة البلد: 1، 2) وقال تعالى: وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (سورة التين: 3) المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية و إسلاماً.

و معنى القسم به فى الموضوعين التنويه بشأنه و الإبانة عن شرفه لما أنه مكان البيت الذى هو هدى للعالمين و مولد سيد المرسلين و مبعث خاتم النبيين.

وقال تعالى: وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَنْخَطِفْ مِنْ أَرْضِنَا (سورة القصص: 57) قال المفسرون: المراد مكة، و سبب نزولها أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لنعلم أن ما تقول حق و لكن نخشى إن اتبعناك على دينك أن تخرجنا العرب من أرضنا يعنى مكة.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها. والنقب- بفتح النون وضمها وكون القاف- هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب.

وفى رسالة «الحسن البصرى» رضى الله عنه التى كتبها لبعض إخوانه بمكة المشرفة يرغبه فى الإقامة بها حين بلغه أنه نوى التحول عنها، قال صلى الله عليه وسلم: خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله عز وجل مكة.

وقال صلى الله عليه وسلم: من مات بمكة فكأنما مات فى السماء الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم: من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام.

وقال صلى الله عليه وسلم: من مرض يوماً واحداً بمكة كتب له من العمل الصالح الذى كان يعمله فى غيرها عبادة ستين سنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أحد يخرج منها إلا ندم و ما من أحد يخرج منها ثم يعود إلا والله عز وجل فيه حاجة.

وقال صلى الله عليه وسلم: المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة، ثم ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها بمائة ألف ما يرفع من مكة(1)، و ما أعلم بلدة على وجه الأرض فيها شراب الأبرار ومصلى الأختيار غيرها.

(أقول): قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج إلى تكرارهما. انتهى.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض يصلى فيها حيث أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلا بمكة قال الله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (سورة البقرة: 125).

ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل إليه بمكة.

ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض إذا دعا أحد بدعاء أمنت الملائكة على دعائه إلا بمكة حول البيت الحرام. ثم ما أعلم بلدة يحشر منها من الأنبياء والصديقين والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة، إنهم يحشرون آمنين يوم القيامة من عذاب الله(2).

ص: 139

1- 279. (1) رسالة الحسن البصرى ورقة 4.

2- 280. (2) رسالة الحسن البصرى ورقة 4.

ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة.

وإياك يا أخى، ثم إياك أن تخرج من مكة، فلو أنه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين حلالا لكان خيرا لك من ألفين فى غيرها. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. انتهى ما نقل من «الرسالة».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لو لا الهجرة لسكنت مكة، إني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان قط أحسن منه بمكة أخرجه الأزرقى.

ويروى أن قريشا وجدوا فى الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه: أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها فى الماء واللبن، وفى رواية أخرى فى الماء واللحم. والأخشبان هما جبلان: أبو قبيس والمقابل له ومكة بينهما.

فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد

(اعلم) أن العلماء أجمعوا على أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الأرض، ويليها بيت المقدس، ثم مكة أفضل من المدينة عندنا، وعند الشافعية والحنابلة وهب و ابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور، وروى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ويستدل على ذلك بأمر (منها) ما تقدم من الآيات.

(ومنها) أن الله تعالى اختار من ولد آدم الأنبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل، ثم اختار منهم أولى العزم وفيهم أقوال وهم خمسة على الأكثر ذكرهم الله فى سورتي الأحزاب والشورى، والمراد بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون.

ثم اختار منهم خليله وحببيه إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من الأماكن خيرها وأشرفها وهى مكة جعلها الله مناسك لعباده مشاعر لوفده وقصاده، وأوجب الإتيان إليها من القرب والبعد ودخولهم إليها متواضعين متخشعين متذللين كاشفين رءوسهم مجردين عن لباس أهل الدنيا فهى خير البلاد وأشرفها.

لطيفة: إن قيل ما الحكمة في تجريد الناس في الإحرام؟ قيل: ليعلم أن باب الله جل وعلا على خلاف أبواب الملوك، لأن العادة جرت أن يتزين الناس باللباس الفاخر إذا قصدوا باب المخلوق ففرق بين بابه و باب غيره.

(وأيضا) من أهدى إلى الملوك ما ليس في خزائهم يكون أرفع قدرا، وليس شيء إلا وهو في خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغننا بالافتقار إليك، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يا رب العالمين.

(ومنها) حديث أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفا بالحزورة يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أخرجت منك ما خرجت(1). وهو حديث حسن أخرجه أصحاب السنن و صححه جماعة منهم الترمذي، وزاد الإمام أحمد واقف بالحزورة في سوق مكة، وقد دخل سوق مكة المذكور في المسجد بعد ذلك.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة وقال: إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله عز وجل، ولو تركت فيك ما خرجت منك. وفي أخرى عنه:

والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله، ولو لا أن قومي أخرجوني الحديث.

وفي رواية ابن عباس ما سكنت غيرك. قال بعض العلماء: الظاهر أن هذه المقالة كانت منه صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية حين سألت قرش النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التي أقامها كما وقع الشرط. ولا يظن أحد أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك حال خروجه للهجرة إلى المدينة، لأنه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر، وإنما كان خروجه إليها مستخفيا كما هو معلوم لا راكبا على راحلته، إذا لو كان كذلك لأشعر بسفره.

وفي «تاريخ الأزرقى» أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عام الفتح، فيحمل على أنه قاله مرتين إذ لا تنافي، ويكون فيه من تعظيم مكة ما لا يخفى.

والحزورة- بحاء مهملة مفتوحة وزاء معجمة- وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة- والحزورة: هي الرابية الصغيرة جمعها حزاور، وكان عندها سوق الحنطين

ص: 141

بمكة قديما، و هي مخففة على وزن قسورة، و المحدثون يشددون الحزورة و الحديبية، و الصواب التخفيف كذا قال الشافعي و الدارقطني.

و منها: حديث ابن الزبير رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام، و صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي» رواه أحمد.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» إنه ثابت لا يطعن فيه أن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه و سلم بمائة مذهب عامة أهل الأثر. انتهى.

و ذهب الإمام مالك و جمهور أصحابه إلى تفضيل المدينة، و هو مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه و كثير من الصحابة و أكثر أهل المدينة، و استدلووا بقوله صلى الله عليه و سلم: ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة، مع قوله صلى الله عليه و سلم: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا و ما فيها.

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه و لا يقاوم النص الوارد في فضل مكة. ثم ساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء المتقدم، و قال هذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه.

و أما الحديث المروى: اللهم إني أعلم أنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلى فأسكنني أحب البلاد إليك. لا يختلف أهل العلم في نكارتة و وضعه، و سئل عنه الإمام مالك رضى الله عنه فقال لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. انتهى.

قال الطبري: و على تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله فأسكنني في أحب البلاد يدل سياقه في العرف على أن المراد به بعد مكة، فان الإنسان لا يسأل ما أخرج منه فإنه قال:

أخرجوني فأسكنني فدل على إرادة غير المنخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى.

و أما الحديث الذي فيه المدينة خير من مكة لا يرد، لأنه ضعيف بل قيل موضوع.

قال الجدي رحمه الله: فإن قلت ورد في الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة، و دعوته صلى الله عليه و سلم مستجابة بلا شك، و فيهما أيضا أن الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون و لا الدجال.

قلت: هذه الأحاديث ونحوها تدل على فضيلة المدينة لا أفضليتها على مكة كما لا يخفى، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وفي رواية وأشد لا دلالة فيه أما على رواية أو أشد فظاهر لوجود الشك، وأما على رواية وأشد بدون ألف أو بها وتكون بمعنى الواو فلأن سؤاله صلى الله عليه وسلم حصول أشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكنه مكة تسلية عنها لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله بشهادة التأمل. انتهى.

فصل

(واعلم) أن جميع ما سبق من الفضل فيما قدمته محله في غير الموضوع الذي ضم أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم أما محل قبره فقد نقل القاضى عياض رحمه الله فى «شرح مسلم» الإجماع على أنه أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة وأن الخلاف فيما سواه، ولقد أحسن وأبدع من قال فى المعنى:

جزم الجميع بأن خير الأرض ماقد حاط ذات المصطفى وحوها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه أن يقال: إن الكعبة الشريفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعا ما عدا موضع القبر الشريف.

تنبيه: روى ابن عبد البر فى «التمهيد» أن المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه عندما خلق. قال شيخ الإسلام ابن حجر: وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار أن جبريل أخذ التراب الذى خلق منه النبي صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة إن صح ذلك والله أعلم.

انتهى.

قال بعض العلماء: يؤخذ من قولهم المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه أفضلية سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم المقتضى لكون طينتهما التى خلقا منها من البقعة التى خلق منها النبي صلى الله عليه وسلم.

ص: 143

فائدة: قال ابن حزم التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضا وان كانت من الحل.

فصل

اشارة

واعلم أن لمكة أسماء كثيرة (1) قد ذكرها الله تعالى في ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال النووى رحمه الله: لا يعلم بلد أكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية.

فالأول: مما فى التنزيل مكة، وذلك فى سورة الفتح فى قوله بِبَطْنِ مَكَّةَ.

الثانى: بكة فى سورة آل عمران قوله تعالى لِلَّذِي بِبَكَّةَ واختلف فى هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فعن الضحاك ومجاهد أنهما بمعنى واحد.

وصححه ابن قتيبة محتجا بأن الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد رأسه وسمده إذا استأصله، واختلف القائلون بالثانى فقليل بكة بالباء موضع البيت. قاله ابن عباس وإبراهيم النخعى، وقيل ما بين الجبلين قال عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهري و زيد بن أسلم وأما بالميم فقليل القرية، وقيل الحرم كله، وقيل ذى طوى، وقيل ما حوالى البيت واختلف فى اشتقاقها، فقليل سميت مكة لأنها تمك الجبابرة أى تهلكهم وتذهب نخوتهم وأنشدوا فى معناه:

يا مكة الفاجر مكي مكاو لا تمكى مذحجا وعكا

وقيل إنها تمك الفاجر عنها أى تخرجه، وقيل إنها تجهد أهلها مأخوذ من قولهم تمككت العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك الاستقصاء. وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع أمه: إذا امتصه، ولم يبق فيه شيئا، وقيل لقللة مائها، وقيل لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ومكة لا تنصرف للعلمية والتأنيث. وأما بكة فقليل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ما قصدها جبار بسوء إلا- قصمه الله وقيل لآزدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا، أى يزحمه فى الطواف قاله ابن عباس، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين.

ص: 144

الثالث: البلدة و ذلك فى سورة النمل.

الرابع: البلد، و ذلك فى سورة لا أقسم و التين.

الخامس: القرية، و ذلك فى سورة النحل، و قد تقدم الكلام على هذه الآيات أنفا مستوفى.

السادس: أم القرى فى قوله تعالى فى سورة الشورى لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ أَيْهَا، و فى تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها أن الأرض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس، و قال ابن قتبية لأنها أقدم الأرض، ثانيها: لأنها قبله يؤمها الناس، ثالثها: لأنها أعظم القرى شأنًا. رابعها: لأن فيها بيت الله تعالى، و لما جرت العادة بأن الملك و بلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أما لأن الأم متقدمة كذا فى القرى.

السابع: معاد بفتح الميم فى قوله تعالى فى سورة القصص إِنَّ الَّذِي فَضَّصَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ أَيْ مَكَّةَ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(الثامن) الوادى فى قوله تعالى فى سورة إبراهيم بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ المراد به مكة كما تقدم أنفا فى تفسير الكواشى و أما ما ذكر من أسماء مكة (فى غير القرآن) فكثير (من ذلك) تسميتها بالناسة بالنون و السين المهملة المشددة و معنى ذلك أنها تنس من أُلحد فيها أى تطرده و تنفيه. ذكره النووى و غيره (و من ذلك) النساسة بالنون و تشديد السين الأولى - و المعنى فى ذلك كالمعنى فى الناسة، (و من ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره الأزرقى، (و من ذلك) صلاح - بصاد مهملة مفتوحة و حاء مهملة - و سميت بذلك منها، و قد جاء فى قول أبى سفيان بن حرب لابن الحضرمي (1):

أبا مطر هلمّ إلى صلاح فيكفيك الندامى من قريش

و تنزل بلدة عزت قديماو تأمن أن يزورك رب جيش

ص: 145

و هو مبنى على الكسر كحذام وقطام و ما وازنهما، وقد تصرف كما فى شعر أبى سفيان.

(و من) أسمائها (العرش) بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة (و من) أسمائها (العرش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضا وعزاه إلى قول ابن سيده(1).

(و من) أسمائها (القادس) نقله الفاسى عن صاحب المطالع، و هو مأخوذ من التقديس أى التطهير يعنى أنها تطهر من الذنوب(2).

و من أسمائها (المقدسة) ذكره النووى وغيره والمعنى فيه كما فى الذى قبله.

و من أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (أقول): ويكون المعنى واللّه أعلم الطاهرة، على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوى. انتهى.

و من أسمائها (كوثى) ذكره الأزرقى(3) عن مجاهد. ونقله السهلبى أيضا فى روضه وكذا صاحب المطالع إلا أنه قال: باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار. وأفاد الفاسى عن الفاكهى أن كوثرى فى ناحية قعيقعان. وقيل: إن كوثرى جبل بمنى. وهى: بكاف مضمومة و ثاء مثلثة(4).

و من أسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين.

و من أسمائها (برة).

و من أسمائها (المسجد الحرام).

و من أسمائها (المعطشة) ذكر هذه الأربعة العلامة ابن خليل فى «منسكه» فأما برة و المعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى. و فى القرآن العظيم ما يشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كما نقله المرجانى عن ابن مسدى (أقول): و لعله أراد قوله تعالى فى سورة الفتح لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْآيَةَ (سورة الفتح: 27) فإن المراد مكة كما ذكره المفسرون و اللّه الموفق.

ص: 146

1-284. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 80.

2-285. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 80.

3-286. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 281.

4-287. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 80.

و من أسمائها (الرتاج)- براء مهملة و تاء مثناة من فوق و ألف ثم جيم- نقله المحب الطبرى فى «شرح التنبيه» حسبما ذكره ابن جماعة.

و من أسمائها (أم رحم)- براء مهملة مضمومة- كذا حكى عن مجاهد لأن الناس يتراحمون فيها و يتوادعون.

و من أسمائها (أم زحم) بزاي معجمة من الازدحام. نقله الفاسى عن الرشاطى رحمهما الله(1).

و من أسمائها (أم صبح(2)) و من أسمائها (أم روح) ذكرهما ابن الأثير فى كتابه «المرصع».

و من أسمائها (بساق) ذكره ابن رشيق فى «العمدة» مستدلا بشعر لأمية بن حريثان(3).

و قيل إن بساق بلدة بالحجاز و هو بباء موحدة و سين مهملة و ألف و قاف.

و من أسمائها (البيت العتيق) ذكره الأزرقى(4) وغيره.

قال الفاسى: و لعل ذلك من تسمية الكل باسم البعض، و هو مجاز شائع، لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ هذا المعنى(5). انتهى.

(أقول): على هذا يكون لمكة فى القرآن عشرة أسماء بل و أكثر عند التتبع و التدبير فتأمل و الله الموفق.

و من أسمائها (الرأس) ذكره النووى و السهيلي وغيرهما. و المعنى أنها أشرف الأرض كرأس الإنسان فإنه أشرف أعضائه.

ص: 147

1-288. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 81.

2-289. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «أم صح» و صوابه لدى الفاسى.

3-290. (3) تحرف فى المطبوع إلى: «حرتاه» و صوابه لدى الفاسى، و الشعر هو: سأستعدى على الفاروق ربّاله عمد الحجيج إلى بساق

4-291. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 280.

5-292. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 82.

و من أسمائها (المكتان) ذكره الفاسى عن شيخه بالإجازة برهان الدين القيراطى ثم قال: ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدى:

بيطن المكتين على رجائى حديثك أن رأى منه خروجاً(1)

قال السهلى بعد أن ذكر هذا البيت: ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر، وإنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى، انتهى(2).

و من شعر عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى فى حصار عثمان بن عفان رضى الله عنه:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما وأنصارنا بالمكتين قليل

و أسلمنا أهل المدينة والهوى إلى أهل مصر و الذليل ذليل(3)

و من أسمائها (النايبة) بالنون و الموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى «تفسيره»(4).

و من أسمائها (أم الرحمن(5)) و من أسمائها (أم كوئى) ذكرهما المرجانى و عزا بالأول إلى ابن العربى و لم يعز الثانى و لم يذكر له معنى(6).

و من أسمائها (الباسة)- بالباء الموحدة و السين المهملة- لأنها تس الملحد فيها أى تهلكه من قوله تعالى وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا و من أسمائها (النساسة) لأنها تس الملحد أى تطرده، و قيل لقله مائها و النس اليبس ذكرهما ابن جماعة.

و من أسمائها (الناشة)(7) بالنون و الشين المعجمة.

(و البساسة)- بموحدة و سينين مهملتين بينهما ألف- و المعنى فيه ظاهر.

ص: 148

1- 293. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 82.

2- 294. (2) نقله الفاسى فى الشفاء ج 1 ص 83.

3- 295. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 83.

4- 296. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 83.

5- 297. (5) فى المطبوع: «أم الرحمة» و المثبت رواية د، و الفاسى و السنجارى.

6- 298. (6) شفاء الغرام ج 1 ص 83.

7- 299. (7) تحرف فى المطبوع إلى: «الناشئة».

(و سبوحة و السلام و العذارى و نادرة و العرش) بضم العين و الراء المهملتين بعدهما شين معجمة (و العروش) بزيادة واو (و الحرمة) بضم الحاء المهملة (و الحرمة) بكسرهما (و العروض و السيل و مخرج صدق و قرية الحمس و أم راحم) و المعنى ما تقدم فى أم رحم (و قرية النمل و نقرة الغراب) و الحمس: قريش فهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجد الدين الشيرازى مع ذكر غيرها أيضا مما تقدم و مما سأتى مما ذكره غيره(1).

و من أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهد و فوائده فليراجع «شرح صحيح البخارى» للقاضى مجد الدين المذكور إن وجده.

قال الفاسى رحمه الله قلت: قرية النمل و نقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، و عدّهما بعضهم اسمين مجازا. فإن كان شيخنا مجد الدين لحظ كونهما اسمين لززم و سمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض و هو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة الصفا و المروة و الحزورة و غير ذلك من المواضع المشهورة بمكة، و قوله و قرية الحمس إن كان لحظ فى تسميته مكة بذلك أن الحمس كانوا سكان مكة فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة قرية العمالق و قرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس، اللهم إلا أن تكون تسمية مكة بقرية النمل و نقرة الغراب و قرية الحمس منقولة عن أهل اللغة، فلا يقاس عليه غيره، و الله أعلم. انتهى ما قاله الفاسى(2).

أقول: و هو كلام عظيم و بحث عظيم مستقيم لكن فى تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالق و جرهم و غيرهم من سكانها قبلهم أوفى دليل على فضل قريش و مزيد شرفهم و ذلك لتميزهم بكونهم أهل الله. و تسميتهم بذلك و هم فى حال الشرك لما ورد فى حقهم من الآيات و الأحاديث و الأخبار التى ستقف عليها فيما سيأتى مفصلا فى محله. إن شاء الله تعالى، و كيف و منهم سيد البشر محمد صلى الله عليه و سلم انتهى.

و من أسماء مكة أيضا: (البنية و فاران) ذكرهما ياقوت الحموى.

1-300. (1) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 75 و ما بعدها.

2-301. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 76.

وقد نظم القاضي أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهى:

لمكة أسماء ثلاثون عدّدت و من بعد ذلك اثنان منها اسم مكة

صلاح و كوثى و الحرام و قادس و حاطمة البلد العريش بقرية

و معطشة أم القرى رحم ناسّة و ناساسة رأس بفتح لهزمة

مقدسة و القادسة ناشة و رأس و تاج أم كوثى كبرة

ستوحة عرش أم رحمن عرشنا كذا حرم البلد الأمين كبلدة

كذلك اسمها البلد الحرام لأنّها بالمسجد الأسنى الحرام سمّت

و ما كثرة الأسماء إلا لفضلها حباها بها الرحمن من أجل كعبة (1)

و ما أحسن ما أنشده بعض العلماء على لسان حال النبى صلى الله عليه و سلم فى مكة شرفها الله تعالى.

أحب بلاد الله ما بين منهج إلى و سلمى أن تصوب سحابها

بلاد بها نيطت علىّ تمائى و أول أرض مسّ جلدى ترابها

و لبعضهم من قصيدة طويلة فى المفاخرة بين مكة و المدينة:

لمكة مجد باذخ الركن و القنن و فضل منيف باسق الدوح و الفنن

و مكة فيها كعبة الحسن كله و زينها فى خدها خالها الحسن

و مكة للمختار مسقط رأسه و كان له فيها احتضان لمن حضن

و فى مكة منشأ أبيه و جده و أعمامه و الأصل و الفرع و الشجن

و فى مكة و افاه جبريل أولوا كلمه بالوحى فى السر و العلن

ص: 150

وفى مكة كانت مبادئ كلامه وإنزاله القرآن والخير فى قرن

وفى مكة أبدى الهدى نور وجهه و كانت بها من قبل بشرى ابن ذى يزن

وفى مكة أسرى به الله ربه و طاف به السبع السموات فى سنن

وفى مكة فتح مبين تنزلت به سورة بانت بفضل لها ابن

وفى مكة كانت ولادة نسله و ما أنجبت منه خديجة فى الحجن

وفى مكة موطن الخليل و داره و زمزمه و الحجر و المنزل الأغن

و هى طوبىلة و هذا بعض منها يستدل به على المراد.

فائدة: إذا كتب بدم المعروف على جبينه: مكة وسط الدنيا و الله رءوف بالعباد انقطع الدم.

(و من خصائص مكة شرفها الله تعالى) أن من واطب فيها على أكل اللحم و شرب الماء فقط لم يضر ذلك باطنه، و فى غيرها يحصل منه الضرر. أخرجه الأزرقي.

(فرع) اختلف العلماء فى المجاورة بمكة المشرفة: فذهب إمامنا أبو حنيفة رضى الله عنه و طائفة من العلماء منهم ابن رشد من المالكية و القاضى أبو الطيب من الشافعية إلى كراهة المقام بها لأسباب ثلاثة:

أحدها: خوف التقصير فى حرمتها و التبرم إذ ملازمة المكان تفضى إلى قلة المهابة و التعظيم و لذلك كان عمر رضى الله عنه يأمر الحاج بالرجوع إلى أوطانهم.

الثانى: تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود كما قال بعض العلماء لأن تكون فى بلد و قلبك مشتاق إلى مكة خير لك من أن تكون فيها و أنت متبرم بالمقام و قلبك فى بلد آخر.

الثالث: الخوف من ارتكاب الخطايا بها فإن ذلك محذور كبير. و مع ذلك فلا يظن أحد أن كراهة المقام بمكة يناقض فضل الكعبة لأن هذه كراهة سببها ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله تعالى كذا قاله الغزالي.

و عن عمر رضى الله عنه أنه قال: لخطيئة أصيبتها بمكة أعز على من سبعين خطيئة بغيرها.

و ذهب الشافعى و أحمد و غيرهما من العلماء منهم أبو يوسف و محمد من أصحابنا و ابن القاسم من المالكية إلى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التى لا تحصل فى غيرها و تضعيف الصلوات و الحسنات و غير ذلك و الفتوى عندنا على قول الصحابين كما صرح به الفارسى فى منسكه عن المبسوط و الدليل على الاستحباب ما تقدم من حديث أبى الحمراء و قول عائشة فلا نعيده.

فائدة: قال ابن الجوزى فى «مثير العزم» بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة أربعة و خمسين رجلا و من التابعين جماعة كثيرة. و قد جاور بها عبد الله بن عمر و جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

تنبيهان:

الأول: ما تقدم من الكلام محله فى المجاورة فقط من غير سكنى، و أما السكنى و الانقطاع فهو بالمدينة أفضل، و يشهد له ما ثبت من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه و سلم قال:

لا يصبر على لأوائها و شدتها أحد إلا كنت له شفيعا و شهيدا يوم القيامة. و فى الصحيحين:

اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة و أشد، و صححها و بارك لنا فى صاعها و مدها و انقل حماها إلى الجحفة. و هى رابع، و لم يرد فى سكنى مكة شىء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق.

الثانى: روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة. و فى الترمذى من حديث عمر مرفوعا: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها. فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة أفضل من الموت بمكة لهذه الأحاديث، و لأنه من لازم أفضلية السكنى بها على السكنى بمكة المشرفة، و إن كان قد ورد ما يقتضى أن الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا فى «منسك» الجد نور الله ضريحه، و الله تعالى أعلم.

الباب السابع فى فضل الحرم و حرمة و المسجد الحرام و زيادة الثواب للعامل فيه على غيره و تضعيفه و ذكر شىء من خبر عمارته و توسعته

إشارة

قال الله تعالى: أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا الْآيَةَ، وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية فى الباب الخامس.

لطيفة: قال النسفى: وإسناد الأمان المذكور إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم ومجاز، وقال الله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا الْآيَةَ.

(واعلم) أن حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبه، وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفًا لها، (وفى سبب) كون هذا القدر المخصوص حرماً. أقوال: فقييل: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض، وهم يومئذ الجن والشياطين، فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقوا فى موضع أنصاب الحرم من كل جانب، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرماً، وقيل: إن الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام فى الكعبة حين بناها أضواء يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور. وقيل: أهبط الله البيت إلى آدم، وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهاباً، وله بابان شرقى وغربى، فأضواء نوره ما بين المشرق والمغرب ففزع لذلك سكان الأرض ورقوا فى الجو ينظرون من أين ذلك النور، فلما رأوه من مكة أقبلوا إليه فأرسل الله الملائكة فقاموا فى مكان الأنصاب فمنعتهم، فمن ثم ابتداء اسم الحرم، وقيل غير ذلك.

(و أول) من نصب أنصاب الحرم إبراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام، ثم جددها قصي بن كلاب بعد ذلك. وقيل بل جددها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه ثم قصي بعده. وقيل: إن أول من نصبها عدنان بن أد حين خاف أن يدرس الحرم ثم نزعها قريش بعد ذلك و النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه، فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره أنهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش فى المنام كأن قاتلاً يقول: حرم أعزكم

اللّٰه به و منعكم، نزعتم أنصابه! الآن تتخطفكم العرب فأعادوها، فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى اللّٰه عليه و سلم بذلك، فقال له صلى اللّٰه عليه و سلم هل أصابوا في ذلك، فقال جبريل عليه السلام: ما وضعوا نصبا إلا بيد ملك، ثم جددت عام الفتح بأمره صلى اللّٰه عليه و سلم، و جددت أيضا في زمن عمر و عثمان و معاوية و عبد الملك بن مروان و المهدي العباسي(1).

و اختلف العلماء في مكة و حرمها هل صار آمنا بسؤال الخليل عليه السلام؟ أم كان ذلك منذ خلق اللّٰه السموات و الأرض. الصحيح الثاني، و يشهد له ما رواه ابن عباس رضی اللّٰه عنهما أن النبي صلى اللّٰه عليه و سلم خطب يوم فتح مكة فقال: إن هذا البلد حرمه اللّٰه يوم خلق السموات و الأرض و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، و لم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة اللّٰه تعالى إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، و لا ينفر صيده و لا يلتقط لقطته إلا من عرّفها، و لا يختلى خلاه إلى آخر ما قاله صلى اللّٰه عليه و سلم فقال العباس: يا رسول اللّٰه، إلا الإذخر(2)، فإنه لقينهم و لبيوتهم(3)، فقال: إلا الإذخر(4). متفق عليه، و ورد في لفظ في الصحيحين و لا يعضد شجرها، يعنى مكة و المراد الحرم.

سؤال: إن قيل قد ثبت عنه صلى اللّٰه عليه و سلم إن إبراهيم حرم مكة و إنى حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام. أوجب عنه بأن إبراهيم عليه السلام إنما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجورا و سببه أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الشريف و نسى ذلك الحكم و هجر، و الذى تجدد بسؤال إبراهيم هو أن يجعله آمنا من الجذب و القحط و أن يرزق أهله من الثمرات. و العضد فيما تقدم القطع، و المراد من تنفير صيده أن لا يصاح عليه فينفر.

ص: 154

1-303. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 86.

2-304. (2) الإذخر: نبات عشبي، من فصيلة النجيليات، و له رائحة ليمونية عطرة، و أزهاره تستعمل منقوعا كالشاي، و يقال له أيضا: طيب العرب، و الإذخر المكي من الفصيلة نفسها، جذوره من الأفوايه، ينبت في السهول و في المواضع الجافة الحارة، و يقال له أيضا: حلفاء مكة.

3-305. (3) لقينهم و لبيوتهم: القين: هو الحداد و الصائغ، و معناه يحتاج إليه القين في وقود النار، و يحتاج إليه في القبور لتسدّ به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة، و يحتاج إليه في سقوف البيت، يجعل فوق الخشب.

4-306. (4) أخرجه مسلم: كتاب الحج: باب تحريم مكة و صيدها و خلاها ... ج 2 ص 423 و انظر لذلك أيضا: شفاء الغرام ج 1 ص 108.

أقول: إذا كان المراد من التنفير ما ذكر فمن باب أولى أن لا يضرب بعصا و حجر و نحوه كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكثر و يستفاد من ذكر الصيد العموم، سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره مما يدخل من الحل إليها، لأنه بالدخول استفاد الأ من كما صرح به علماؤنا في فروعهم. انتهى.

و عن عكرمة، تنفير الصيد: أن تحيه من الظل و تنزل مكانه. و الخلا- بفتح الخاء و القصر: الحشيش إذا كان رطبا فإذا يبس فهو حشيش و هشيم، و الاختلاء القطع أيضا، و الإذخر نبت طيب الريح معروف عند أهل مكة. و في حكم الإذخر: السنا و نحوه مما يحتاج إليه.

أقول: لقائل أن يقول: هذا إذا كان ما يحتاج إليه من الإذخر و نحوه لا ينبت إلا في الحرم فقط، و أما إذا نبت فيه و في الحل فينبغي أن يترك ما في الحرم و يؤخذ مما في الحل امتثالا للحديث و عملا بمقتضاه، و إن كان في ذلك مشقة، لأنه حينئذ يكون أخذا بالعزيمة و الاستثناء في الحديث للرخصة. انتهى.

و التمين: الحداد لأنه يحتاج إليه في عمل النار و احتياج البيوت لأجل السقوف و استثناءه صلى الله عليه و سلم على الفور. تمسك به من الأصوليين من يقول بجواز الاجتهاد منه صلى الله عليه و سلم أو تفويض الحكم إليه. ثم قيل إن السبب في سؤال العباس رضى الله عنه كونه من أهل مكة، و قد علم أنه لا بد لهم منه.

أقول: غير العباس من قريش من أهل مكة أيضا و لم يسأل، فإما لكونه لم يعلم أنهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدبا مع العباس لمكانته و فضله و قربه منه صلى الله عليه و سلم فتأمل انتهى.

قال شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله في «فتح البارى» ناقلا عن ابن التين: و الحق أن سؤال العباس كان على وجه الضراعة، و ترخيص النبي صلى الله عليه و سلم كان تبليغا عن الله إما بطريق الوحي أو الإلهام، و من ادعى أن نزول الوحي يحتاج إلى أمد متسع فقد وهم. انتهى.

واعلم أن لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفه وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره.

فمن فضائله: ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضا أنه قال: حج الحواريون فلما بلغوا الحرم، مشوا تعظيما له.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما عقر ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله عز وجل فمنعه الحرم، فقالوا:

من هو يا رسول الله؟ فقال: أبو رغال أبو ثقيف. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه (1). رواه مسلم.

ورغال- بالغين المعجمة- وقوله: أبو ثقيف يعنى جدهم، ونقل الزمخشري أن النبي صالحا عليه السلام وجه أبا رغال على صدقات فأساء السيرة فقتله ثقيف، وهو الذى يرجم قبره بمكة. وقيل: إنه دليل أبرهة إلى البيت. انتهى.

ويقال: إن قبره بالمغمس باقى إلى الآن والله أعلم. وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا أراد قضاء حاجته يخرج إلى المغمس.

ونقل عن الشيخ أبى عمرو والزجاجي أحد مشايخ الصوفية المشهورين، أنه أقام أربعين سنة بمكة لم يبيل ولم يتغوط فى الحرم (2). وأما خصائص الحرم المطهر فتجل عن الحصر.

ومنها: أنه لا يدخله أحد إلا بإحرام. وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بين الأئمة رضى الله عنهم. والوجوب مذهبنا.

ومنها: تحريم صيده على جميع الناس، سواء فى ذلك أهل الحرم وغيرهم وسواء

ص: 156

1-307. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 116.

2-308. (2) طبقات الصوفية للسلمى ص 431.

المحرم منهم و الحلال. بل يجب عندنا إرسال صيد الحل إذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله، وإن ذبح حرم أكله.

و منها: تحريم قطع شجره و حشيشه كما تقدم فى خطبة الفتح.

و منها: أن من دان بغير دين الإسلام منع من دخوله مقيماً كان أو ماراً كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى و جمهور الفقهاء، ما عدا إمامنا أبا حنيفة رضى الله عنه و رحمه فإنه جوز ذلك لمن لم يستوطن.

و منها: أن لقطته لا تحل لتملك، وإنما تحل لمنشد و هذا مذهب الشافعى رضى الله عنه و أرضاه و عند الأئمة الثلاثة أن حكم لقطه الحرم كغيره من البلاد. و المذهب عندنا أنها تحل للمعرف بعد سنة. و المراد بالمنشد عندنا: المعرف. و عند الشافعى المالك.

و منها: تحريم دفن المشرك فيه و لو دفن ينبش ما لم يعلم تقسخته.

و منها: تغليظ الدية بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمداً أو خطأً عند الشافعية و الحنابلة كما نقله ابن جماعة فى «منسكه». قال الفاسى: و فيما نقله عن الشافعية نظر، لأن الصحيح عندهم أن التغليظ باعتبار التثليث بأن يكون ثلاثين حقة و ثلاثين جذعة و أربعين خلفه، و هذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة (1). و الله أعلم.

و منها: تحريم إخراج أحجاره و ترابه إلى الحل سواء قل أو كثر كما هو مذهب الشافعى و عندنا إنما يحرم إخراج الكثير من ذلك المؤدى إلى التخريب، و أما إخراج القدر اليسير للتبرك فلا بأس به. و يكره إدخال ذلك من الحل إليه لئلا يحدث لها حرمة لم تكن له.

و منها: أن ذبح دماء الهدايا و الجبرانات مختص به و لا يجوز فى غيره.

و منها: أن المتمتع و القارن إذا كانا من أهله لا دم عليهما عند مالك و الشافعى و أكثر العلماء، لكونهما من حاضرى المسجد الحرام، و هذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافاً لمذهبننا.

و منها: أن الصلاة النافلة التى لا سبب لها لا تكره فى وقت من الأوقات سواء فى ذلك مكة و سائر الحرم، بخلاف خارج الحرم فإنها هناك مكروهة و هو مذهب الشافعى، و خالف

ص: 157

أصحابنا فى ذلك وأطلقوا الكراهة. و استدلل الشافعى رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحد يصلى عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار(1). أخرجه الدارقطنى.

و جوز البيهقى فى المراد بالصلاة احتمالين: أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال: وهو الأشبه بالآثار. و الاحتمال الآخر أن يكون المراد جميع الصلوات. قال ابن جماعة: و لفظ حديث الدارقطنى يرد الاحتمال الأول الذى ذكره البيهقى و فيه بعد. و منع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهى كما هو مذهبنا.

و مذهب المالكية و الله أعلم أنه أشبه بالآثار و تأول بعضهم الصلاة على الدعاء.

و منها: أن الإنسان إذا نذر قصده لزمه الذهاب إليه بحج أو عمرة كما هو مذهب الشافعى و الإمامين أبى يوسف و محمد من أصحابنا، بخلاف غيره من المساجد فإنه لا يجب الذهاب إليه إذا نذره إلا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و المسجد الأقصى على الأصح عند النووى، و فيه خلاف بين العلماء.

و منها: تضعيف الأجر فى الصلاة بمكة و كذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من أهل العلم، و حكم سائر أنواع الطاعات فى التضعيف حكم الصلاة و ستقف عليه قريبا إن شاء الله تعالى.

و منها: إذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها و التصديق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعى. و عندنا يجوز على غيرهم أيضا، و قد تقدم. و لو نذر ذلك فى بلد آخر لم يصح نذره على الراجح.

و منها: تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبرى فى «القرى» عن مجاهد و أحمد بن حنبل، و كذلك نقل عن غيرهما من العلماء. و الصحيح من مذاهب العلماء أن السيئة بالحرم كغيره.

و منها: أن المقيم بالحرم لا يجوز له إحرام الحج إلا منه.

و منها: أن المستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد فى المسجد الحرام لا فى الصحراء

ص: 158

بخلاف غيرهم، وذلك لفضيلة البقعة ومشاهدة الكعبة. وذهب جماعة من العلماء منهم الغزالي إلى أن حكم المسجد الأقصى في ذلك كمسجد مكة. و مال النووي إلى خلاف ذلك. قال لم يتعرض الجمهور له و ظاهر إطلاقهم أنه كغيره.

ومنها: أن الإنسان يؤاخذ بهمه بالسيئة بالحرم و إن كان بعيدا عنه كما يروى من حديث عبد الله بن مسعود في قوله عز و جل و مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ الآيَةَ، أنه قال: لو أن رجلا هم فيه بالحاد و هو بعدن أبين لأذاقه الله عز و جل عذابا أليما، و وجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيره من البلاد إذا هم الإنسان فيه بسيئة لا يؤاخذ بها إلا إذا عملها كما هو موجب حديث ابن عباس رضى الله عنه صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عن ربه عز و جل في كتابة الحسنات و السيئات، و إن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة و إن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة، و هذا الحديث في الصحيحين و ظاهره يقتضى عموم البلاد في حق هذا الحكم فيدخل الحرم في ذلك لكن حديث ابن مسعود المتقدم آنفا يخص الحرم و الله أعلم.

ومنها: و جوب قصده في كل سنة على طائفة من الناس لإقامة فريضة الحج.

ومنها: اختصاص حمام مكة في الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب في الحرم كما هو مذهب مالك و الشافعى رحمهما الله تعالى.

ومنها: أن الجراح يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه. كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين.

ومنها: أن أهل الحرم لا يقاتلون إذا بغوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك و قال القفال من الشافعية أنه يمتنع أيضا قتال الكفار بالحرم إذا تحصنوا فيه و هو مقتضى مذهب مالك رحمه الله نص عليه ابن الحاجب في مختصره و ذهب أكثر العلماء إلى جواز قتال الكفار و البغاة بمكة تقديمًا لحق الله تعالى كما صححه النووي، و أجابوا عن الأحاديث الصحيحة الواردة في تحريم القتال بمكة بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمنجنيق و شبهه إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا

تحصن كفار في بلد آخر، فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شىء. و ذكر أن الشافعى رحمه الله نص على هذا التأويل.

ومنها: عند إمامنا أبي حنيفة أن القاتل عمدا والزانى المحصن والحربى الذى بغير أمان إذا لجأوا إلى الحرم لا يقتل الأول، والثالث ولا يقام الحد على الثانى ما داموا فى الحرم، بل يضيق عليهن حتى يخرجوا منه ويستوفى من كل ما وجب عليه. وهذا إحدى الروایتين عن الإمام أحمد ومذهب مالك والشافعى أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحد.

ومنها: على ما قال ابن الصلاح من الشافعية لا يجوز أخذ شىء من مساويك الحرم.

وذكر ابن الحاج من المالكية أنه يجوز.

ومنها: أن المستنجى بحجارة الحرم مسىء ويجزئه ذلك قاله الماوردى.

ومنها: أنه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعى لما رواه جابر فى الصحيحين.

ومنها: أن الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وأن لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم فى مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر فى فضل منى. وفى كلام السهيلي ما يقويه أيضا.

ومنها: أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معنى ما رواه ابن الحضرمى عن النبى صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أن الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ عمر بن شبة فى «أخبار مكة» واستدل بحديث ورد فى ذلك نقله العلامة ابن حجر فى فتح البارى. وذكر أن رجاله رجال الصحيح ثم قال: وعلى هذا فالذى نقل أنه وجد فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب إن تحقق ذلك بجواب القرطبي وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذى فى غيرها كطاعون عمواس والجارف، وهو جواب صالح على تقدير التنزل أن لو وقع شىء من ذلك بها. انتهى.

ومنها: أن سبيل الحل لا يدخل الحرم وإنما يخرج من الحرم إلى الحل، وإذا انتهى سبيل الحل إلى الحرم وقف.

و منها: أيضا خصال خمس تتعلق بمنى:

الأولى: أن حصى الجمار على كثرته و تزايدته فى كل عام يمتحق و يرى على قدر واحد و قد ورد أن ما تقبل رفع و لو لا ذلك لصار ركاما.

الثانية: أن اللحوم فى أيام متى تشرق و توضع على الجدران و على صخرات الجبال و أسطح البيوت و هى محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور، و قد شوهد أن الحدأة إذا رأت شيئا أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه لكى تخطفه و هى تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع أن ترزأ منها شيئا. و قيل: إنما سميت أيام التشريق لهذا المعنى.

الثالثة: أن الذباب فى أيام منى لا يقع على الطعام بل يؤكل العسل و نحوه فلا يقع فيه، بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب فإذا انقضت تلك الأيام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام و فى ذلك عبرة.

الرابعة: اتساعها للحجيج. روى أبو الدرداء رضى الله عنه قال: قلنا يا رسول الله إن أمر منى لعجيب هى ضيقة فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: إنما مثل منى كالرحم إذا حملت وسعها الله تعالى.

الخامس: أن البعوض تكون كثيرة بمنى فى طول السنة إلا فى أيام الموسم فإنها تقل فيها جدا. ذكره أبو سعيد فى «الوفا».

أقول: بل لعل البعوض لا يوجد فى أيام الموسم بمنى، و إن وجد القليل منه فلا يؤذى و قد جربت ذلك و الله الموفق.

فصل

إشارة

و أما المسجد الحرام فاعلم أن له أربعة استعمالات:

أحدها: نفس الكعبة لقوله تعالى: **قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.**

الثانى: الكعبة و ما حولها من المسجد. قال النووى: و هو الغالب، و استدلل له بقوله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** إذ المراد به نفس المسجد فى قول أنس بن مالك رضى الله عنه و رجحه الطبرى. و فى الصحيح ما يقويه و عليه فهل كان الإسراء

من الحجر أو من الحطيم قولان، وقيل أسرى به من بيت أم هانئ. وقيل من شعب أبي طالب فيكون المراد على هذا في هذه الآية مكة كما في القول الآتي.

قال ابن المنير: وهذه الآية لا تنافي شيئا من هذه الروايات الأربع، لأن المسجد الحرام مكة بل الحرم بجملته وهذه البقاع كلها داخلية في اللفظ. انتهى.

الثالث: جميع مكة لقوله تعالى: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (سورة الفتح: 27) قال ابن عطية: وأعظم القصد هنا مكة.

الرابع: جميع الحرم الذي يحرم صيده ومنه قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (سورة التوبة: 7) وعهدهم إنما كان بالحديبية، وهي من الحرم وكذا قوله:

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (سورة التوبة: 28) وقوله كذلك: لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (سورة البقرة: 196) قال ابن عباس: إنه جميع الحرم. قال الماوردي: حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى:

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (سورة البقرة: 144) فإن المراد به الكعبة شرفها الله تعالى.

استطراد مفيد

في الكلام على تعيين ليلة الإسراء (1) ويومها الذي أسفرت عنه ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهر من السنة ومكانها من السنين لأن الشئ بالشئ يذكر وحيث ذكرت آية الإسراء رأيت أن أذكر ما يتعلق بتاريخ الإسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو المعتمد والمرجح فأقول اعلم أن للعلماء في تعيين ليلة الإسراء أقوالا كثيرة، فقيل: إنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة قاله إبراهيم الحربي ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريبا.

ص: 162

وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا. وقال ابن إسحاق:

أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. وقيل ليلة سبع وعشرين في رجب قاله الغزالي في الإحياء. وقال الحافظ مغلطاي بعد ذكر مقالة الحربى. وقيل في رجب إجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك. وفي مسلم في طريق شريك أنه قبل أن يوحى إليه.

قال العلامة المحقق المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي رحمه الله: ولا يصح هذا بوجه إلا على القول بأنه منام كما وقع لعائشة رضى الله عنها أنها قالت: إنه كان بالمدينة بعد الهجرة وأنه منام. وأصحها عندي ما قاله إبراهيم الحربى وقال ورجح القاضى عياض قول من قال إنه قبل الهجرة بخمس سنين. وقول ابن إسحاق على القول بأنه قبل الهجرة بسنة، وضعف هذا القول بأن خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا إلى أن خديجة رضى الله عنها ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها ثلاث سنين، ومضافا إلى أن الصلاة لم تفرض إلا فى الإسراء.

وهذا عندي لا يلزم منه تخطئة القول بأنه قبل الهجرة بسنة لأن الصلاة التى صلتها خديجة معه صلى الله عليه وسلم هى التى كان يصليها صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة، ألا ترى أن مسلما ذكر فى حديث ابن حماد أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء، فدل أن الصلاة كانت مشروعة فى الجملة وقد كان قيام الليل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم باتفاق بل كانت الصلاة مشروعة فى الملل السالفة لكن على غير هذا التحديد.

فظهر أن لا حجة فى ذلك على القائل بما اخترناه، ثم الحجة لنا فى ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد، لأنه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم. وأما قول الحربى فإنه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم. وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط روايه بتفصيل فى القضية زائد على الإجمال الذى فى غيره فالمحيط علما بالتفصيل أحضر ذهننا وأوعى قلبنا من الآخر.

فإن قلت: هل يمكن تعيين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من أيام الجمعة؟

قلت: يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين إن شاء الله تعالى، وذلك أنى استقرأته من

تاريخ الهجرة، وأصح قول فيها أنها كانت يوم الاثنين و ثاني عشر شهر ربيع الأول أعنى وصوله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة قيل ضحى، وقيل عند استواء الشمس و إذا كان الثاني عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعاً و إذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الأول من السنة التي فيها الإسراء: إما السبت أو الأحد أو الاثنين لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليين إما ثلاثة أو أربعة أو خمسة، و لهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها أو رابعه أو سادسه.

و أعدل الاحتمالات الخامس، فالجمعة تعقبها الثلاثاء و الاثنين تعقبها الجمعة، و قد يكون الرابع و قد يكون السادس و ذلك بحسب توالى التمامات فى الشهور أو النقضانات فبنى من هذه الاحتمالات الثلاثة على الأقل، فيكون أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين، و يكون أول ربيع الآخر و هو شهر الإسراء الأربعاء لأننا فرضنا ربيعا الأول تاما و إذا كان أول شهر الإسراء كان السابع و العشرين منه يوم الاثنين و هو يوم الاثنين إن شاء الله تعالى الذى أسفرت عنه ليلة الإسراء.

و إنما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين، و كون المبعث يوم الاثنين، و كون الهجرة يوم الاثنين، و كون الوفاة كذلك. فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجودا و نبوة و هجرة و معراجا و وفاة، فهذه خمسة أطوار اتفقوا على أربعة منها أنها يوم الاثنين فيقرب جدا أن يكون الخامس أسوتها، و يكون هذه اليوم فى حقه صلى الله عليه و سلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام فيه خلق و فيه نزل إلى الأرض و فيه تيب عليه و فيه مات، و هذا نظر صحيح لا يحتاج إلا توفيقا من القائل و إنصافا من السامع. و قد تلج به الصدر إن شاء الله تعالى.

و يجوز أن تبنى أيضا أن بين اليومين أربعة فيكون أول شهر ربيع الأول من سنة الإسراء الأحد، و أول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع و العشرون منه الأحد، فوق الإسراء فى الليلة التي بين الأحد و الاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها، فيصح أنها الليلة التي كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الإسراء بيوم الاثنين.

و يدل على أن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها أن ليلة عرفة هى التى بعد يوم عرفة و لهذا يجرى الوقوف فيها إلى طلوع الفجر و لا يجرى فى الليلة التى قبلها بالإجماع، و قد ورد أن الإسراء كان ليلة الجمعة و هذا نقل محض يطلب فيه الصحة و لم يعضد بأصول تقر به من الحق بخلاف ما قدمناه، فقد بينا الأصول التى تقتضيه نقلا و استنباطا.

و أمكن عندى على القول الذى اخترناه أن يكون ليلة الجمعة، و ذلك بأن نفرض بين اليومين المتقابلين خمسة أيام فىكون الثانى سادس الأول. و قد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الأربعاء و الوقفة التى قبلها الجمعة، فجاءت هذه سادس تلك، و إنما قلنا إنها ليلة الجمعة على هذا التقدير لأنه قد استقر أن ربيعا الأول سنة الهجرة كان أوله الخميس و فرضه ناقصا ليكون ربيع الآخر من سنة الهجرة الجمعة، فىكون أول ربيع الآخر من السنة التى قبلها و هى سنة الإسراء الأحد، فىكون السابع و العشرون منه الجمعة، و هى ليلة الإسراء و هو لائق بالإسراء لأجل فضيلة ليلة الجمعة.

(تنكىت لطيف) يرجع ما قاله الحربى و ذلك أن ليلة سبع و عشرين تضاهى فى العدد أقعد الليالى بليلة القدر، و هى ليلة سبع و عشرين من رمضان.

(تنكىت أطف من الأول) اعتبرت هذه الليالى الثلاث الفاضلات: ليلة نصف شعبان، و ليلة سبع و عشرين من رمضان و هى ليلة القدر و ليلة عرفة. فوجدتها لا تزال متواخية إن كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة و كذلك غير الجمعة من الأيام، و إن لم توافق ليلة عرفة الليلتين المذكورتين فلا بد أن يوافقهما يوم التروية. انتهى ما قاله ابن المنير باختصار، فرحمه الله من إمام محقق حرى أن يكتب كلامه بماء الذهب و الله أعلم.

استحسنن الإتيان به عقيب آية الإسراء للمناسبة ولما سأذكره بعد من فوائد جلييلة يعز وجودها ترجع إلى الحديث المذكور، و أولى ما يعتمد عليه حديث ثابت البنانى عن أنس لأنه سالم مما وقع فى ظاهر حديث غيره من التعارض فرأيت أن أذكره أولا باختصار ليكون أصلا، ثم أذكر ما سواه مما ورد من الطرق تبعا له باختصار أيضا فأقول

روى مسلم فى «صحيحه» (1) عن حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة (2).

ثم عرج (3) بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

ففتح لنا فإذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم، ففتح لهما فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا به صلى الله عليه وسلم ودعوا له بخير.

ثم عرج كذلك إلى السماء الثالثة وقيل كما تقدم، فوجد صلى الله عليه وسلم فيها يوسف عليه

ص: 166

1- 312. (1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات ج 1 ص 153.

2- 313. (2) الفطرة: الإسلام والاستقامة.

3- 314. (3) عرج: أى صعد.

السلام وقد أعطى شطر الحسن، فرحب به صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء الرابعة وقيل كما تقدم، فوجد صلى الله عليه وسلم فيها إدريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج كذلك إلى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير. ثم عرج به كذلك إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم.

فرأى صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور. ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى (1) فأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، ففرض عليه خمسين صلاة، ثم أرصده موسى عليه السلام إلى الرجوع إلى ربه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يرجع بين موسى وربه إلى أن استقر الأمر على خمس صلوات كل يوم وليلة.

وأخرج مسلم (2) أيضا عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرجه ثم استخرجه منه علقه وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه (3) ثم أعاده إلى مكانه.

(وفي طريق) بينا أنا في المسجد الحرام. (وفي طريق) وأنا نائم. (وفي طريق) أنه كان بالحطيم بين النائم واليقظان. (وفي طريق) أنه أسرى به من بيت أم هانئ كما علمته آنفا. (وفي طريق) فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدرى. (وفي بعض طرق الاسراء) وذلك قبل أن يوحى إليه. وفيما تقدم عن ثابت كما رأيت أنه أتى باللبن والخمر قبل العروج. (وفي بعض الطرق) أنه أتى بهما في الملاء الأعلى. (وفي طريق) أنه انتهى إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى ثم فارقه جبريل. (وفي طريق) فرج بي في النور وقال هانت وربك. وفي حديث ثابت، كما تقدم، أنه صلى الله عليه وسلم صلى في بيت المقدس قبل العروج. (وفي بعض الطرق) أنه صلى بالأنبياء في السموات. (وفي طريق) فلم نزل على ظهره- يعنى البراق- أنا و جبريل. (وفي طريق) أنه استصعب البراق فقال له جبريل عليه

ص: 167

-
- 1-315. (1) سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2-316. (2) كتاب الإيمان ج 1 ص 155.
3-317. (3) لأمه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

السلام: أبعلم تستصعب؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا. (و فى بعض الطرق) أنه رأى المعراج بصورة السلم كأحسن ما رأى. (و فى طريق) فاتتهيت إلى سدرة المنتهى فغشيها ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرأيت جبريل يتضاءل كالصعوة فتخلف و قال:

و ما منا إلا- له مقام معلوم، فجاوزت سبعين حجابا، ثم احتملنى الرفرف إلى العرش فنوديت حى ربك، فقلت: سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إلى آخر ما هو مستوفى فى محله، كإنكار قريش الإسراء، واستيصالهم بيت المقدس من النبى صلى الله عليه و سلم فرفعه الله له فوصفه و ذكر لهم قضية لقيه العبر قاصدين مكة و شربه ما كان فى القدح من الماء إلى غير ذلك فكان كل ذلك حقا و صدقا كما قال تعالى وَ مَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ صلى الله عليه و سلم و شرف و كرم و الله أعلم.

فوائد: تتعلق بحديث الاسراء و فواضله و أسراره و فضائله:

الأولى: يؤخذ من قوله تعالى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ما لا يؤخذ أن لو قيل بعث إلى عبده، لأن الباء تعيد المصاحبة أى صحبه فى سره بالألطف و العناية و يشهد لذلك قوله صلى الله عليه و سلم:

أنت الصاحب فى السفر، و بينى على هذا من الفروع الفقهية أن من قال: لله على أن أحج بفلان يلزمه أن يحج معه، بخلاف ما لو قال: لله على أن أحج فلانا فإنما يلزمه أن يجزه للحج من ماله، و لا يلزم الناذر أن يحج بنفسه، و الفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة.

الثانية: تخصيص الإسراء بالليل فيه من التعظيم ما لا يخفى لأنه وقت خلوة و اختصاص عرفا. و بين جليس الملك ليلا و جلسه نهارا فرق ظاهر و الخصوصية بالليل.

الثالثة: لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب و ليفتنن بالذين كفروا زيادة على فتنهم، إذ الليل أخفى حالا من النهار و لعله لو عرج به نهار لفات المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب و لم يحصل ما قدر من الفتنة على من شقى و جحد.

الرابعة: إن قيل ما وجه استصعاب البراق عليه صلى الله عليه و سلم بعد التسخير؟ أجيب بأن ذلك تنبيه على أنه لم يدل قبل ذلك و لم يركبه أحد. و فى هذه النكتة خلاف، فمنهم من قال:

ركبه الأنبياء قبل ذلك و منهم من قال: لم يركبه أحد قبله. و حجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل: فما ركبك أحد أكرم على الله منه، و يمكن الاحتجاج أيضا بقوله فربطته

بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. و أجيب عن الأول بأن معنى قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف يركبك أكرم من محمد. و يمكن أن يجاب عن الثاني بأنه ليس في الحديث فربطته بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء، وإنما قال يربط بها الأنبياء و سكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل أن يكون غير البراق. و يحتمل أن يراد ارتباط الأنبياء أنفسهم بتلك الحلقة أى تمسكهم بها و يكون من جنس العروة الوثقى.

الخامسة: يحتمل أن يكون استصعابه تيهها و زهوا بركوب النبي صلى الله عليه و سلم، و أراد جبريل بقوله أبعلم تستصعب، استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة و إنما تاه و لهذا قال:

فرفض عرقا، فكأنه أجاب بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب و عرق من خجل العتاب.

السادسة: إن قيل كان في قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون البراق خرقا للعادة، أجيب بأن في صورة الركوب على المركوب المعتاد تأنيسا في هذا المقام العظيم بطرف من العادة.

السابعة: لعل في الإسراء بالبراق إظهارا للكرامة العرفية فإن الملك العظيم إذا استدعى خصيصا به بعث إليه بمركوب سنى ليصل عليه.

الثامنة: كون البراق بشكل البغل و لم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على أن المراد في سلم و أمن لا- حرب و خوف، أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب من دابة ما توصف بالإسراع كما في الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه، أى يقطع ما انتهى إليه بصره في خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الأرض إلى السماء في خطوة واحدة لأن بصر من يكون في الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات.

التاسعة: لقائل أن يقول قد ركب النبي صلى الله عليه و سلم بغلته في الحرب يوم حنين، أجيب بأن ذلك كان لتحقق نبوته صلى الله عليه و سلم في مواطن الحرب و لما خصه الله به من مزيد الشجاعة، و إلا فمعلوم أن البغال عادة من مراكب الطمأنينة. و ليعلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب و شجاعة نفس.

العاشرة: اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه و سلم على البراق أم لا؟ فقال بعضهم: ركب معه بظاهر قوله صلى الله عليه و سلم: فما زلت على ظهره أنا و جبريل. قال ابن المنير رحمه الله: و الأظهر عندي أنه صلى الله عليه و سلم اختص بالركوب لأنه المخصوص بشرف

الإسراء. وفي قول جبريل أيضا أكرم على الله منه، دليل على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بركوبه، وإنما كان جبريل هاهنا معه رسول بلاغ و دليل طريق و مستدعى حبيب. وقوله صلى الله عليه وسلم: ما زلت على ظهره أنا و جبريل، يحمل قوله: و جبريل على أنه استئناف كلام كأنه قال و جبريل سائر معى و نحوه و لا يريد راكبا معى على البراق، لأنه ليس فى الكلام ما يعين ذلك.

الفائدة الحادية عشرة: دل قوله صلى الله عليه وسلم: فصليت بيت المقدس ركعتين، على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض و معدودة مثنى مثنى، و فرضت كذلك على ما عهدت كما قالت عائشة رضى الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأقرت صلاة السفر و زيد صلاة الحضر.

الثانية عشرة: إن قيل ما الحكمة فى نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت و لم يدخل عليه من الباب مع قوله وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا؟ الجواب: أن الحكمة فى ذلك المبالغة فى المفاجأة و التنبيه على الكرامة و الاستدعاء كان بديها على غير ميعاد.

الثالثة عشرة: يحتمل أن يكون فرج السقف توطئة و تمهيدا للفرج عن الصدر، فأراه جبريل بإخراجه عن السقف ثم التثامه على الفور كيفية ما يصنع به، و قرب له الأمر فى نفسه بالمثال المشاهد فى بيته لطفًا فى حقه و تثبيتًا لقلبه.

الرابعة عشرة: السر فى العناية بتطهير القلب و إفراغ الإيمان و الحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة فى أن محل العقل و نحوه من أسباب الإدراكات كالنظر و الفكر، إنما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة و الفلاسفة.

الخامسة عشرة: إنما خص الطست بالغسل فيه دون بقية الأواني لأنه آلة للغسل عرفا، و إنما كان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة و لأنه رأس الأثمان فهو إذا أصل الدنيا و الإيمان أصل الدين، فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لأصل الدين و خادم له و وسيلة إليه.

السادسة عشرة: استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية ما يعظم شرعا بالذهب كالمصحف أو ما هو آلة لطاعة كالسيف الذى هو آلة للجهاد بحديث الإسراء و استعماله طست الذهب.

السابعة عشرة: يرد على ذلك بأن الذى اختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من طست الذهب إنما هو تفرغ ما فيه من الإيمان والحكمة فى قلبه صلى الله عليه وسلم، و التفرغ ترك لا فعل، ولا خلاف أن آنية الذهب إذا حصل فيها طعام له حرمة شرعية، كان تفرغ ذلك منها مشروعاً بخلاف وضعه فيها، ولا يعد التفرغ استعمالاً. ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهى أن الحسن البصرى وفرقدا السبخى اجتمعا فى وليمة دعيا إليها، وكان الحسن عالماً وفرقد عابداً، وكان فى الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص، فأما الحسن فإنه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأكل.

وأما فرقدا فاعتزل ولم يأكل فالتفت إليه الحسن وقال: يا فريقد، هلاً صنعت هكذا؟ فرأى الحسن أن التفرغ ليس استعمالاً بل تركاً وإزالة للمنكر، فاجتمع له بفقهاء إقامة سنة الوليمة بالأكل وجبر قلب الداعى وإزالة المنكر وتعليم الأحكام الخفية، ولهذا قال يا فريقد، فصغر اسمه فى النداء تعريضاً له بالإنكار إذ تصرف فى الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصد التى اجتمعت للحسن رضى الله عنه. وينبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من كان فى رمضان أو أراد الصيام فى غيره وطلع عليه الفجر وهو آكل فعلم بذلك وألقى الطعام من فيه لا شىء عليه، فهذا من جنس كون التفرغ ليس استعمالاً ولا إشكال فى ذلك.

الثامنة عشرة: لقائل أن يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الإسراء، لأن العادة انخرقت فيه من حيث ما وعى فيه من الإيمان ومن أنه من الكون أو من الجنة، وإذا انخرقت العادة تغيرت الأحكام المنوطة بها.

التاسعة عشرة: يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الإسراء أن يثبت أنه كان بعد تحريم استعمال الذهب، ولا يقدر على ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم تختم بالذهب ثم ألقى الخاتم فألقى الناس خواتمهم، وما كان النسخ والتحرير إلا بالمدينة. وقد تقدم أن الإسراء متقدم على الهجرة على المختار.

الفائدة العشرون: تقدم فى حديث ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قدم له الآنية، قبل العروج، وفى طريق آخر أنه بعد العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتين ويكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب، حيث اختار اللبن تأكيداً للتحذير مما سواه. (1)

الجامع اللطيف؛ ص 172

ص: 171

1-318. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

الحادية والعشرون: إن قيل ما المراد بالفطرة في قول جبريل اخترت الفطرة؟ فاعلم أن الفطرة تطلق تارة، ويراد بها الإسلام، وتطلق تارة على أصل الخلقة، فمن المعنى الأول:

قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.

ومن المعنى الثانى قوله تعالى: **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** وقوله تعالى: **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** أى مبتدئ خلقهما، فقول جبريل: اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه تثبت الخلقة، وهى نبت اللحم ونشر العظم.

أقول: فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب فتأمل انتهى. أو اخترته لأنه الحلال المستمر فى دين الإسلام، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر.

الثانية والعشرون: يحتمل أن يكون فى تقديم إناء اللبن إشارة إلى أنه شعار العلم فى التعبير، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: أريت كأنى أتيت بقدرح من لبن فشربت حتى أرى الرى يخرج من أظفارى، ثم ناولت فضلى عمر. فقالوا: يا رسول الله، ما أولته؟ قال: العلم.

والإسراء وإن كان يقظة إلا أنه ربما وقعت فى اليقظة إشارات على حكم الفأل تعبر كما يعبر المنام.

الثالثة والعشرون: فى استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء دليل على أنه صادف أبوابها مغلقة، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان قد استدعى، فلعل والله أعلم الحكمة فى ذلك التنويه بقدره، وأن السموات لم تفتح أبوابها إلا من أجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر أنها فتحت من أجله ولا بد.

الرابعة والعشرون: ينبغى للمستأذن إذا قيل له من هذا، أن لا يقول أنا، فإن جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وإنما سمي نفسه، وقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على الذى استأذن عليه، فقال صلى الله عليه وسلم من هذا، فقال أنا، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يكرر لفظة أنا إنكاراً.

الخامسة والعشرون: إنما كرهت هذه الكلمة لوجهين:

أحدهما: أن فيها إشعاراً بالعظمة، وفى الكلام السائر أن أول من قال أنا إبليس.

فشقى حيث قال أنا خير منه، ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الأعلى.

الثانى: أنها مبهمه لافتقار الضمير إلى العود فهى غير كافية فى البيان.

فإن قيل: قد اتفق النحاة على أن المضمرة أعرف المعارف وأعرفها أنا. فهذه الكلمة في الغاية القصوى في التعريف، فكيف كان العلم أعرف منها، وإنما اختلف النحاة في اسم الإشارة و العلم لا في المضمرة. فالجواب أن المضمرة إذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حينئذ، والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة.

(حكاية لطيفة استطرادية): تنبه على رعاية الأدب مع الله تعالى جل وعلا: حكى أن سيبويه رحمه الله رأى في المنام بعد وفاته، فقيل له ماذا لقيت؟ فقال خيرا كثيرا، فقال له بماذا؟ فقال: سئلت في الدنيا عن أعرف المعارف، فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لى ذلك.

السادسة والعشرون: قول الخازن لجبريل، و من معك؟ قال: محمد، فيه دليل على أن الإذن لواحد لا يتناول غيره، وإن كان في صحبته و لهذا استفهم الخازن حتى يكون لمن معه إذن مستقل، وهو عرف الناس إذا أذن لأحد و كان في صحبته غيره أن يقول و من معى، فيستأنف الاستئذان لمن معه، وقوله و قد بعث إليه؟ أراد به الاستفهام فحذفت الهمزة للعلم بها، و أصل الكلام أوقد بعث إليه. و النحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع حيث لا دليل على المحذوف، و إلا فالحديث حجة عليهم.

السابعة والعشرون: لم يرد الخازن بقوله و قد بعث إليه أصل الرسالة، فإن الظاهر أنه كان معلوما عندهم، و إنما أراد البعث للمعراج.

الثامنة والعشرون: موقع قول الخازن أوقد بعث إليه، استنتطاق جبريل بالسبب الموجب للإذن و الفتح، لأنه مجرد قول جبريل عليه السلام معى محمد لا يوجب الإذن إلا بواسطة البعث من صاحب الإذن جل وعلا.

التاسعة والعشرون: إن قيل: لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا بك، و إنما أورد التحية بصيغة الغيبة؟ أوجب بأنه حياه قبل أن يفتح الباب و قبل أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب، و لهذا قال الخازن لجبريل: و من معك بصيغة الخطاب، لأن جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين.

الفائدة الثلاثون: يجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له، لأن هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب. والله أعلم.

انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى من إملاء العلامة ابن المنير رحمه الله، والله أعلم.

عدنا إلى المقصود: اعلم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام في كتابه العزيز في نحو خمسة عشر موضعا فإذا تقرر هذا فقد اختلف في المراد بالمسجد الحرام الذي تتعلق به المضاعفة في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن الزبير السابق، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدى. فقيل: جميع بقاع الحرم وقيل: المراد الكعبة وما في الحجر من البيت ويؤيده ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه: صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا الكعبة. وقيل المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووي، وقال إنه الظاهر. وقيل: المكان الذى يحرم على الجنب المكث فيه.

ونقل عن الإمام تقي الدين ابن أبي الصيف اليمنى أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف لأنه المنصرف عند الإطلاق في العرف، قال: ولا يضر رواية الكعبة. ولهذا قال الغزالي: لو نذر صلاة في الكعبة فصلى في أرجاء المسجد جاز. انتهى.

ورجح الطبرى رحمه الله أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة وقال: إنه يتأيد بقوله صلى الله عليه وسلم: مسجدى هذا، لأن الإشارة فيه إلى مسجد الجماعة، فينبغى أن يكون المستثنى كذلك، فإنه قيل قد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة ألف، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في حديث الاستثناء الحرم كله.

قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس أن حسنة الحرم مطلقا بمائة ألف، لكن الصلاة في مسجد الجماعة تزيد على ذلك، ولهذا قال: بمائة صلاة في مسجدى ولم يقل حسنة، وصلاة في مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر حسنات، فتكون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة، وتكون في المسجد الحرام بألف حسنة، وعلى هذا يكون حسنة الحرم بمائة ألف وحسنة المسجد الحرام بألف ألف ويلحق بعض الحسنات ببعض أو يكون ذلك مختصا بالصلاة الخاصة فيها. والله أعلم. انتهى بنصه.

قال الجد رحمه الله: وحاصل هذه العبارات مع اختلافها يرجع إلى ترجيح هذا القول. ثم قال: وهذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد و تزيد الحسنات بصلاة المكتوبة في جماعة على ما جاء أنها تعدل سبعا وعشرين درجة، وهذا فيما يرجع إلى الثواب ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لا خلاف فيه. انتهى.

وقد اختلف العلماء في هذا الفضل، هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض؟

فمذهبنا ومشهور مذهب مالك أنه يختص بالفرض، والتعميم مذهب الشافعي رضي الله عنه كما صرح به النووي رحمه الله تعالى.

فإن قيل لا عموم في لفظ الحديث لما أنه نكرة في سياق الإثبات ويؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، أوجب بأنه وإن كان نكرة في سياق الإثبات فهو عام لأنه في معرض الامتنان.

قال الجد رحمه الله: فإن قيل كيف يقال إن المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص الأصحاب ونص الحديث على أن فعل النافلة في بيت الإنسان أفضل إلا ما استثني كالعيد وركعتي الطواف؟ فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت إذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف، وفضيلتها في البيت من حيثية أخرى تربو على التضعيف. انتهى.

أقول: هذا التفضيل بالنسبة إلى الرجال، وأما الإناث فالصلاة في البيت مطلقا لهن أفضل لا سيما في هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوزا أم شابة.

ونقل الشيخ ولي الدين العراقي في «شرح تقريب الأسانيد» أن التضعيف في المسجد الحرام لا يختص بالمسجد الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يشمل جميع ما زيد فيه لأن المسجد الحرام يعم الكل. بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذي يحرم صيده كما صححه النووي.

وأما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد الذي كان في زمنه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لكن يشكل على هذا ما في تاريخ المدينة أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الزيادة في مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم قال: لو انتهى إلى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخرى:

لو مد إلى ذى الحليفة لكان منه.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي. و في رواية أخرى أو بنى إلى صنعاء، و في أخرى ما زيد في مسجدي فهو منه و لو بلغ ما بلغ. فإن صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار.

فائدتان:

الأولى: قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة في المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس و خمسين سنة و ستة أشهر و عشرين ليلة. و صلاة يوم و ليلة، و هي خمس صلوات في المسجد الحرام عمر مائتي سنة و سبع و سبعين سنة و تسعة أشهر و عشر ليال(1).

انتهى كلامه.

الثانية: قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الإشاري: إن كل صلاة في المسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد في الحديث، و كل صلاة فيه جماعة بألفي ألف صلاة و سبعمائة ألف صلاة، و الصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف صلاة و خمسمائة صلاة، و صلاة الرجل منفردا في وطنه غير المسجدين المعظمين، كل مائة سنة بمائة ألف و ثمانين ألف صلاة، و كل ألف سنة بألف ألف صلاة و ثمان مائة ألف(2).

فتلخص من هذا أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة يفضل ثوابها على ثواب من صلى في بلدة فرادى، حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام بنحو الضعف، و سلام على نوح في العالمين. و هذه فائدة تساوى رحلة(3) ثم قال: هذا إذا لم يضاف إلى ذلك شيئا آخر من أنواع العبادات، فإن صام يوما و صلى الصلوات الخمس جماعة، و فعل فيه أنواعا من البر و قلنا بالمضاعفة، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه(4) انتهى.

تكملة: قال بعض العلماء: إن السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات، و هو

ص: 176

1-319. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 131.

2-320. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 131.

3-321. (3) تحرف في المطبوع إلى: «دجلة».

4-322. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 131.

مذهب ابن مسعود و ابن عباس رضى الله عنهما، وقال به مجاهد أيضا و الإمام أحمد بن حنبل و لهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة، و الصحيح عند جماهير أهل العلم عدم المضاعفة لكن السيئة فيه أعظم منها في غيره بلا ريب. ثم على قول أن السيئة تتضاعف فقليل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم، و قيل بل كخارجة و حرر بعض العلماء النزاع في هذه المسألة فقال القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها أى غلظها لا كميتها في العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئة تتفاوت فالسيئة في حرم الله و بلده على بساطه أكبر و أعظم منها في غيره، و ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه، فإنه قيل يرجع النزاع أيضا إذ لا فرق بين أن تكون السيئة مغلظة و هى واحدة و بين أن تكون مائة ألف سيئة عددا. فالجواب أنه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة و من زادت سيئاته على حسناته في العدد دخل النار و من استوت حسناته و سيئاته عددا كان من أهل الأعراف.

فصل في ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام و توسعته و ذرعه و ذكر شىء من أخباره

ذكر الأزرقى و الإمام أبو الحسن الماوردى و غيرهما من الأئمة المعتمدين: أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و أبى بكر الصديق رضى الله عنه و ليس عليه جدار يحيط به، و كانت الدور محذقة به من كل جانب و بين الدور أبواب يدخل منها الناس، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى دورا و هدمها و وسع بها المسجد، و أبى بعضهم أن يأخذ الثمن و تمتع (1) من البيع فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك. و قال لهم عمر: أنتم نزلتم على الكعبة و لم تنزل عليكم الكعبة، إنما هو فناؤها. ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة، و كانت المصاييح توضع عليه فكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ للمسجد جدارا (2).

فلما كان زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه و كثر الناس اشترى دورا و وسع بها المسجد الحرام،

ص: 177

1- 323. (1) فى د، و المطبوع: « و امتنع » و المثبت رواية الأزرقى.

2- 324. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 68.

وأنى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به، فقال لهم: إنما جرأكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له (1).

ولم يذكر الأزرقى السنة التي وسع فيها عمر رضى الله عنه المسجد الحرام و هي سنة سبع عشرة من الهجرة، و لا السنة التي وسع فيها عثمان رضى الله عنه و هي سنة ست و عشرين من الهجرة.

ثم قال الأزرقى: فلما كان زمن عبد الله بن الزبير زاد في المسجد زيادة كبيرة و اشترى دورا من جملتها بعض دار الأزرقى جد الأزرقى صاحب «تاريخ مكة» و اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار، ثم عمره عبد الملك بن مروان و لم يزد فيه لكنه رفع جداره و سقفه بالساج و عمره عمارة حسنة و جعل في رأس كل أسطوانة خمسين مثقالا (2) ذهباً.

ثم إن الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد و نقض عمل أبيه و عمله عملاً محكماً، و سقفه بالساج المزخرف و أزر المسجد من داخله بالرخام، و جعل له شرفاً، و جعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء و هو أول من جعلها بالمسجد الحرام و أول من نقل إليه أساطين الرخام (3).

تنبيه: قول الأزرقى: الوليد أول من نقل إليه أساطين الرخام. قال الفاسى رحمه الله: قد نقل الأزرقى ما يفهم خلاف ذلك لأنه ذكر في عمل عبد الملك أنه جعل في رأس كل أسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب و هذا يقتضى وجود الأساطين قبل الوليد فتكون من عمل ابن الزبير أو عبد الملك. و على كلا الأمرين فهو مخالف لما ذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك (4). و الله أعلم بالصواب. انتهى بمعناه.

أقول: يمكن الجمع بين كلامى الأزرقى و ترتفع المخالفة التي ذكرها الفاسى، و ذلك أن الأزرقى رحمه الله لم يذكر أن الأساطين التي في رءوسها المثاقيل الذهب في أيام عبد الملك كانت من رخام ليتجه ما قاله الفاسى، و لا خصوصية أيضاً لتسمية الأساطين بما كان من الرخام فيحتمل أنها كانت من آجر أو من حجارة أو من خشب و يؤيد ذلك ما تقدم في

ص: 178

1- 325. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 69.

2- 326. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 69 و ما بعدها.

3- 327. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 71.

4- 328. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 362.

الباب الأول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت الشريف، فيما أخرجه الفاكهي عن السهمي عند قوله فعابت أسطوانة. قال شيخ الإسلام ابن حجر: والأسطوانة من خشب و ما سيأتي قريباً من كلام الفاسي نفسه عند ذكره لما عمره القاضي محمد بن موسى من بناء الزيادة التي بدار الندوة في قوله و جعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملا بن ساج(1).

و في قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربي و بعض الشامي من المسجد الحرام في عام اثنين و ثمانمائة ما صورته: إن الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة هذا كلامه. و أما الأساطين من الآجر فعمل منها كثير في المساجد و غيرها فإذا علم ذلك فقول الأزرقي رحمه الله إن الوليد أول من نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل و الله الموفق.

ثم لما أفضت الخلافة إلى أبي جعفر العباسي ثانی خلفاء بني العباس وسع المسجد الحرام من جانبه الشامي و من جانبه الغربي و لم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقاً واحداً. و كان ابتداءه في المحرم سنة سبع و ثلاثين و مائة و الفراغ منه في ذى الحجة سنة أربعين و مائة(2).

و كان الذي زاده المنصور النصف مما كان عليه قبل ذلك.

ثم إن المهدي بن أبي جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه و من الجانب اليماني و من الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم، ما عدا الزيادتين فإنهما أحدثتا بعده(3) كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

و كانت عمارة المهدي في نوبتين: الأولى في سنة إحدى و ستين و مائة، و زاد فيما زاده أبوه رواقين. و الثانية سنة سبع و ستين و كان أمر بها لما حج حجته الثانية في سنة أربع و ستين، و رأى الكعبة في شق من المسجد فكره ذلك و أحب أن تكون متوسطة في المسجد، فدعا المهندسين و شاورهم في ذلك فقدروا ذلك، فإذا هو لا يستوي لهم من أجل الوادي و السيل، و قالوا: إن وادي مكة له سيول قوية العزم و نخشى إن حولنا الوادي عن مكانه أن لا يتم لنا على ما نريد. فقال المهدي لا بد لي من سعة المسجد بحيث تكون

ص: 179

1-329. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 364.

2-330. (2) إخبار الكرام ص 181.

3-331. (3) إخبار الكرام ص 181.

الكعبة فى وسط المسجد على كل حال و لو أنفقت فىه جمىع ما فى بيوت المال، و عظمت نىته فى ذلك و قوى عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك و هو حاضر و نصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى إلى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك و ما بىقى فى الوادى(1).

ثم خرج المهدي إلى العراق و خلف الأموال فاشترى من الناس دورهم و وسعوا المسجد، و لم يكمل ذلك إلا فى خلافة ابنه موسى الهادى لمعالجة المنية للمهدى(2).

و كان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى و بعض الغربى و أنفق المهدي رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع فى ذراع مكسر مما دخل فى المسجد الحرام خمسة و عشرين ديناراً، و ثمن كل ذراع مكسر مما دخل فى الوادى خمسة عشر ديناراً و نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام من مصر و غيرها فى السفن حتى أنزلت بجدة، و حملت منها على العجل إلى مكة(3).

قال الأزرقى: و وسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى، و جعلوا الباب الذى يازائه من أسفل المسجد يعنى من الجانب الغربى يستقبل خط الحزامية، يقال له باب البقالين و هو معروف. و قالوا: إذا جاء سيل عظيم و دخل المسجد خرج من ذلك الباب(4) انتهى بمعناه.

هذا عمل المهدي فى النوبة الثانية و استمر كذلك إلى يومنا هذا و الله أعلم.

أقول: باب بنى هاشم الذى ذكره الأزرقى باب على الآن نبه على ذلك الفاسى.

و باب البقالين لعله المعروف الآن بباب الحزورة، فإن الفاسى رحمه الله عرف باب الحزورة بأن الغالب عليه باب الحزامية، و قال: لأنه يلى خط الحزامية لا باب إبراهيم. لأن الأزرقى لم يذكره وإنما حدث بعده. و أيضا قول الأزرقى: و جعل الذى يازائه، يؤيد أنه باب الحزورة لأنه يازاء باب على بمعنى مقابله.

ص: 180

1-332. (1) إخبار الكرام ص 182.

2-333. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 80، إخبار الكرام ص 183.

3-334. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 80.

4-335. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 80.

و أما باب إبراهيم فقد أدركته و هو واطئ جدا و إنما رفع و عمل له هذه الدرجة في حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر و تسعمائة في دولة الأشرف الغورى على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار. و قد شاهدت عمارته و أنا إذ ذاك في المكتب و كانت السيول إذا دخلت المسجد إنما تخرج منه، و الآن كذلك إنما يخرج السيل من القبو الذى تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل. انتهى.

فصل في ذكر الزيادتين و خبر عمارتهما و ذرعهما و ذرع المسجد الحرام و عدد منائره و أبوابه

اعلم أنه لم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي رحمه الله سوى هاتين الزيادتين دار الندوة التي في الجانب الشامي من المسجد، و زيادة باب إبراهيم في الجانب الغربي منه.

أما زيادة دار الندوة فسيبها كما نقله الفاسي عن إسحاق الخزاعي أن بعض أهل الخير كتب إلى وزير الخليفة المعتضد العباسي يحثه (1) على جعل ما بقي من دار الندوة مسجداً و يقول: إن هذه مكرمة لم تنتهياً لأحد من الخلفاء بعد المهدي. فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته و أخرج لذلك مالا عظيماً فأخرجت القمام من دار الندوة و جعلت مسجداً و وصلت بالمسجد الكبير، و عمره بأساطين و طاقات و أروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثني عشر باباً بعقود ستة كبار و بينهم ستة صغار، و جعل في هذه الزيادة ثلاثة أبواب بابان طاقان طاقان: و باب طاق واحد شارعة إلى الطريق التي حولها، و جعل سقفاً مسامتا لسقف المسجد الكبير، و بنى فيها منارة و شرفاً و فرغ من ذلك في ثلاث سنين (2).

قال الفاسي رحمه الله: و لم يبين إسحاق الخزاعي السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة، و لعل ذلك كان في سنة أربع و ثمانين و مائتين على مقتضى ما ذكره إسحاق، من أن الكتابة إلى المعتضد بسبب إنشائها كانت في سنة إحدى و ثمانين (3) و مائتين.

ثم ذكر أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات التي كانت في

ص: 181

1-336. (1) تحرف في المطبوع إلى: «تحية».

2-337. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 363.

3-338. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 363.

جدار المسجد الكبير و جعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملاين ساج بعقود من الآجر و الجص الأبيض، و وصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول، حتى صار من في دار الندوة من مصلاً و مستقبل يرى القبلة كلها، و كان ذلك في سنة ست و ثلاثمائة(1).

و أما الزيادة التي بالجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم، فنقل الفاسي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً و يوصل بالمسجد الكبير، فعمل على ما هو عليه اليوم فأتسع(2) الناس به و صلّوا فيه، و ذلك في سنة ست أو سبع و ثلاثمائة. انتهى.

و السبيل الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون، أنشأه في حدود سنة تسع و خمسين و سبعمائة أو في التي بعدها(3).

و أما ما وقع في المسجد من العمارة و التجديد فكثير، منها العمارة الكبيرة التي كانت في سنة أربع و ثمانمائة، وإنما ذكرتها دون ما كان قبلها و بعدها من العمائر لكونها أعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء، و لما ظهر من همّة الأمير المباشر لذلك و قوة العزم. و سبب ذلك أن في ليلة السبت الثامن و العشرين من شوال سنة اثنتين و ثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المصحف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد و عم الحريق الجانب الغربي و بعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف و الأساطين الرخام و صارت قطعاً، و انتهى الحريق إلى محاذة باب العجلة، فصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة في موضعها و من رؤية البيت الشريف. ثم من الله تعالى بعمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهري و كان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث و ثمانمائة، فلما رحل الحاج من مكة شرع في رفع تلك الأكوام حتى فرغت، ثم ابتدأ في العمارة حتى عاد ذلك كما كان، و كان الفراغ من عمارة ذلك في أواخر شعبان سنة أربع و ثمانمائة(4).

ص: 182

1-339. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 364.

2-340. (2) لدى الفاسي: «فانتفع».

3-341. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 364.

4-342. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 365.

وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة في هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم في مدة سنين باعتبار العادة في العمارة، فسهل الله فراغها في تلك المدة، وجعلت الأساطين التي في الجانب الغربي كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامي ما خلا أساطين يسيرة في مقدمه، فإنها رخام مكسر ملصق بالحديد، وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك إلا سقف الجانب الغربي لتعذر خشب الساج. ثم عمل ذلك من خشب العرعر في أوائل سنة سبع وثمانمائة- بتقديم السين- على يد الأمير بيسق المذكور، وكانت العمارة المذكورة في أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق(1).

ذكر منائر المسجد الحرام

في المسجد الحرام الآن ست منائر: أربعة في الأركان، والخامسة في زيادة دار الندوة، والسادسة بمدرسة السلطان الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل إلى المسجد عمرت في حدود الثمانين وثمانمائة. والخمس المنائر قديمة، أما منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسي كما تقدم وأما الأربعة التي بالأركان، فالأولى تعرف بمنارة عزورة لأنها على باب عزورة، والثانية على باب على وتعرف بمنارة على، والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة، والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لأنها على باب السلام، ولم أقف على من أنشأ هذه الأربعة المنائر(2). غير أن الفاسي رحمه الله ذكر أن المنصور عمر منارة باب العمرة، وعمر ابنه المهدي المنائر الثلاث التي على باب السلام والتي على باب على، والتي على باب الحزورة. (أقول) المفهوم من كلام الفاسي بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة، وعمر ابنه المهدي إلى آخره(3)، أن مراده بذلك الترميم والتجديد لا الإنشاء بدليل قوله بعد ذلك: وعمر الجواد جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني وزير صاحب الموصل منائر المسجد. وكذا قوله: وعمرت منارة باب الحزورة في زمن الأشرف شعبان صاحب مصر، وكانت سقطت في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وكذا قوله: وعمرت منارة باب بنى شيبية

ص: 183

1-343. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 366، إخبار الكرام ص 187.

2-344. (2) إخبار الكرام ص 188.

3-345. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 386.

فى زمن الناصر فرج، و ذلك بعد أن سقطت فى سنة تسع و ثمانمائة لأن السقوط يستدعى تقدم البناء قبل ذلك(1).

و لو وقف الفاسى على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دأبه فى استيفاء الكلام و تبين الأمور على أحسن الوجوه و أكملها. انتهى.

و كانت منائر آخر فى غير المسجد الحرام على رءوس الجبال يؤذن فيها، نقله الفاسى عن الفاكهى. فمن ذلك على جبل أبى قبيس أربع منائر، و على رأس الجبل(2) الأ-حمر المقابل له منارة، و على الجبل المشرف على شعب ابن عامر منارة و من ذلك منارة تشرف على المجزرة، و منارة على جبل تفاحة، و منارة على جبل خليفة بن عمر البكرى، و منارة على كدى بضم الكاف تشرف على وادى مكة. (فهذه المنائر) كلها تنسب إلى عبد الله بن مالك الخزاعى من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد. و لبغا مولى أمير المؤمنين عدة منائر أيضا من ذلك منارة على رأس الفلق، و منارة على الأحمر، و منارة على جبل خليفة كما لعبد الله، و منارة على جبل المقبرة، و منارة على جبل الحزورة، و منارتان على جبل عمر بن الخطاب و لعله المسمى بالنوبى، و منارة على جبل الأنصار الذى يلى أجياد، و منارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصاص، و سيأتى تعريفه و موضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى، و منارة على الجبل المشرف على الخرمانية، و منارة مشرفة على الخضير أو بئر ميمون، و منارة بمنى عند مسجد الكبش، فهذه كلها لبغا و كان لهذه المنائر فيما مضى أناس يؤذنون للصلاة تجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر. ثم قطع ذلك لتغيير الأحوال و تطاول الأزمان. و الله أعلم(3).

ذكر ذرع المسجد الحرام و الزياتين

نقل الأزرقى أن ذرع المسجد الحرام مكسرا مائة ألف ذراع و عشرون ألف ذراع(4).

و أما طول المسجد الحرام و عرضه فقد حرره الفاسى رحمه الله بذراع الحديد، فكان طوله من وسط جداره الغربى الذى هو جدار رباط الخوزى- بضم الخاء المعجمة و بعدها واو ثم زاء معجمة- إلى وسط جداره الشرقى الذى عند باب الجنائز مع المرور فى نفس الحجر

ص: 184

1-346. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 386.

2-347. (2) سقطت من المطبوع.

3-348. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 387 و 388.

4-349. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 81.

- بكسر الحاء- و اللصوق بجدار الكعبة الشامي ثلاثمائة ذراع وستة و خمسين ذراعا و ثمن ذراع بالذراع المذكور، و يكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع و سبعة أذرع. و كان عرضه من وسط جداره القديم الذى يدخل منه إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جدار المسجد اليماني فيما بين بابي المسجد باب الصفا و باب أجياد مارا كذلك فيما بين مقام إبراهيم و الكعبة و أنت إلى المقام أقرب مائتى ذراع و ستة و ستين ذراعا بذراع الحديد، و يكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع و أربعة أذرع، و كان تحريره لذلك فى ليلة الخميس السابع و العشرين من ربيع الأول سنة أربع عشرة و ثمانمائة(1).

فائدة: أخرج الأزرقى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: إنا لنجد فى كتاب الله تعالى أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى. و أخرج أيضا بسنده إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال: أساس المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. ثم قال: و المهديّ وضع المسجد على المسعى انتهى(2).

ذكر ذراع زيادة دار الندوة

أما ذراعها طولاً و ذلك من جدار المسجد الكبير إلى الجدار المقابل له الشامى الذى عنده باب المنارة أربعة و سبعون ذراعا- بتقديم السين- إلا ربع ذراع بذراع الحديد، و ذرع عرضها من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى سبعون ذراعا و نصف- بتقديم السين- و هذا ذرع الأروقة مع الصحن، و أما ذرع الصحن وحده فطولُه من الأساطين التى فى مقدم الجانب الجنوبى مما يلي المسجد الكبير إلى الاساطين التى فى مقدم الجانب الشمالى سبعة و ثلاثون ذراعا- بتقديم السين- و عرضه كذلك بزيادة سدس ذراع بذراع الحديد(3).

ص: 185

1-350. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «و ثلاثمائة» و صوابه من د، و الفاسى، و انظر الخبر لديه ج 1 ص 369 و 370.

2-351. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 62.

3-352. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 372.

ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم

أما طولها وذلك من الأساطين التي تلى المسجد الكبير إلى العتبة التي فيها باب هذه الزيادة فسبعة و خمسون ذراعا إلا سدس ذراع- بتقديم السنين- و أما عرضها من جدار رباط الخوزى- بضم الخاء و كسر الزاى المعجمتين بينهما واو- إلى جدار رباط رامشت المقابل له فاثان و خمسون ذراعا و ربع و ذلك ذرع الأروقة من الصحن، و ذرع الوسط وحده طولاً من الأساطين الشرقية التي تلى المسجد الكبير إلى باب إبراهيم ستة و ثلاثون ذراعا و ربع و ثمن. و ذرعه عرضاً ثلاثة و ثلاثون ذراعا و نصف بالحديد. هذا تحرير الفاسى رحمه الله

أقول(1): كان ذرع زيادة باب إبراهيم كما ذكره الفاسى، و أما فى وقتنا هذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة، بمقتضى تغيير الباب و رفعه، و ما أحدثه الأمير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسى من البلاط و الدرج البارزة إلى نفس المسجد و زوال تلك العتبة الأولى كما قدمته آنفا. انتهى و الله الموفق.

ذكر كيفية المقامات التي هي الآن في زمننا موجودة بالمسجد الحرام و بيان مواضعها و كيفية الصلاة فيها و ما فى المسجد من القبة و السقايات و غيرها

أما المقامات فأربع: مقام الشافعى، و صفته بترتان(2) عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة و خشبة معترضة للقناديل، و هو خلف مقام الخليل عليه السلام. و أما مقام الحنفى فكان قديماً أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف و أعلاه مما يلي السماء مطلى بالنورة، و بين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخّم، و كان ابتداء عمله على هذه الصفة فى أواخر سنة إحدى و ثمانمائة، و انتهى فى أوائل سنة اثنين و ثمانمائة كذا ذكره الفاسى(3).

ص: 186

1- 353. (1) سقطت من المطبوع.

2- 354. (2) البتر: القوائم.

3- 355. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 391.

ثم قال وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارסקورى الشافعى، وألف فى ذلك تأليفا حسنا، والشيخ سراج الدين البلقينى وولده الإمام العلامة قاضى القضاة بالديار المصرية شيخ الإسلام جلال الدين، وكان إذ ذاك متوليا وباقى القضاة، وأفتوا بهدم هذا المقام و تعزير من أفتى بجوار بنائه على هذه الصفة، ورسم ولى الأمر بهدمه، فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر(1).

وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم انتهى(2).

وسبب المعارضة أن جماعة من علماء الحنفية إذ ذاك أفتوا بجواز بقائه على هذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقى من البرد والمطر، وأن حكمه حكم الأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام. ثم فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الأمير سودون المحمدى سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان، ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء، ولم يكن هذا فيه قبل ذلك، ثم جدّد بعد ذلك مرارا آخرها فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة، وقد أدركته، وهو على هذه الصفة، واستمر كذلك إلى عام أربعة وعشرين وتسعمائة.

فلما حج الأمير مصلح الدين الرومى فى موسم سنة ثلاث وعشرين فى أول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له أن يهدمه، فهدمه فى أول عام أربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر عراض جدا بأربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عند أهل مكة بحجر الماء، يؤتى به من جهة الحديدية أحمر وأصفر منحوت، وزاد فى طوله وعرضه، وأراد إيصاله بالمطاف فعرف بأن ذلك يؤدى إلى قطع الصف الأول الذى يصلى خلف إمام الشافعية، فاقصر وانتهى بمحراه إلى إفريز حاشية المطاف، واستمر الأول متصلا، واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمس وعشرين سنة فلما كان فى عام تسعة وأربعين وتسعمائة برز أمر مولانا سلطان الإسلام بهدم هذه القبة لما أنهى إليه من شموخها وأخذها جانبا كبيرا من المسجد.

ص: 187

1-356. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 392.

2-357. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 392.

وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله، فإني سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور أنه كان يقول: لا بد أن تهدم هذه القبلة، وكان كذلك وكرامات الولي حق. فلما برز الأمر بذلك بادر إلى هدمها الأمير خشقلدى، صاحب الهمم العالية، مزيل المنكرات، وموسع الطرقات، نعمة الله على أهل المفاسد، نائب جدة المحروسة ومباشر العمائر السلطانية المأنوسة. أعزه الله تعالى، وكان له وأحسن إليه. فبادر إلى امتثال الأمر وحضر بنفسه على جارى عادته فى علو الهمة وهدم القبلة المذكورة وذلك فى أوائل شهر رجب أحد شهور عام تسعة وأربعين وتسعمائة.

ثم شرع فى بناء مقام عظيم فى الشهر المذكور وصفته أربع بتر لطاف فى الأركان من أنقاض القبلة الأولى من حجر الماء وستة أعمدة من حجر الصوان مثمثة كل عمود قطعة واحدة. فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين إلى جهة القبلة، وعمودان بين البترتين المؤخرتين، وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة، وعمود بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وشقة ثلاثة منها إلى جهة القبلة وثلاثة منها إلى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الأولى وعقدان إلى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالساً فى المقام مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما إلى جهة باب السلام وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا السقف فى يوم الخميس غرة شعبان أحد شهور العام المذكور آنفاً.

ثم جعل فوق هذا السقف ظلة للمبلغين بأربع بتر وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتانية على حكم ما جعل أسفل، عليها سقف مزخرف بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص إلى جهة السماء لدفع المطر، وفى أرض السقف الأول طاقة فى وسطه يرى المبلغ منها الإمام وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ إلى الظلة فى وقت المكتوبات.

وكان ابتداء تركيب سقف الظلة فى يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى بعد الترصيص فى ثالث عشر رمضان من العام المذكور (1).

وأما مقام المالكي والحنبلي فكان قديماً كمقام الشافعي المتقدم بترتان عليهما عقد،

ص: 188

وفى أعلاه نحو ثلاث شرارييف غير أن بين البترتين من أسفل جدارا لطيفا فيه محراب فى هذين المقامين فقط.

ونقل الفاسى رحمه الله فى كتابه «شفاء الغرام» أن ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هذه الصفة المذكورة كان فى سنة سبع و ثمانمائة، ثم قال: وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب يعنى به أصل «شفاء الغرام» ولم يوجد هذا الأصل بعد الفاسى ولا عشر عليه مطلقا. فما كان من مقام الشافعى فهو كذلك إلى يومنا هذا.

و أمام مقام المالكى و الحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين و تسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا عليه فى أيام مولانا الخنكار(1) الأعظم سلطان الإسلام خان أدام الله أيامه، و رفع بالنصر و التأييد أعلامه، و صفتها الآن كل مقام بأربع أساطين مثمثة الشكل كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكى، و تحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع و تثمين و فوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان و فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف و فوقه إلى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليها صفائح الرصاص لأجل المطر، و فى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين إلى جهة القبلة و هما كذلك إلى هذا التاريخ، و كان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجى الرومى و الله أعلم.

ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات و بيان مواضعها من المسجد الحرام

أما كيفية الصلاة فإنهم فى زماننا هذا يصلون مرتبين، الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفى إمام الحنفية بعده فى مقام الحنفية، ثم إمام المالكية بعده فى مقامه المتعين له، ثم إمام الحنابلة بعده فى مقامه، و هذا فى الأربع الفروض الفجر و الظهر و العصر و العشاء و أما صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلى الحنفى و الشافعى معا فى وقت واحد، فحصل بذلك التخليط و التشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك إلى مولانا السلطان سليمان، فبرز أمره بالنظر فى ذلك و إزالة هذا التخليط.

ص: 189

1-359. (1) الخنكار: بمعنى الموفق، و هى لقب لسلطين الدولة العثمانية.

فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدة في الحطيم واقتضى رأيهم أن الحنفى يتقدم فى صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعى وكان هذا فى حدود إحدى و ثلاثين و تسعمائة، واستمر ذلك إلى وقتنا هذا عام تسعة و أربعين و تسعمائة فجزى الله الساعى فى ذلك خيرا، و أما المالكى و الحنبلى فلا يصلون المغرب فيما أدركناه.

و أما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كما فى الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى مدة، ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين- بتقديم التاء على السين- و سبعمائة و نقل الفاسى عن ابن جبير ما يقتضى أن كلا من الحنفى و الحنبلى كان يصلى قبل الآخر، أما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعا أعنى الأربعة الأئمة فى وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين و اختلاف حركات المصلين، فأنكر العلماء ذلك و سعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك و هو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة إحدى عشرة و ثمانمائة بأن الإمام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده فنفذ أمره بذلك(1).

و استمر الحال كذلك إلى أن تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر، فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك، فابتدأوا بذلك فى ليلة السادس من ذى الحجة عام ستة عشر و ثمانمائة(2) و استمروا يصلون كذلك إلى... (3).

و أما وقت حدوث صلاة الأئمة المذكورين على كيفية المتقدمة، فقال الفاسى رحمه الله: لم أعرفه تحقيقا، ثم نقل ما يدل على أن الحنفى و المالكى كانا موجودين مع الشافعى فى سنة سبع و تسعين- بتقديم السين، فى الكلمة الأولى و التاء فى الثانية- و أربعمائة و أن الحنبلى لم يكن موجودا فى ذلك الوقت، وإنما كان إمام الزيدية. ثم قال:

و وجدت ما يدل على أن إمام الحنابلة كان موجودا فى عشر الأربعين و خمسمائة(4) و الله تعالى أعلم.

و أما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام:

ص: 190

1-360. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 393.

2-361. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 394.

3-362. (3) بياض بالأصلين.

4-363. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 395.

فإن مقام الشافعي خلف مقام الخليل و لكن ما يصلى إمام الشافعية إلا فى مقام الخليل قديما و حديثا، و مقام الحنفى بين الركنين الشامى و يسمى العراقى أيضا، و الغربى عن يمين مقام الخليل فى جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذى فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف، و مقام المالكى بين الركنين الغربى، و اليمانى قريب من الحاشية، و مقام الحنبلى تجاه الحجر الأسود و قربه من المطاف كقرب مقام الحنفى.

ذكر ما فى المسجد الحرام من القب و غيرها

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا إلى جانب بئر زمزم من جهة المشرق: إحداهما و هى التى تلى زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف و الربعات الموقوفة و حفظ الفوانيس و الشمع و الشمعدانات النحاس و المسارج النحاس و الكراسى الخشب التى ترفع عليها الرباع، و ما أشبه ذلك من الأشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام. و لم أقف على ابتداء عمارتها متى كانت (وقد جدها الناصر العباسى، و كانت موجودة قبله(1)).

و ذكر الفاسى رحمه الله ما يدل على أنها قديمة لأنه نقل عن ابن عبد ربه أنه ذكرها فى «العقد»(2) و أن ابن عبد ربه توفى سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة و نقل أيضا عن ابن جبير أنه ذكر هذه القبة فى أخبار «رحلته»(3) و ذكر أنها تنسب لليهودية و لم يبين سبب هذه النسبة.

(و القبة الثانية) هى سقاية العباس عمرت فى سنة 807، و خلف سقاية العباس ملاصقا لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الوقادة كالعيدان التى ينزل بها القناديل و يسرج بها، و كالقصب المجوف الذى يطفأ به المصابيح، و بعض شىء من الزيت الذى يحتاج إليه لوقيد الشهر، و بعض شىء من القناديل الزجاج و الحراريق التى توقد على المقامات فى الليالى المباركة كليلة أول المحرم و ليلة العشر منه و ليلة النصف من شعبان و ليلة أوائل الشهور و غير هذا.

و منها: فى المسجد الحرام بئر زمزم، و محلها تجاه الحجر الأسود فى محل مرخم عليه سقف و فوقه ظلة مسقوفة بالخشب المزخرف، و فوقه جمالون بقبة فى الوسط مصفح بالرصاص و قد جدد ذلك فى عام ثمانية و أربعين و تسعمائة، على يد الأمير خشقلدى كان

ص: 191

1-364. (1) إخبار الكرام ص 189 و ما بين حاصرتين منه.

2-365. (2) العقد الفريد ج 6 ص 258.

3-366. (3) رحلة ابن جبير ص 76.

الله له، تجديدا حسنا، وفي هذه الظلة خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة، وإلى جانبها مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار، وفي الظلة يؤذن رئيس المؤذنين و يبلغ خلف إمام الشافعية في الصلوات الخمس.

هذا وفي زيادة باب إبراهيم حاصلان مسقوفان بابهما في نفس الزيادة معدان لحفظ أخشاب المسجد المنكسرة و المنائر الدائرة و الرصاص المتقلع و غير ذلك من الأنقاض، عمرا في حدود عام سبعة عشر و تسعمائة أو في الذي قبله في زمن السلطان الغوري على يد الأمير خاير بك العلائي المعروف بالمعمار. هذا ما في المسجد الحرام مما أعد لمصالحه.

و مما أحدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران في زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام أحدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة و الرأي المستقيم الأمير خشقلدى أعز الله جنابه و أجزل أجره و ثوابه، و كان مبدأ عمارتهما في شهر رجب أيضا عام تسعة و أربعين و تسعمائة، و كانت عمارتهما في هذا المحل في غاية الصواب لأن محلهما كان به دكة عالية و ربما يحصل فيها أو قد حصل من المفاسد ما الله أعلم به، فانصان ذلك المحل بعمارة هذين الحاصلين و زال ما يتوقع من المفاسد و نقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الأول الذي كان خارج المسجد إلى أحد هذين الحاصلين، و صار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الأمير المذكور و حسن رأيه جزاه الله تعالى خيرا و الله أعلم.

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام و أسمائها و بيان محلها من المسجد

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام (1) و أسمائها و بيان محلها من المسجد

للمسجد الحرام الآن من الأبواب تسعة عشر بابا بثمانية و ثلاثين منفذا، فمن ذلك بالجانب الشرقي أربعة أبواب بأحد عشر منفذا:

الأول: باب السلام و يعرف قديما بباب بنى شيبه و هو ثلاثة منافذ.

الثاني: باب الجنائز، و سمي بذلك لأن الجنائز قديما كان يخرج بها منه و هو منفذان.

ص: 192

وعرفه الأزرقى بباب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يخرج منه إلى منزله دار خديجة زوجته و يدخل منه.

الثالث: باب العباس بن عبد المطلب لأنه يقابل داره التي بالمسعى وهو ثلاثة منافذ.

الرابع: باب عليّ وهو ثلاثة منافذ أيضا، وعرفه الأزرقى بباب بنى هاشم و بباب البطحاء أيضا.

(و من ذلك) بالجانب الشامى خمسة أبواب بسته منافذ:

الأول: باب الدريية منفذ واحد على يمين الداخل إلى المسجد من باب السلام.

الثانى: باب سويقة فى صدر زيادة دار الندوة منفذان.

الثالث: باب الزيادة غربى الزيادة المذكورة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد.

الرابع: باب العجلة وسمى بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديما دار العجلة و لم أدر ما هذه العجلة و هو منفذ واحد.

الخامس: باب السدة لكونه سد ثم فتح. وعرفه الأزرقى بباب عمرو بن العاص رضى الله عنه، و سكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب إلى المسجد الحرام بجوار المسجد فله الحمد على اختصاصى بجوارين و هو منفذ واحد.

(و من ذلك) بالجانب الغربى ثلاثة أبواب بأربعة منافذ:

الأول: باب العمرة لأن المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه و يدخلون منه فى الغالب و سماه الأزرقى باب بنى سهم و هو منفذ واحد.

الثانى: باب إبراهيم منفذ واحد كبير أكبر أبواب المسجد فى الزيادة التى بهذا الجانب.

قال الفاسى: و إبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطا عنده على ما قيل كما ذكره البكرى فى كتاب «المسالك و الممالك» و أن العوام نسبوه إليه، و وقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر و ابن جبير و غيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام، و هو بعيد لا وجه له. و الله أعلم. انتهى.

الثالث: باب الحزورة المصحف الآن بعزورة- بالعين المهملة- و هو منفذان و عرفه الأزرقى بباب بنى حكيم بن حزام- بالحاء المهملة المكسورة و الزاى المعجمة- و بباب بنى الزبير بن العوام أيضا ثم قال: و الغالب عليه باب الحزامية لانه يلى خط الحزامية.

(و من ذلك) بالجانب الجنوبي سبعة أبواب بسبعة عشر منفذا:

الأول: باب أم هانئ بنت أبي طالب و بذلك عرفه الأزرقى و هو منفذان.

و ذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة، لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى فى زمنه. و عرفه الآقشهرى بباب الفرج و نسبته إلى أم هانئ هو الأشهر إلى يومنا هذا، لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ و كان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار و البئر فى المسجد فى زيادة المهدي الثانية. فحفر المهدي عوضا بئر على باب البقالين فى حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الأزرقى.

أقول: لعل هذه البئر التى هى عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الأموات الطرحاء الفقراء الآن، فإنى لا أعلم هنا بئرا غيرها. و فى هذا دلالة على أن باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه. انتهى.

الثانى: باب مدرسة الشريف عجلان لأنها بجانبه، كذا عرفه الفاسى. و عرفه الأزرقى بباب بنى تيمم(1) و هو منفذان.

الثالث: باب المجاهدية لأن عنده مدرسة المالك المجاهد صاحب اليمن، كذا عرفه الفاسى و يقال له باب الرحمة. و ما عرفت سبب هذه التسمية. و ذكر الأزرقى أنه من أبواب بنى مخزوم و هو منفذان.

الرابع: باب أجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير. و عرفه أيضا بباب الخلقين(2) و لم أعرف ما المراد بذلك. و عرفه الأزرقى بباب بنى مخزوم.

الخامس: باب الصفا خمسة منافذ. و عرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم و كذا

ص: 194

1- 368. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 90.

2- 369. (2) فى المطبوع: «الحلقين» و فى د: «الخليفتين» و المثبت رواية ابن جبير، و الخبر لديه ص 81.

عرفه الأزرقى أيضا و سبب تعريف هذه الأبواب بنى مخزوم كونهم كانوا ساكنين فى تلك الجهة.

السادس: باب البغلة- بباء موحدة و غين معجمة- و هو منفذان كذا عرفه الفاسى و لم أدر ما سبب هذه الشهرة. و عرفه الأزرقى بباب بنى سفيان.

السابع: باب بازان كذا سماه الفاسى، و قال: لأن عين مكة المعروفة ببازان عنده و عرفه الأزرقى بباب بنى عائد و هو منفذان.

أقول: فى عبارة الفاسى بعض تسامح، لأن بازان هو المحل الذى تمر فيه عين مكة ينزل إليه بدرج لا نفس العين الجارية، و كل محل ينزل إليه بدرج و يكون مستطيلا يسمى بازان فى عرف أهل هذا الزمان. و فى مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج و الظاهر أن درجة أزيلت فيحتمل أن عين مكة كانت تسمى فى ذلك الوقت بازان. و سمي هذا المحل باسم العين و يحتمل أن يكون من باب تسمية الحال باسم المحل. انتهى. فهذه عدة أبواب المسجد الحرام الموجودة الآن و الله أعلم.

ص: 195

الباب الثامن في فضل أهل مكة و احترامهم و مزيد شرفهم و إكرامهم و ذكر شىء من فضل قريش و نسبة النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه العشرة

إشارة

روى الأزرقي في «تاريخه» عن وهب بن منبه، أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض استوحش لما رأى من سعتها و لم ير فيها أحدا غيره، فقال: يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها و يقدر لك غيري؟ فقال له: سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي و يقدر لي، و سأجعل فيها بيوتا لذكري و يسبحني فيها خلقي، و سأبؤنك فيها بيتا أختاره لنفسى و أختصه بكرامتى، و أوثره على بيوت الأرض كلها باسمى فأسميه بيتى و أنطقه بعظمتى و أجوزه بحرمايتى، و أجعله أحق بيوت الأرض كلها و أولها بذكري، و أجعله فى البقعة التى اخترت لنفسى، فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات و الأرض، و أجعل ذلك البيت لك و لمن بعدك حرما و أمنا، أحرم بحرماته ما فوقه و ما تحته و ما حوله، فمن حرمة بحرمتى فقد عظم حرمايتى، و من أحله فقد أباح حرمايتى، و من آمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى، و من أخافهم فقد أخفرتنى فى ذمتى، و من عظم شأنه عظم فى عينى، و من تهاون به فقد صغر فى عينى، و لكل ملك حيازة مما حوالية، و بطن مكة خيرتى و حيازتى و جيران بيتى و عمارها و فدى و أضيافى فى كنفى ضامنون على فى ذمتى و جوارى، فأجعله أول بيت وضع للناس و أعمره بأهل السماء و أهل الأرض يأتون أفواجا شعنا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجبون بالتكبير عجيجا و يرجون بالتلبية رجيجا، و ينتحبون بالبكاء نحيا.

فمن اعتمره لا- يريد غيره فقد زارنى و وفد إلى و نزل بى، و من نزل بى فحقيق على أن أتخفه بكرامتى و حق على الكريم أن يكوم وفده و أضيافه و أن يسعف كل واحد منهم بحاجته.

تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الأمم و القرون و الأنبياء أمة بعد أمة و قرن

بعد قرن و نبي بعد نبي حتى ينتهي ذلك إلى نبي من ولدك و هو خاتم النبيين، فأجعله من عماره و سكانه و حماته و ولاته و سقاته، يكون أميناً عليه ما كان حياً.

و أجعل اسم ذلك البيت و ذكره و شرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي و هو أبوه يقال له إبراهيم، أرفع له قواعد و أفضى على يديه عمارته، و أنيط له سقايته، و أريه حله و حرمة و موافقه، و أعلمه مشاعره و مناسكه و أجعله أمة واحدة قانتاً لى قائماً بأمرى أجتبيه و أهديه إلى صراط مستقيم، أستجيب له فى ولده و ذريته من بعده.

و أشفعه فيهم فأجعلهم أهل ذلك البيت و ولاته و حماته و سقاته و خدامه و خزانة و حجابته حتى يبتدعوا و يغيروا.

فإذا فعلوا ذلك فأنا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشياء بمن أشياء أجعل إبراهيم إمام أهل ذلك البيت و أهل تلك الشريعة، يأتهم به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس و الجن يطنون فيها آثاره و يتبعون فيها سنته و يقتدون فيها بهديه.

فمن فعل ذلك منهم أو فى نذره و استكمل نسكه و من لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه و أخطأ بغيته، فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا؟ فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين إلى ربهم الذى يعلم ما يبدون و ما يكتمون.

و ليس هذا الخلق و هذا الأمر الذى قصصت عليك شأنه يا آدم بزائد فى ملكى و لا عظمتى و لا سلطانى و لا شىء مما عندى إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبعة أبحر، تمدها من بعدها سبعة أبحر لا تحصى بل القطرة أزيد فى البحر من هذا الأمر فى شىء مما عندى و لو لم أخلقه لم ينتقص شىء من ملكى و لا عظمتى و لا مما عندى من الغنى و السعة إلا كما نقصت الأرض ذرة وقعت فى جبالها و ترابها و حصاها و رمالها و أشجارها، بل الذرة أنقص للأرض من هذا الأمر لو لم أخلقه لشىء مما عندى و بعد هذا من هذا مثلاً للعزيز الحكيم. انتهى (1) بنصه.

و جاء فى الحديث أن سفهاء مكة حشو الجنة، كذا نقل عن أبى العباس الميورقى.

و وقع بين عالمين منازعة فى الحرم المكى فى تأويل هذا الحديث و سنده فكابر أحدهما

ص: 198

على مكة قال له: هل تدري إلى من أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله. زاد الأزرقى: فاستوص بهم خيرا. يقولها ثلاثا(1).

وأخرج الأزرقى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعى لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى، واشتد غضبه عليه لذلك، ولم يسكن غضبه عن رافع إلا حين أخبر أن ابن أبزى قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض، وتواضع حينئذ عمر رضى الله عنه، وقال: لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين، وفي رواية بهذا القرآن(2).

أقول: ما تقرر من الفضل المذكور لأهل مكة، فهو على سبيل العموم للصالح منهم والطالح كما دل عليه سياق الكلام الذى هو فى مقام الامتنان. ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفا سفهاء مكة حشو الجنة. وهذا مما لا يخفى على من له أدنى تأمل، وهذا الفضل لا يشاركهم فيه أحد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم فى أعظم الأمور، وهو الإسلام، وكذلك الحج. فإن الواحد منهم منذ سقط رأسه وإلى حين وفاته يحج هذا البيت إذا كان مقيما فإن أحرم عنه وليه فى كل عام إلى حين بلوغه، فلا ريب فى تسميته حاجا وحصول ثواب الحج النفل، وإلا فقد شهد المشاعر العظام ولا يتهدأ هذا غيرهم، وهذا حال أكثرهم فلله الحمد والمنة على ذلك.

فلو خصص الله أحدا منهم بزيادة خلة- بفتح الخاء- وهى الخصلة من خصال الخير، إما علم أو ورع أو زهد أو تقوى أو صلاح، فلا ريب حينئذ فى زيادة فضله وشرفه وعلو مقامه.

وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبخ بخ له، وأين ذاك، فإن كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من النعوت فلا كلام حينئذ فى زيادة شرفه لما أن كثرة الخصال الحميدة والأوصاف المجيدة مما يدل على شرف القائم بها وزيادة فضله، لا سيما إذا كان ثابت التوالد بمكة هو وأبوه وأجداده جاهلية وإسلاما، وذلك لفضل قريش مطلقا على جميع العرب ولما خصهم الله به من سنى المجد ورفيع النسب. انتهى والله الموفق.

ص: 200

1-373. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 151.

2-374. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 152.

قال الله تعالى: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ السُّورَةِ (سورة قريش) قال الكواشي: أصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرئ بضم الراء، و هي الجهة يرحل إليها، و أراد رحلتى الشتاء و الصيف فأفرد للعلم به لأن قريشا كانت ترتحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء إلى اليمن لأنه أدفأ، و رحلة صيف إلى الشام يستعينون بهم على المقام بمكة. و قريش من ولد النضر بن كنانة، و من لم يلد له فليس بقريشى. انتهى. و الأشهر أن كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشى، و من لم يكن من ولده فليس بقريشى، و هو جماع قريش بأسرها، و الدليل على صحة ذلك أنه لا يعلم قرشى من كتب النسب اليوم أن قريشا تنسب إلى أب فوق فهر، و فهر لقب له و الذى سمته به أمه قريش.

و سيأتى آنفا سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا إن شاء الله تعالى. قال صاحب «المدارك» و كانت قريش فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا- يتعرض لهم و غيرهم يغار عليهم. و التنكير فى جوع و خوف لشدتهمما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، و آمنهم من خوف عظيم، و هو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم و مسيرهم. و آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. انتهى ملخصا.

و قال تعالى: وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ (سورة الزخرف: 44) قيل فى تفسيرها يقال، ممن هذا الرجل؟ يقال: من العرب. يقال: من أيهم؟ يقال رجل من قريش.

و عن ابن عباس: و إنه لذكر لك و لقومك شرف لك و لقومك. و قال تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ (سورة الأنبياء: 10) أى فيه شرفكم و قال تبارك و تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (سورة الشعراء: 214) المراد قريش، و قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ أَى كريم يعنى قريشا، و قال تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (سورة الشورى: 23) أى لا أسألكم أجرا إلى ما أدعوكم

إليه إلا أن لا تؤذوني بقرابتي منكم و تحفظوني بها و لا تكذبوني قال ابن عباس رضى الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أوسط النسب فى قريش ليس بطن من بطونهم إلا و قد ولده.

ما ورد فى حق قريش من الأحاديث

و أما ما ورد فى حقهم من الأحاديث فكثيرة من ذلك فى «صحيح البخارى» قوله صلى الله عليه و سلم: الناس تبع لقريش. و فيه أيضا: إن هذا الأمر فى قريش لا- يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين، و فيه لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان. و فى «الفائق» بلفظ ما بقى فى الناس اثنان.

قال العلامة السيوطى فى شرح هذا الحديث: هو خبر بمعنى الأمر و إلا فقد خرج الأمر عنهم من أكثر من مائتى سنة، و يحتمل أن يكون على ظاهره و أنه مقيد بقوله فى الحديث الآخر: ما أقاموا الدين و لم يخرج عنهم إلا و قد انتهكوا حرمانه انتهى.

و فى «الفائق» عنه صلى الله عليه و سلم: أذق اللهم آخر قريش نوالا كما أذقت أولهم و بالا. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: خير نساء صلح نساء قريش أحناهن على ولد و أرعاهن لزوج. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: خيار قريش خيار الناس. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: دخلت الجنة فرأيت قصرا من ذهب فقلت لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: ذروا فعل قريش و خذوا بقولهم.

أقول: يحتمل أن هذا قاله صلى الله عليه و سلم فى ابتداء الأمر قبل إسلام قريش و هو الظاهر من فحوى الكلام، و فيه من التنويه بشأنهم ما لا- يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة و هم فى تلك الحال المطبوع على قلوبهم فيها، و مع ذلك فقد أمر صلى الله عليه و سلم بالأخذ بقولهم و يحتمل أن ذلك بعد إسلامهم و يحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة و يحتمل أن يكون ذلك فى واقعة مخصوصة اقتضاها الحال و هذا منى على سبيل البحث و ما أدى إليه الفهم و إلا لم أقف على كلام فى ذلك. انتهى.

و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: شرار قريش خير شرار الناس. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: قريش أهل الله و خاصته. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: أسرع الناس فناء قريش. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: قريش هم الأنصار ليس لهم دون الله و رسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام.

أقول: قوله في آخر الحديث: قرت عين من أطعم الناس الطعام، يحتمل أن يكون الكلام راجعا إلى قريش و يصير المعنى من أطعم أحدا من قريش الطعام قرت عينه ويكون فيه حث على قراء الأضياف و مكارم الأخلاق، لأن العرب قديما و حديثا يفتخرون بذلك و يتمادحون به و هذا هو الأشبه الذي سبق إليه الفهم، و يحتمل أن يرجع إلى غيرهم ممن يكرم قريشا و يقربهم و يطعمهم. و على كلا التقديرين ففيه إشارة لهم و مدحة. انتهى.

و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: قدموا قريشا و لا تتقدموهم. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: من أهان قريشا أهانه الله و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: من يرد إهانة قريش يهنه الله.

فتأمل هذه الكرامة التي أكرمهم الله بها و أن بمجرد النية جوزى بالإهانة على حد قوله تعالى وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (سورة الحج: 25) فسبحان من فضل بعض الناس على بعض. و فيه عنه صلى الله عليه و سلم: لا يبغض قريشا رجل يؤمن بالله و اليوم الآخر.

و فيه عنه صلى الله عليه و سلم قال: إني امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئا فقد نالني رواه الزبير بن بكار. و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: صلب الناس قريش و هل يمشى الرجل بغير صلب. و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: قريش كالملاح فهل يطيب طعام إلا به و لو لا أن تطغى و في رواية أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز و جل. و عنه صلى الله عليه و سلم: أمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس رواه أبو نعيم.

و عنه صلى الله عليه و سلم: اللهم فقه قريشا في الدين. و عنه صلى الله عليه و سلم: لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما. قال بعض العلماء: إن هذا العالم هو الإمام الشافعي رضي الله عنه لأن علمه قد ظهر و انتشر في البلاد و كتبت كتبه كما كتب المصاحف و درسها المشايخ و الشبان و استظهروا أقاويله و أجروها في مجالس الحكام و القراء و الأمراء، و هذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد إلا بالإمام الشافعي، إذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم و إن كان علمه قد ظهر و انتشر لكنه لم يبلغ مبلغا يقع تأويل هذه الرواية عليه، و إلى مثل هذا التأويل ذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: لا تعلموا قريشا و تعلموا منها فإن أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة الاثنين من غيرهم. و للقريشي قوة الرجلين من غير قريش و عقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم. و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: إن قريشا أهل أمانة و صدق فمن بغى لهم

الغوائل - وفي رواية العواثر(1) - أكبه الله لوجهه في النار يوم القيامة. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله تعالى. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي الدرداء: يا أبا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة إن أول من يهلك من الناس قومك. فقالت: فما بقاء الناس بعدهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هم صلب الناس إذا هلكوا هلك الناس. وفي رواية أنها قالت: فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: دباء يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة. و الدباء التي لم تنبت أجنحتها من الجراد.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا بعدهم، فضلهم بأني منهم وأن النبوة فيهم والحجاجة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم على الفيل و عبدوا الله عشر سنين لم يعبدوا فيها أحد غيرهم. وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها أحد غيرهم يعني لإيلاف قريش.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء من بدر سمع رجلا من الأنصار وهو يقول: و هل لقينا إلا عجائز كالجزر المعلقة فنحنراها، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذاك يا بن أخي أولئك المملأ الأكبر من قريش، أما إنك لو رأيتهم في مجالسهم بمكة هبتهم، فوالله لقد أتيت مكة فرأيتهم قعودا في المسجد في مجالسهم فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: عبد مناف عز قريش، وأسد بن عبد العزى عضدها وركحها وزهرة الكبد، وتيم و عدى رثتها، و مخزوم فيها كالأراكة في نضرتها و جمع و سهم جناحها و عامر ليوثها و فرسانها، و كل تبع لولد قصى و الناس تبع لقريش و ركحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة. و الأحاديث في فضلهم كثيرة لا يحملها هذا التعليق، و فيما ذكرته مقنع.

ما ورد في حق قريش من الآثار

و أما ورد في حقهم من الآثار، فروى عن عروة بن الزبير أنه قال: كانت قريش في أيام الجاهلية تدعى العالمية للعلم. و عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: لما أمر عثمان رضى الله عنه زيد ابن ثابت و سعيد بن العاص، و عبد الله بن الزبير، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم

ص: 204

أن ينسخوا المصحف من الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة الصديق رضى الله عنه. قال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت رضى الله عنه: التابوه بالهاء، وهى لغة الأوس والخزرج، فاختلفوا. فأمر عثمان أن يكتب بالتاء بلغة قريش قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ (سورة إبراهيم: 4) وعن هشام بن عروة بن الزبير أنه قال:

كان لقريش فى ذلك ضابط كمملكة فارس، و ليس لهم ملك، وإنما كان ذلك بأحلامهم، و كان كالسلطان الضابط و كان يقال لهم قطين الله. و ذكر أن العربى من غير قريش كان فيما مضى لم يقدر على الخروج من دار قومه فى غير الأشهر الحرم إلا فى جماعة. و كان القرشى يخرج وحده حيث شاء و أنى شاء. فىقال رجل من أهل الله عز و جل، فلا يعرض له عارض، و لا يريبه أحد و لم يعهد أن الحرم غزى و لا سببت قرشية فى جاهلية و لا إسلام قط.

و يروى أن كنانة بن خزيمة بن مدركة أتى فى منامه و هو فى الحجر، فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل و الهدرة أو عمارة الجدار عز الدهر، فقال: كلا يا رب فصار كل هذا من قريش، و كانت قريش على إرث من دين أبويهم إبراهيم و إسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف و رفد الحاج و تعظيم مكة المكرمة، و منع الملح و الباغى فيها و قمع الظالم و نصر المظلوم غير أن أوائلهم دخلت فيهم أحداث غيرت أصول الحنيفية دين إبراهيم و طال الدهر حتى أفضى بهم ذلك إلى الجهل بشعار الدين و الضلال عن سنن التوحيد، فمحا الله عز و جل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه و سلم فأقذهم به من الضلالة و هداهم من العماية و الجهالة.

استطراد مهم

حيث ذكرت شيئاً من فضائل قريش رأيت أن أذكر نسب سيد قريش و صميمها و غلصمتها(1) و عظيمها سيدنا محمداً خاتم النبيين و حبيب رب العالمين، و نسب أصحابه العشرة الكرام البررة و ذكر شىء من مناقبهم و أحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم

ص: 205

هذا المؤلف و يسطر ثواب ذلك فى صحائف المؤلف، لما أن العشرة رضى الله عنهم كلهم من قريش و نسبهم متصل بنسبه صلى الله عليه و سلم فأقول:

أما نسبه (1) صلى الله عليه و سلم فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) و سيأتى سبب تسميته بذلك قريبا فى فضل زمزم إن شاء الله تعالى.

(ابن عبد المطلب): و اسمه شيبه الحمد، و قيل عامر، و إنما قيل له شيبه الحمد لشيبه كانت فى ذؤابته ظاهرة، و كنيته أبو الحارث بابن له، و إنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب و هو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فسمى عبد المطلب لهذا، و قيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه، و هو بهيئة غير لائقة فسأله عنه فقال: هو عبدى حياء أن يقول هو ابن أخى، و هو بتلك الحالة، فلما أدخله و أحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب، و قيل: إنه كان أسمر اللون فلما جاء به مردفه خلفه ظن الناس أنه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد، فلزمه ذلك.

(ابن هاشم) و اسمه عمرو و العلاء، و إنما سمي هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه فى أيام الجذب و المجاعة، و فيه يقول القائل.

عمرو الذى هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون عجاف

و بلغ فى الكرم مبلغا عظيما حتى أنه كان يطعم الوحش و الطير فينحر لهما فى رءوس الجبال، و إذا وقع القحط أطعم الناس، و أمر الموسرين من أهل مكة بالإنفاق على فقرائهم حتى يأتى الله بالغيث. ثم إنه وفد الشام على قيصر فأخذ كتابا بالأمان لقريش، و أرسل أخاه المطلب إلى اليمن فأخذ من ملوكهم كتابا أيضا ثم أمر بذلك تجار قريش برحلتى الشتاء و الصيف، فكانوا يرحلون فى الصيف إلى الشام، و فى الشتاء إلى اليمن كما تقدم، فأتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة، و أنقذهم الله من الخوف و الجوع ببركة هاشم.

(ابن عبد مناف) و كان يسمى قمر البطحاء لصباحته، و هو الذى قام مقام أبيه قصى بالسيادة و سقاية الحاج، و كان يسمى المغيرة على ما قيل، و كنيته أبو عبد شمس.

ص: 206

1- 377. (1) انظر فى نسب الرسول و من بعده من الصحابة كتب السير و كتب تراجم الصحابة و كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، و سير أعلام النبلاء للذهبي و غيرها.

(ابن قصى) واسمه زيد، وقيل يزيد، وإنما قيل له قصى لأنه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بنى عذرة ونشأ مع أخواله، وبعد عن مكة فسمى لذلك قصىً مأخوذ من القاصى، وهو البعيد، وكان يدعى مجمعا لأنه لما كبر وعاد إلى مكة جمع قريشا من البوادي، وردها إلى مكة بعد أن تفرقت، وأخرج خزاعة منها فلذا سمي مجمعا، وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبي لهب:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فھر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فھر بن مالك بن النضر) واسمه قريش، وبه سميت قريش على أحد الأقوال، وقيل أول من سمى قريشا قصى، وهو ضعيف وسيأتى قريبا ما عليه الاعتماد فى ذلك إن شاء الله تعالى.

(ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو، وإنما سمي مدركة على ما قيل لأنه جرى خلف أرنب فأدركها فسماه أبوه مدركة.

(ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان): هذا هو المجمع عليه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى عدنان أمسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك. (وآبؤه صلى الله عليه وسلم كلهم سادات ما منهم إلا من هو سيد قومه فى عصره) و ما أحسن ما قيل فى هذا المعنى:

فأولئك السادات لم تر مثلهم عين على متتابع الأحقاب

لم يعرفوا رد العفاة و طال ما ردوا عداتهم على الأعقاب

زهر الوجوه كريمة أحسابهم يعطون سائلهم بغير حساب

حلموا إلى أن لا تكاد تراهم يوما على ذى هفوة بغضاب

و تكرموا حتى أبوا أن يجعلوا بين العفاة و ما لهم من باب

كانت تعيش الطير فى أكنافهم و الوحش حين يشح كل سحاب

و كفاهم أن النبى محمدا منهم فمدحهم بكل كتاب

و أمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى

بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو صلى الله عليه وسلم أصيل الطرفين كريم الأصلين زاده الله شرفا وكرما، حملت به في شعب أبي طالب وولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج في شعب بنى هاشم و سيأتي ذكرها و محلها في الخاتمة عند عد الأماكن المباركة التي تزار بمكة إن شاء الله تعالى.

و كانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثني عشر من ربيع الأول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه. وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه. وقيل أول اثنين منه و ذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما و كان قدوم الفيل على ما قيل يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة اثنتين و ثمانين و ثمانمائة من تاريخ الإسكندر ذى القرنين، و وافق يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من شهر نيسان أحد شهور الروم. و كانت ولادته صلى الله عليه وسلم بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة و ثلاث و أربعين سنة في ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشرة منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة و ثمان و أربعين سنة. كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الأسيوطى الشافعى في وراقات له.

و كان له صلى الله عليه وسلم من الأولاد سبعة: ثلاثة ذكور و أربع إناث، فالذكور: القاسم و به كان يكنى صلى الله عليه وسلم، و عبد الله الطاهر و يقال الطيب أيضا، و إبراهيم، و الإناث: رقية و زينب و أم كلثوم و فاطمة، و كلهم من خديجة إلا إبراهيم فإن أمه مارية القبطية التي أهداها له المقوقس القبطى صاحب مصر.

و توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة و سنه ثلاث و ستون سنة، و دفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء صلى الله عليه وسلم و شرف و كرم.

(و أما نسب أبى بكر الصديق) رضى الله عنه فهو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة و اسمه عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. و من هنا يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم و ينسب إلى تيم فيقول التيمى، و هو فى العدد إلى مرة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن كل واحد بينه و بين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما فى النسب كما فى العمر على أصح الأقوال.

(أمه): أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه كذا ذكره جمهور أهل النسب أسلمت قديما في دار الأرقم بن أبي الأرقم و سيأتى تعريفها فيما بعد إن شاء الله تعالى، و بايعت النبي صلى الله عليه و سلم و ماتت مسلمة. و كان اسم أبي بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه و سلم عبد الله، و قيل كان اسمه عتيقا لعتاقة وجهه و جماله. و العتق- بالتحريك- الجمال، و قيل بل لقبته به أمه لأنها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى فعاش فلزمه ذلك، و قيل له أخوان عتق و عتيق فسمى باسم أحدهما. و قيل: لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به. و قيل: لأنه قديم فى الخير و العتيق القديم. و قيل: لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا فسمى عتيقا لذلك.

و اختلف فى تلقيبه بالصديق لأى معنى: قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه فى الجاهلية لأنه كان من رؤساء قريش، و كانت إليه الديات إذا تحمل دية قالت قريش صدقوه و امضوا حمالته و حمالة من قام معه، و إذا تحملها غيره لم يصدقوه. و قيل: لتصديقه النبي صلى الله عليه و سلم فى خبر الإسراء. و عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: إن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق.

(صفته) كان أبيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين و أحنى لا يستمسك إزاره معروق الوجه، نأتى الجبهة عارى الأشاجع، و قيل أسمر، و أحنى- بالحاء المهملة غير مهموز- يعنى منحنيا و أحنأ- بالجيم و الهمز- بمعناه أيضا. يقال فلان أحنأ الظهر. و معنى معروق الوجه أى قليل اللحم، و الأشاجع جمع أشجع: و هى أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف، و كان يخضب بالحناء و الكتم.

(خلافته) كانت خلافة الصديق رضى الله عنه سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام.

(سنه) كان عمره يوم مات ثلاثا و ستين سنة كسن النبي صلى الله عليه و سلم.

(أولاده) كان له من الأولاد عبد الله و عبد الرحمن و محمد و عائشة و أسماء.

(وفاته) قال أهل السير: توفى أبو بكر رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب و العشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، و قيل يوم الجمعة لتسع بقين من

الشهر المذكور. و الأول أصح لما ورت عائشة رضی اللہ عنہا أن الصديق لما ثقل قال: أى يوم هذا؟ قلنا له: يوم الاثنين، قال اليوم الذى قبض فيه رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم إنى أرجو فيما بينى و بين الليل، يعنى يرجو الموت، و كان كذلك.

(و أما نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ) فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد اللہ بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب يجتمع نسبه بالنبي صلى اللہ عليه و سلم فى كعب و ينسب إلى عدى فيقال له العدوى.

(أمه): حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد اللہ بن عمر بن مخزوم، و لم يزل اسمه فى الجاهلية و الإسلام عمر، و كناه النبي صلى اللہ عليه و سلم بأبى حفص، و كان ذلك يوم بدر، و سماه الفاروق و سببه أنه قال لرسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم بعد أن أسلم: ألسنا على الحق يا رسول اللہ إن متنا و إن حيينا؟ قال: بلى فقال عمر: فقيم الاختفاء؟ و الذى بعثك لنخرجن، فخرج رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم فى صفيين من المسلمين حمزة فى أحدهما و عمر فى الآخر، و له زفير حتى دخل المسجد فنظرت قريش إلى عمر و حمزة و قد أصابتهم كآبة، فسماه النبي صلى اللہ عليه و سلم يومئذ الفاروق. و قيل: إن رجلا من المنافقين و يهوديًا اختصما فقال اليهودى، نطلق إلى محمد ابن عبد اللہ، و قال المنافق بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودى و جاء النبي صلى اللہ عليه و سلم فقضى لليهودى فلما خرجا قال المنافق نطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج و السيف فى يده فضرب عنق المنافق و قال: هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء النبي صلى اللہ عليه و سلم فنزل جبريل فقال: إن عمر فرق بين الحق و الباطل، فسمى الفاروق و قيل بل سماه اللہ تعالى بذلك فى السماء.

(صفته): أبيض أمهق و هو الذى لا يكون له دم ظاهر كذا وصفه أهل الحجاز، و وصفه الكوفيون بأنه أسمر، و كان طوالا أصلح أجلى شديد حمرة العينين خفيف العارضين. و اختلف هل كان يصيغ أم لا؟ قولان. و كان رضی اللہ عنہ من رؤساء قريش و أشرفهم و إليه كانت السفارة فى الجاهلية و هى أن قريشا كانوا إذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا و إن نافرهم منافرا أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا و مفاخرا.

(خلافته): قال ابن إسحاق: كانت مدة ولاية عمر عشر سنين و ستة أشهر و خمسة أيام و كان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين.

(سنه): اختلف أهل السير فى سن عمر فقيل ثلاث و ستون سنة كسن النبى صلى الله عليه و سلم و أبى بكر روى ذلك عن معاوية و الشعبى و قيل خمس و خمسون سنة روى ذلك عن سالم ابن عبد الله بن عمر، و قال الزهرى أربع و خمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ أبو عمر و السلفى و غيرهما. و عن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بسنتين أو ثلاث: أنا ابن سبع أو ثمان و خمسين.

(عدة أولاده): قال أهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا تسعة بنين و أربع بنات بعضهم أشقاء و بعضهم من أمهات.

(وفاته): توفى عمر رضى الله عنه مقتولا شهيدا لأربع بقين من الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة، و قيل: بل طعن لأربع بقين. و مات فى آخر شهر ذى الحجة. و اتفقوا على أنه أقام بعد ما طعن ثلاثا. ثم مات و روى أن عثمان و عليا استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب: إلكما عنى فقد وليت من أمركما أكثر من الصلاة عليه و أنا أصلى بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب. و روى أن ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر و هو يقول لملك آخر معه: هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شىء كأنه القبر، فقال له عمر: يا ملك الموت من تكون أنت خلفه هكذا يكون بيته.

(و أما نسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه) فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى عبد مناف و ينسب إلى أمية فيقال الأموى.

(أمه) أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية أسلمت أمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه و سلم شقيقة أبى طالب.

(صفته): كان رجلا ربيع القد ليس بالقصير و لا بالطويل حسن الوجه بوجنتيه آثار جدري أقنى رقيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جمرة أسفل من أذنيه و لكثرة شعر رأسه و لحيته سماه أعداؤه نعتلا- بالنون ثم العين المهملة ثم تاء مشناة من فوق- ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين أصلع، و كان يصفر لحيته و يشد أسنانه بالذهب، و كان محببا فى قريش، و فيه يقول قائلهم: أحبك الرحمن حب قريش عثمان.

(خلافته) كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما قاله ابن إسحاق. وقيل كانت إحدى عشرة سنة و أحد عشر شهرا و أربعة عشر يوما.

(سنه) اختلف أهل السير في سن عثمان رضی اللہ عنہ فقيل ثمانون سنة وقيل وثمان وثمانون، وقيل اثنتان وثمانون، وقيل ست وثمانون، وقيل تسعون.

(عدة أولاده) كانت أولاده ستة عشر ولدا تسعة ذكور و سبع إناث.

(وفاته) قال ابن إسحاق: كان قتل عثمان يوم الأربعاء بعد العصر و دفن يوم السبت قبل الظهر، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذى الحجة، وقيل في وسط أيام التشريق، وقيل مصدر الحاج سنة خمس و ثلاثين، وروى أنه مكث مطروحا يومه إلى الليل، و قيل ثلاثة أيام ثم دفن و صلى عليه جبير بن مطعم، وقيل المسور بن مخزومة، وقيل حكيم بن حزام، وقيل الزبير، و كان عثمان رضی اللہ عنہ و عنه أوصى بالصلاة عليه، وقيل بل صلى عليه ابنه عمرو الذي كان يكنى به، و شاهد الناس الملائكة و هي تصلى عليه رضی اللہ عنہ و أرضاه، و من خصائصه أنه لا يحاسب. روى عن علي بن أبي طالب رضی اللہ عنہ أنه قال يا رسول اللہ: من أول من يحاسب يوم القيامة؟ قال: أبو بكر. فقال علي: ثم من يا رسول اللہ؟ قال: ثم عمر ثم أنت يا علي، قلت يا رسول اللہ: أين عثمان؟ قال: إنى سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت اللہ أن لا يحاسبه. كذا في «الرياض» للمحب الطبري.

(و أما نسب سيدنا أمير المؤمنين علي كرم اللہ وجهه): فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أقرب العشرة إلى رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم يجتمع نسبه مع رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم في عبد المطلب الجد الأول و بعده في القرب إلى رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم عثمان و ينسب إلى هاشم فيقال القرشي الهاشمي ابن عم رسول اللہ صلى اللہ عليه و سلم.

(أمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت و توفيت بالمدينة و صلى عليها النبي صلى اللہ عليه و سلم و تولى دفنها و كانت ربت النبي صلى اللہ عليه و سلم و كناه النبي صلى اللہ عليه و سلم بأبي تراب لأنه نام في المسجد فسقط رداؤه عن ظهره و مسه التراب فرآه النبي صلى اللہ عليه و سلم و هو بتلك الحال فمسح التراب عن ظهره و قال له: اجلس أبا تراب و يكنى بأبي الحسن و هو أشهر.

(صفته) ربع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس فى رأسه من الشعر إلا شىء يسير من خلفه كثير شعر اللحية. و من خصائصه كرم الله وجهه أنه أول من يقرع باب الجنة بعد النبى صلى الله عليه وسلم، وأول من يجثو بين يدى الله عز وجل يوم القيامة للخصومة.

(خلافته) كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، فمدة خلافة الأربعة على الصحيح تسعة وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، وقد قال صلى الله عليه وسلم: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا فإما أن يكون أطلاق على ذلك ثلاثين لقربه منها أو تكون مدة ولاية الحسن محسوبة منها وهى تكملتها.

أقول: يشكل ذلك بما رواه سهل بن أبى حثمة أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد كلام: ألا وإن الخلفاء بعدى أربعة والخلافة بعدى ثلاثون سنة نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك، ثم جبرية وطواغيت، ثم عدل وقسط ألا وإن خير هذه الأمة أولها وآخرها أخرجه أبو الخير القزوينى الحاكمى. ووجه الإشكال: التصريح بأن الخلفاء أربعة بعده صلى الله عليه وسلم فكيف تحسب مدة الحسن؟ ويمكن أن يجاب عنه بأن مدة الحسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا، وإنما عد الأربعة لطول مدتهم ومعظم خلافتهم هذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها وإلا فلا يرد الإشكال من أصله.

(عدة أولاده): ثلاثة و ثلاثون ولدا: خمسة عشر ذكرا، وثمانى عشرة أنثى وقيل: إن الذكور أربعة عشر.

(وفاته): كان قتله فى صبيحة يوم سبعة عشر فى رمضان وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة منه، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت منه أو بقيت، وقيل: لثمان عشرة ليلة منه سنة أربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا. واختلف هل قتل وهو فى الصلاة أو قبل الدخول فيها أقوال. وهل استخلف من أتم الصلاة على القول بأنه قتل وهو فيها أو أتمها هو، فالأكثر أنه استخلف جعدة بن هبيرة و جهل موضع قبره، و كان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن. وروى أنه كان عنده مسك فاضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يحنط به ذكره البغوى. ولما بلغ عائشة موته قالت: لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها. وعن أنس رضى الله عنه قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلق آدم فعصرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الأولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا. فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال الله تبارك وتعالى: هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندي من جميع خلقى. فلما عصى آدم ربه قال يا رب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم إلا- تبت على فتاب الله عليه أخرجه الطبرى في «الرياض» وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج» أخرجه الملا فى «سيرته».

(و أما نسب طلحة رضى الله عنه): فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة و يكنى بأبى محمد يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب و مع أبى بكر فى عمرو بن كعب بن سعد بن تيم و ينسب إليه كأبى بكر فيقال القرشى التيمى. أمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن ملك بن ربيعة الحضرمى أخت العلاء بن الحضرمى أسلمت.

(صفته): أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه و كان لا يصبغ شعره مربوعا إلى القصر أقرب. و من خصائصه بروكه للنبي صلى الله عليه و سلم حتى صعده على ظهره إلى الصخرة فبشره صلى الله عليه وسلم أن جبريل لا يراه فى القيامة فى مهم إلا أنقذه منه.

(سنه): ستون سنة و قيل اثنتان و ستون و قيل أربع و ستون، و قيل غير ذلك.

(عدة أولاده): كان له من الأولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور و أربع إناث.

(وفاته): كان مقتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل و كان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست و ثلاثين من الهجرة.

(نسب الزبير رضى الله عنه): هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب و ينسب إلى أسد بن عبد العزى فيقال القرشى الأسدى.

(أمه): صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت و هاجرت. روى عنه

أنه قال لابنه عبد الله: يا بني كانت عندي أمك أسماء بنت أبي بكر وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها عائشة خالتك وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدته صلى الله عليه وسلم، وأمي صفية عمته وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وأختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتي وخديجة بنت خويلد زوجته عمتي.

(صفته): ليس بالطويل ولا بالقصير، وقيل كان طويلا يخط رجلاه في الأرض إذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر، وكان لا يغير شيبه، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالخير ودعا لسيفه.

(سنه): سبع وستون سنة، وقيل ست وستون، وقيل أربع وستون، وقيل ستون، وقيل واحد وستون، وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون.

(أولاده): كان أولاده عشرين ولداً أحد عشر ذكراً وتسع بنات.

(وفاته) قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(نسب سعد رضي الله عنه) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص بن وهب وقيل وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة.

ويجتمع هو وعبد الرحمن بن عوف في زهرة كما سيأتي، وينسب إلى زهرة بن كلاب فيقال القرشي الزهري. ومن فضائله رضي الله عنه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بنسبه. روى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: من أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة، من قال غير ذلك، فعليه لعنة الله.

(أمه) حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام سعداً، وكنيته أبو إسحاق.

(صفته) كان رجلاً قصيراً غليظاً ذا هامة، أسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد. وقيل: إنه كان طويلاً، وهو أول من رمى سهماً في سبيل الله، وكان مجاب الدعوة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك حيث قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك. وقوله

صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم بين أبويه ولم يجمع لأحد غيره، وذلك أنه جعل يقول له يوم أحد ارم يا سعد فذاك أبى وأمى.

(سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنة، وقيل بضع وسبعون، وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون.

(أولاده) كان له من الأولاد أربعة و ثلاثون ولدا، سبعة عشر ذكرا، وسبع عشرة أنثى.

(وفاته) توفي رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة، وقيل أربع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين وكف بصره فى آخر عمره، وكان آخر العشرة موتا.

(نسب سيدنا سعيد) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عد العزى بن رباح(1) بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى ء ومع سيدنا عمر فى نفيل بن عبد العزى المتصل بكعب. وينسب إلى عدى فيقال القرشى العدوى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن عم أبيه، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام سعيدا ويكنى بأبى الأعور.

(أمه) فاطمة بنت بعجة بن ملح الخزاعية.

(صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر.

(سنه) كان سنه بضعاً وسبعين سنة بتقديم السين. قال أهل السير: كان له من الأولاد واحداً و ثلاثون ولداً، ثلاثة عشر ذكراً و ثمان عشرة أنثى.

(وفاته) توفي رحمه الله بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو إحدى وخمسين فى أيام معاوية.

(نسب سيدنا عبد الرحمن) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة و يجتمع هو وسعد فى زهرة و ينسب إليه فيقال القرشى الزهرى.

(أمه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه، أسلمت وهاجرت كان

ص: 216

1-378. (1) تحرف فى د و المطبوع إلى: «رباح».

اسمه فى الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الحرب وقيل عبد الكعبة، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن و كان يصفه بالصادق البار.

(كنيته): أبو محمد.

(صفته): كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة أبيض اللون مشربا بحمرة و كان لا يصبغ لحيته صنخم الكفين غليظ الأصابع أقنى جعد الشعر له جمرة من أسفل أذنيه ساقط الثنيتين و به عرج من جراحة أصيب بها يوم أحد، و من خصائصه صلاة النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فى بعض الأحوال.

(سنه): كان عمره خمسا و سبعين سنة وقيل ثلاثا و سبعين وقيل اثنتين و سبعين. و دفن بالبقيع وقبره معروف. و صلى عليه عثمان بن عفان و كان أوصاه بذلك.

(أولاده): كان له من الأولاد ثمانية و عشرون ولدا عشرون ذكورا و ثمان إناث.

(وفاته): قال أهل السير: توفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنتين و ثلاثين منها، و كان ذا مال عظيم و دنيا طائلة حتى روى أن إحدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين ألف دينار.

(نسب سيدنا عامر): هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن منبه بن الحارث بن فهر، و هو قرشى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فهر بن مالك الذى هو جماع قريش و ينسب إلى فهر فيقال القرشى الفهرى و هو أبعد العشرة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(أمه) من بنى الحارث بن فهر أسلمت و لم يزل اسمه فى الجاهلية و الإسلام عامرا.

(و كنيته) أبو عبيدة.

(صفته) كان رجلا طويلا نحيفا أرم الثنيتين خفيف اللحية يخضب بالحناء و الكتم و سبب خروج ثنيتيه أنه انتزع سهمين من جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد و قيل إن المنتزع حلقتا الدرع. قال الطبرى: و يجوز أن يكون السهمان أثبتا حلقتى الدرع فانتزع الجميع.

و نقل أنه مارئى أهتم كان أحسن منه رضى الله عنه و الأهتم و الأثرم بمعنى واحد. و من خصائصه شهادة النبى صلى الله عليه و سلم بأنه أمين هذه الأمة.

فائدة: قال العلماء: إذا شهد الرسول صلى الله عليه و سلم لبعض أصحابه بفضيلة عليهم و جب القطع بأنه أفضل منهم فى تلك الفضيلة، فيجب أن يقطع بأن أبا عبيدة أفضل من أبى بكر و عمر و غيرهما فى فضيلة الأمانة. و أن أبا ذر أفضل منهم جميعاً فى تحرى الصدق حيث قال فيه صلى الله عليه و سلم: أصدقكم لهجة أبو ذر، و أن علياً كرم الله وجهه أقضاهم حيث قال:

أقضاكم على، و أن معاذاً أعلمهم بالحلال و الحرام حيث وصفه بذلك و الفضل المطلق لأبى بكر الصديق بلا خلاف. انتهى.

(سنه): كان له من العمر يوم مات [ثمان و خمسين سنة(1)].

هذا تمام نسب العشرة الكرام رضى الله عنهم فما خرج أحد منهم عن قريش و كلهم نسبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة أبيه و من جهة أمه ما عدا طلحة و سعيد بن زيد فإن أميهما غير قرشيتين لأن أم طلحة بنت الحضرمى و أم سعيد خزاعية كما تقدم.

ذكر وصف كل واحد من العشرة رضى الله عنهم بصفة حميدة

إشارة

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أرحم أمتى أبو بكر، و أقواهم فى دين الله عمر، و أشدهم حياء عثمان، و أقضاهم على بن أبى طالب، و لكل نبى حوارى، و حوارى طلحة و الزبير و حيث ما كان سعد بن أبى وقاص كان الحق معه، و سعيد بن زيد من أحبباء الرحمن، و عبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، و أبو عبيدة بن الجراح أمين الله و أمين رسوله، و لكل نبى صاحب سر، و صاحب سرى معاوية بن أبى سفيان، فمن أحبهم فقد نجا، و من أبغضهم فقد هلك.

(وعنه) صلى الله عليه و سلم أنه قال: أبو بكر فى الجنة و عمر فى الجنة إلى تمام العشرة. و عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أحسن القول فى أصحابى فقد برئ من النفاق و من

ص: 218

أساء القول فى أصحابى كان مخالفاً لسننى و مأواه النار و بئس المصير: و هذا عام فى جميع الصحابة فحصل الفضل للعشرة خصوصاً و
عموماً.

و روى أن الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم و خلق من أنوار تلك الأرواح طائراً واحداً و هو فى الجنة. أخرج الملائكة فى
«سيرته» و غيره فانظر كيف جمع الله بينهم أرواحاً قبل خلقهم أشباحاً ثم جمع بينهم أشباحاً و أرواحاً فى النسب و الصحبة و الإخاء و
التوادد و التراحم فى محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم فى الجنة، فالسعيد من تولى جملتهم و جملة جميع الصحابة و لم يفرق بين
أحد منهم و اهتدى بهديهم و تمسك بحبلهم. و الشقى من تعرض للخوض فيما شجر بينهم و أتبع نفسه هواها فى سب أحد منهم فله
الحمد و المنة و الفضل أن أعادنا من ذلك و نسأله تمام هذه المنة و دوامها إلى الممات مع حسن الخاتمة آمين. عدنا لما نحن بصدده.

(اعلم): أنه قد اختلف فى قريش لم سميت قريشا، فليل: سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القرش تشبيهاً لهم بها لشدتهم و
منعتهم(1)، لأن هذه الدابة تأكل و لا تؤكل و تعلقو و لا تعلق. قال فى «المدارك» و هى دابة عظيمة تعبت بالسفن فلا تطاق إلا بالنار و
التصغير للتعظيم انتهى، و فى شعر الهبى:

و قريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث و السمين و لا تترك فيه لذى الجناحين ريشا

هكذا فى البلاد حى قريش يأكلون البلاد أكلا قشيشا

و لهم آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم و الخموشا(2)

و القشيش مصدر قشت الحية، و هو صوتها من جلدها، و قيل سميت بقريش بن يخلد ابن غالب بن فهر، و كان صاحب غيرهم فكانوا
يقولون قدمت غير قريش و خرجت غير

ص: 219

1-380. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 105.

2-381. (2) الشعر لى الأزرقى فى أخبار مكة ج 1 ص 109.

قريش. وقيل: إن قصيا قريشها أى جمعها من الأقطار وردّها إلى مكة و لذلك سمي مجعما كما تقدم فى شعر الفضل بن عباس بن عتبة، و من شعره أيضا:

نحن كنا سكانها من قريش و بنا سميت قريش قريشا

وقيل: بل كان اسم قصى قريش فسميت به و الأشهر أن اسمه زيد كما تقدم، وقيل:

لأنهم كانوا يتقرشون فى البياعات أى يتكسبون، و التقرش التكسب، وقيل: إن النضر كان يقال له القرشى فسموا باسمه، وقيل: لأنهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها، و التقريش: التفتيش و يدل لذلك قول الحارث بن حلزة(1) البشكرى:

أيها الناطق المقرش عنا عند عمر و فهل لنا إيفاء

أى المفتش. و اعلم أن قريشا ثلاثة أصناف: صنف منهم قريش الأباطح و يسمون أيضا قريش البطاح، و صنف منهم قريش الظواهر، و الصنف الثالث ليسوا من الأباطح و لا من الظواهر. أما قريش الأباطح: فبنو عبد مناف و أسد بن عبد العزى بن قصى، و زهرة و تيم، و بنو مخزوم و بنو سهم و جمح و عدى و بنو حسل(2) بن عامر بن لوى، و بطنان من بنى الحارث بن فهر. و أما قريش الظواهر: فبنو الأدرم بن غالب، و بنو محارب، و بنو فهر الأبطنين، و بنو معيص(3) بن عامر بن لوى. و أما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الأباطح و لا من الظواهر و ذلك لأنهم خرجوا عن مكة ففتحوا عن البلاد. منهم سامة بن لوى و وقع بعمان، و جثم بن لوى، و هو خزيمة وقع باليمامة فهم فى بنى هزّان من عنزة(4) و بنانة فى شيبان و هم بنو سعد بن لوى، و هو فى شيبان، و بنو الحارث بن لوى و هم أيضا فى بنى أبى ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان، و إنما سمو الأباطح لأن قصيا أدخلهم معه إلى بطن مكة و أقام الآخرون بالظواهر كذا فى «الغاية» للإتقانى، و عزاه إلى «شرح ديوان كثير» لمحمد بن حبيب.

ص: 220

1-382. (1) تحرف فى الأصل و المطبوع إلى: «خلدة» و صوابه فى المفضليات 132، الشعر و الشعراء ج 1 ص 197.

2-383. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «حنيل».

3-384. (3) تحرف فى الأصلين؟؟؟ إلى «بنو معيص» و صوابه لدى ابن هشام ج 2 ص 592.

4-385. (4) تحرف فى المطبوع إلى: «عترة» و صوابه من: د و جمهرة ابن حزم ص 13.

ثم اعلم أن طبقات العرب: ست شعب وقبائل وعماراة و بطون و أفخاذ و فصائل فخزيمة شعب و كنانة قبيلة و قريش عماراة و قصى بطن و هاشم فخذ و العباس فصيلة، و سميت شعوبا لأن القبائل تتشعب منها، و الشعب- بفتح الشين- و العماراة- بفتح العين المهملة- و فى «معالم التنزيل» قيل: إن الشعوب من العجم و القبائل من العرب، و الأسباط من بنى إسرائيل انتهى. قال القرطبي فى «تفسيره» و قد نظمها بعضهم فقال:

قبيلة قبلها شعب و بعدهما عماراة ثم بطن بعده فخذ

و ليس يؤوى الفتى إلا فصيلته و لا سداد لسهم ما له قذذ

انتهى. و القذذ بالذال المعجمة. قال فى «القاموس»: و الفصائل هى العشائر واحدها عشيرة، و منه قوله تعالى: وَفَصَّيِلَتْهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ أَى عشيرته التى تضمه.

فرعان:

الأول: يعتبر التفاضل عندنا بين قريش فى حق الكفاءة لقوله صلى الله عليه و سلم: قريش بعضهم أكفاء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قرشيا غير هاشمى صح عقدها، و إن تزوجت عربيا غير قرشى فلأولياء حق الرد إلا أن يكون الولى هو الأب أو الجد فإن لهما تزويج الصغيرة بغير كفء و بغبن فاحش فى المهر عند أبى حنيفة رضى الله عنه خلافا لصاحبيه، و التعليل من الطرفين مقرر فى محله. ألا ترى رسول الله صلى الله عليه و سلم زوج بنته رقية و أم كلثوم من عثمان و لهذا لقب بذى النورين، و كان أمويا لا هاشميا، و زوج على ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب و كان عدويا لا هاشميا فثبت أن قريشا كلهم سواء فى حق الكفاءة.

الثانى: مذهب الإمام محمد بن الحسن من أصحابنا أن التفاضل إنما يعتبر فيما بين قريش إذا كان النسب مشهورا فى الحرمة كأهل بيت الخلافة، حتى لو تزوجت قرشية من بنات الخلفاء قرشيا ليس من أولاد الخلفاء يكون للأولياء حق الرد، و كأنه قال هذا لتسكين الفتنة و تعظيم أمر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الإيتانى فى «الغاية» و الله تعالى أعلم.

الباب التاسع فى ذكر مبدأ بئر زمزم و سبب حفر عبد المطلب لها و فضل مائها و أفضليته و بركته و خواصه و ما ورد فى ذلك

إشارة

الباب التاسع فى ذكر مبدأ بئر زمزم(1) و سبب حفر عبد المطلب لها و فضل مائها و أفضليته و بركته و خواصه و ما ورد فى ذلك

اعلم أن بئر زمزم تنسب إلى سيدنا إسماعيل صلوات الله عليه و سببه أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر بإسماعيل و أمه من الشام إلى مكة شرفها الله تعالى و كانت إذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة، و هى شجرة كبيرة و ليس معهما إلا شنة فيها قليل ماء و لم يكن بمكة يومئذ أحد و لا بها ماء، و وضع عندهما جرابا فيه تمر ثم ذهب راجعا إلى الشام فتبعته أم إسماعيل فقالت له: يا إبراهيم، إلى أين تذهب و تتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس؟ و جعلت تردد ذلك مرارا و إبراهيم لا يلتفت إليها. فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت عنه.

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا غاب عن البصر وقف و استقبل البيت و رفع يديه و دعا بالآيات رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ثم مضى سائرا و جعلت أم إسماعيل ترضعه و تشرب من ذلك الماء و لبنها يدر على صبيها إلى أن نفذ فعطشت و عطش ابنها و صار يتلوى، و فى رواية يتلبط فانطلقت كراهة أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى و رفعت طرف درعها ثم سعت أى جرت- سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها و نظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها ذلك سبب السعى بين الصفا و المروة.

فلما أشرفت على المروة آخرا و لم يكن فى الوادى غيرها سمعت صوتا فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت، فإذا الصوت فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى

ص: 223

1-386. (1) انظر فى بئر زمزم: أخبار مكة للأزرقي ج 2 ص 39 و ما بعدها، شفاء الغرام ج 1 ص 397 و ما بعدها.

بالمملك يعنى جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فصارت تحوطه بيدها و تغرف من الماء فى سقائها و هو يفور بعد أن تغرف.

قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه و سلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم و لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا. فشربت و أرضعت ولدها، فقال لها جبريل: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام و أبوه، و إن الله لا يضيع أهله كذا فى «صحيح البخارى».

فاستمرت زمزم كذلك إلى أن مرت رفقة من جرهم يريدون الشام فأرأوا طائرا يحوم على جبل أبى قبيس عائفا فقالوا، إن هذا الطير ليدور على ماء و عهدنا بهذا الوادى و ما فيه ماء، فأرسلوا رسولا فرأى الماء فأخبرهم فأقبلوا و أم إسماعيل عند الماء فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، و لكن لا حق لكم فى الماء، قالوا: نعم. فنزلوا و أرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل أبيات و أول سكان مكة، و شب إسماعيل عليه بالسلام و تعلم العربية منهم و زوجته امرأة من نسائهم، ثم لم تلبث أم إسماعيل أن ماتت و لها من العمر تسعون سنة و لإسماعيل عشرون سنة، فدفنها فى الحجر.

و اسمها هاجر، و قيل: أجر بالهمزة و المد القبطية و قيل الجرهمية، و كانت للجبار الذى يسكن عين البحر التى بقرب بعلبك، فوهبها لسارة امرأة إبراهيم فوهبتها لإبراهيم صلوات الله عليه.

فائدة استطردية

قال فى «منهاج التائبين»: اختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ فقال قوم: هو إسحاق عليه السلام و إليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضى الله عنه و على بن أبى طالب و عبد الله بن مسعود و العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم و من التابعين و أتباعهم كعب الأخبار و سعيد بن جبير و قتادة و مسروق و عكرمة و القاسم بن أبى بزة و عطاء و مقاتل و عبد الرحمن بن سابط و الزهرى و السدى و رواه عكرمة و ابن جبير عن ابن عباس.

و قال آخرون: هو إسماعيل و إلى هذا ذهب عبد الله بن عمر، و أبو الطفيل عامر بن وائلة و سعيد بن المسيب و الشعبى و يوسف بن مهرة و مجاهد و الربيع بن أنس و محمد بن

كعب القرظى و الكلبى و رواه عطاء بن أبى رباح و أبو الجوزاء و يوسف بن ماهك عن ابن عباس، و زعمت اليهود أنه إسحاق و كذبت.

و احتج القائلون بأنه إسحاق من القرآن بأن الله تعالى أخبر عن خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا إلى الشام بامرأته سارة و ابن أخيه لوط عليه السلام: وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ (سورة الصافات: 99) أنه دعا إذ ذاك فقال رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (سورة الصافات: 100) و كان ذلك قبل أن يعرف هاجر و قبل أن تصير له، ثم اتبع ذلك الخبر عن إجابته و دعوته و تبشيره إياه بسلام حليم، ثم عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى، و ليس فى القرآن أنه بشر بولد إلا بإسحاق.

و أما حجة القائلين بأنه إسماعيل من القرآن فهو ما رواه محمد بن إسحاق عن محمد ابن كعب القرظى أنه كان يقول إن الذى أمر الخليل عليه السلام بذبحه هو إسماعيل لأن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (سورة الصافات: 112) و قال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (سورة هود: 71) ابن و ابن ابن، و لم يكن يأمره بذبح إسحاق و له فيه من الله الموعود، فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحاق علم أن الذبيح إسماعيل.

أقول: فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز و هو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لى عمر و إنى لأراه كما قلت، ثم أرسل عمر إلى رجل كان يهوديا بالشام و قد أسلم و حسن إسلامه فسأله عن ذلك و أنا عنده فقال: الذبيح إسماعيل و إن اليهود لتعلم ذلك، و لكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون إسماعيل أباهم و يقولون: إنه إسحاق لأنه أبوهم انتهى قول صاحب «المنهاج».

(أقول): احتجاج القرظى رحمه الله بهذه الآيات المذكورة فى كون الذبيح إسماعيل عليه السلام لا يتم إلا بأن تكون آية الذبح متقدمة تلاوة و نزولا، أما لو تقدمت تلاوة و تأخرت عن آية البشرى فى النزول احتملت أن يكون إسحاق هو الذبيح أيضا و سقط الاستدلال بها. و أما قول القرظى: و لم يكن يأمره إلى آخره الذى فسر به الآية الأخرى من سورة هود لا ينافى كون الذبيح إسحاق، لأنه لما سبق فى علم الله سبحانه أنه لا يذبح،

ثم أمر خليله بذلك علم أن الأمر للامتحان كما هو شأن الله تعالى في أنبيائه وأحبابه. فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما أمر به منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك و سلم ابنه له من الذبح ببركة التسليم و فدى بالذبح العظيم. وصحت البشرية و تم الموعد في هذه الآية التي لم يتقدم قبلها قصة ذبح. انتهى.

عدنا إلى المقصود: و لم تزل زمزم كذلك إلى أن دفنتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش إساف- بكسر الهمزة- و نائلة، و قيل بل دفنتها السيول، فاستمرت مدفونة إلى أن نبه عبد المطلب و أمر بحفرها(1). و له منقبتان عظيمتان: إهلاك أصحاب الفيل كما تقدم، و حفر بئر زمزم.

ذكر ابن إسحاق و غيره أن عبد المطلب بينما هو نائم إذ أتاه آت فقال له: احفر طيبة، فقال له: و ما طيبة؟ فذهب عنه ثم جاء مرة أخرى فقال له احفر المذنونة فقال له و ما المذنونة؟ فذهب عنه ثم جاء مرة ثالثة فقال له: احفر زمزم، فقال له عبد المطلب و ما زمزم؟ قال لا تنزف أبدا و لا تدم(2) تسقى الحجيج الأعظم و هى بين الفرت و الدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل(3).

و فى رواية احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تدم، و هى تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدا و لا تدم إلى آخر ما تقدم.

فلما بين له شأنها غدا بمعوله و معه ابنه الحارث و ليس معه يومئذ غيره فحفرها، فلما بدا له أعلى البئر كبر فحسدته بطون قريش و هموا أن يمنعوه و قالوا له: أشركنا معك، فقال لهم: ما أنا بفاعل شىء خصصت به دونكم، فاجعلوا بينى و بينكم من شئتم أحاكمكم إليه فقالوا: كاهنة بنى سعد(4).

فخرجوا إليها فعطشوا فى الطريق حتى أيقنوا بالهلاك، فقال عبد المطلب: و الله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا بنا(5).

ص: 226

1- 387. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 398.

2- 388. (2) تحرف فى الأصلين إلى: «و لا ترم» و صوابه لدى ابن هشام، و لا تدم: أى لا توجد قليلة الماء.

3- 389. (3) ابن هشام ج 1 ص 143.

4- 390. (4) منائح الكرم ج 1 ص 404.

5- 391. (5) منائح الكرم ج 1 ص 404.

وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه وشربوا جميعا، وقالوا: قد قضى لك علينا الذى سقاك، فوالله لا نخاصمك فيها أبدا(1).

فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم، وكفاه الله شرهم، فنذر عند ذلك لثن رزق عشرة من الذكور يمنعونهم ليتقرب إلى الله بذبح أحدهم. فلما تم له عشرة من الذكور أعلمهم بنذره، فقالوا له: أوف بنذرك واقض فينا أمرك، فأسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله أبى النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بنى مخزوم لئلا يكون ذلك فيهم سنة، فتحاكموا إلى كاهن كان بالمدينة، وقيل كاهنة، فأفتاهم بأن يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الإبل، وكانت عندهم إذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك، فخرج السهم على عبد الله أيضا، فقال له الكاهن: زد عشرا أخرى فإن ربك لم يرض، فزاد فخرج السهم على عبد الله فأمره الكاهن بزيادة عشرة أخرى فزاد، وفي كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الإبل فخرج السهم حينئذ على الإبل، فقال له الكاهن: أعد القرعة، فأعادها فخرج على الإبل، ثم أعادها ثلثا، فخرج على الإبل، فقال له الكاهن:

قد رضى ربك فانحرها فداء عن ابنك، ففعل فاستمرت الدية فى قريش مائة من الإبل من يومئذ(2).

ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين، واستمرت زمزم لا يصد عنها أحد ولا يمنع إلى يومنا هذا كما ترى.

ويروى أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال: إن جرهما دفنتهما حين خرجوا من مكة، ووجد أسيافا وسلاحا، فأرادت قريش أن يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح، فخرج الغزالان للكعبة والسلاح لعبد المطلب، ولم يخرج لقريش شىء بل تخلف قدحاها فضرب الأسياف التى خرجت له مع أحد الغزالين على باب الكعبة، وجعل الغزال الآخر فى الجب الذى فى بطن الكعبة، فكان ذلك أول حلية للكعبة. أخرجه الأزرقى(3).

ص: 227

1-392. (1) منائح الكرم ج 1 ص 405.

2-393. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 47 وما بعدها.

3-394. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 46.

و أما فضل ماء زمزم و بركته، فرورى عن جابر رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من طاف بالبيت سبعا و صلى خلف المقام ركعتين و شرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت. أخرجه الواحدى فى «تفسيره» و غيره.

و روى الطبرانى و غيره أنه صلى الله عليه و سلم جاء إلى زمزم فنزعوا له دلوا فشرب ثم مج فى الدلو ثم صبه فى زمزم ثم قال: لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

و فى رواية أنه غسل وجهه و تمضمض منه ثم أعاده فيها. و روى أن الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب. و روى الواقدى أنه نزعه لنفسه، و هو ضعيف جدا. و روى جابر عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، و قال العلامة بركة المتأخرين شيخ الإسلام السيوطى: هذا الحديث أخرجه ابن ماجه بسند جيد. و أخرجه الخطيب فى «التاريخ» بسند صححه الدمياطى و المنذرى. و ضعفه النووى و حسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر. و ورد من حديث ابن عباس و ابن عمر مرفوعا.

و أخرج الديلمى: ماء زمزم شفاء من كل داء، و سنده ضعيف جدا. انتهى.

و عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم أخرجه الطبرانى فى «معجمه» بسند رجاله ثقات و صححه ابن حبان. و عنه أيضا أنه صلى الله عليه و سلم قال: إن التصلع من ماء زمزم علامة ما بيننا و بين المنافقين. و عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفه سقاه من ماء زمزم. و عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى به شفاك الله، و إن شربته لقطع ظمئك قطعه هى هزيمة جبريل و سقيا الله إسماعيل (1). و يروى أن فى بعض كتب الله المنزلة: زمزم لا تنزف و لا تدم لا يعمد إليها امرؤ فيتصلع منها ريتا ابتغاء بركتها إلا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء، و أحدثت له شفاء، و ما امتلأ جوف عبد من زمزم إلا ملأه الله علما و برًا (2).

و عن وهب بن منبه أنه قال: و الذى نفسى يده إن زمزم لفى كتاب الله عز و جل مضمونة، و إنها لفى كتاب الله برة، و إنها لفى كتاب الله شراب الأبرار، و إنها لفى كتاب الله طعام طعم، و شفاء سقم (3).

ص: 228

1- 395. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 2 ص 50.

2- 396. (2) أخبار مكة للأزرقي ج 2 ص 50.

3- 397. (3) أخبار مكة للأزرقي ج 2 ص 49.

وعن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: خير واديين في الناس: وادي مكة و واد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام، ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس.

وشر واديين في الناس: واد بالأحقاف، و واد بحضرموت يقال له برهوت. و خير بئر في الناس زمزم، و شر بئر في الناس برهوت، وإليها تجتمع أرواح الكفار(1). كما سيأتي.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم رواه أحمد و ابن أبي شيبة و ابن حبان، و رواه البخارى فى صحيحه على الشك فقال:

فأبردوها بالماء أو بماء زمزم(2).

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، و النظر إلى الكعبة، و النظر إلى الوالدين، و النظر فى زمزم و هى تحط الخطايا، و النظر فى وجه العالم رواه الدارقطنى.

فصل فى فضائل ماء زمزم

اعلم أن لماء زمزم فضائل كثيرة و عجائب شهيرة، فمن ذلك ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلا سبقوه و لا يصارعهم أحد إلا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم أخرجه أبو ذر.

و منها ما أخرجه الأزرقى عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة فى جوف الليل عند زمزم جالس إذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها لشيء قط، فلما فرغوا صلوا قريبا منى فالتفت بعضهم لأصحابه فقال: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، فقاموا و دخلوا زمزم، فقلت: لو دخلت على القوم فسألتهم، فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر(3).

و منها ما أخرجه أيضا أن أبا ذر الصحابى رضى الله عنه قال: لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوما بلياليها و ما لى طعام و لا شراب إلا زمزم حتى تكسرت عكن بطنى، و ما أجد على كبدى سخفة الجوع(4)، يعنى رفته و هزاله. و قيل: هى الخفة التى تعترى الإنسان إذا جاع.

و منها ما أخرجه أيضا عن بعض الموالى أنه قال: كنت مع أهلى بالبادية فابتعت بمكة،

ص: 229

1- 398. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 50.

2- 399. (2) القرى ص 487.

3- 400. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 51.

4- 401. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 53.

ثم أعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً آكله، فانطلقت إلى زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقى وأنا قائم فيرفعى الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو، فشربت فإذا أنا بصريف اللبن فقلت: لعلنى ناعس، فضربت بالماء على وجهى وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه(1). و معنى صريف اللبن: ساعة يصرف عن الصرع.

و منها ما أخرجه أيضاً عن بعض الرعاة من العباد أنه كان إذا حصل له ظمأ و شرب من زمزم وجد الماء لبناً، وإذا أراد أن يتوضأ وجد ماء(2).

و منها ما ذكره الفاسى عن الفاكهى أن رجلاً شرب سويقاً و كان فى السويق إبرة، فنزلت فى حلق الرجل و اعترضت، و صار لا يقدر يطبق فمه، فأتاه آت فقال له: اذهب إلى ماء زمزم، فاشرب منه و اسأل الله الشفاء. فدخل إلى زمزم فشرب منه شيئاً و ما أساغه إلا بعد جهد و مشقة من ألم تلك الإبرة ثم خرج و هو على تلك الحال، فانتهى إلى أسطوانة من أساطين المسجد و استند إليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه و لم يجد من ذلك الألم شيئاً(3).

و منها أن الشيخ العلامة المفتى أبا بكر عمر الشهير بالشينى - بشين معجمة و نون ثم مثناة من تحت و نون و ياء النسبة - أحد بنى العلماء المعترين ببلاد اليمن، حصل له استسقاء عظيم و اشتد به فذهب إلى طبيب فلما رآه أعرض عنه، و قال لبعض أصحابه: هذا ما يمكث ثلاثة أيام فانكسر خاطره لذلك، و ألقى الله بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملاً بالحديث، فقصد زمزم و شرب منه حتى تصلح فأحس بانقطاع شىء فى جوفه، فبادر حتى وصل إلى رباط السدرة الذى هو الآن مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله فأسهل إسهالاً كثيراً ثم عاد إلى زمزم و شرب منها ثانياً حتى امتلأ رياً، ثم أسهل إسهالاً بليغاً فشفاه الله من ذلك الاستسقاء. فبينما هو فى بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه و إذا بالطبيب الذى أعرض عن ملاحظته قد رآه، فقال له: أنت صاحب تلك العلة؟ قال: نعم فقال له:

بم تداويت؟ فقال: بماء زمزم، فقال الطبيب: لطف بك(4).

ص: 230

1- 402. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 53.

2- 403. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 54.

3- 404. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 409.

4- 405. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 410.

و منها أن أحمد بن عبد الله المعروف بالشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي حصل له عمى، فشرّب من ماء زمزم بنية التداوى فشفي من ذلك العمى (1).

و منها أن رجلاً آخر عمى فشرب من ماء زمزم و صب في عينيه منه بنية الشفاء فشفي في أسرع وقت. و هذا من العجب فإن الأطباء ينهون عن إدخال الماء في العين و يجعلونه من أسباب العمى.

و منها ما ذكر الحافظ الذهبي في «طبقات الحفاظ» أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات و سأل الله ثلاث حاجات: الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها، الثانية أن يملى الحديث بجامع المنصور، الثالثة أن يدفن عند بشر الحافي، فقضى الله له ذلك (2).

و منها أن الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف و غيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً.

و منها ما ذكره العلامة التاج السبكي في «طبقاته» في ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه قيل له: من أين أوتيت هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ماء زمزم لما شرب له، و إنى لما شربته سألت الله علماً نافعاً (3).

و منها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عن نفسه فقال: و أنا شربته مرة و سألت الله و أنا في بداية طلب الحديث أن يرزقني الله حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، و أنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة، فسألت رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك (4).

و منها ما نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه، أنه قال: شربت من ماء زمزم لثلاث: شربته للعلم، و شربته للرمى فكانت أصيب عشرة عشرة و من عشرة تسعة، و شربته للجنة و أرجوها.

و منها ما أخرجه أبو الفرج في «مثير الغرام» عن الشيخ أبي عبد الله الهروي أنه قال

ص: 231

1-406. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 410.

2-407. (2) تذكرة الحفاظ ج 3 ص 1139.

3-408. (3) طبقات الشافعية الكبرى ج 3 ص 110.

4-409. (4) طبقات الحفاظ للسيوطي ص 579.

لبعض أصحابه: دخلت المسجد فى السحر فجلست إلى زمزم وإذا بشيخ قد دخل إلى زمزم و ثوبه مسدول على وجهه، فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت فى الليلة الثانية عند السحر فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل إلى زمزم فنزع الدلو فشرب فشربت فضلته، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه، ثم ذهب الشيخ فعدت فى الليلة الثالثة عند السحر فجلست عند زمزم، فإذا الشيخ قد أتى زمزم فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه، فأخذت ملحفته فلففتها على يدى، و قلت: يا شيخ، بحق هذه البنية عليك، من أنت؟ قال: تكتم على حتى أموت؟

قلت: نعم، قال أنا سفيان بن سعيد الثورى (1).

ومنها ما أخرجه أبو الفرج أيضا عن الحميدى أنه قال: كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث: ماء زمزم لما شرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال: يا أبا محمد، أليس الحديث الذى حدثنا به عن زمزم صحيحا؟ فقال سفيان: نعم قال: فإني قد شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدثنى بمائة حديث. فقال سفيان: أقعد فحدثه مائة حديث.

فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع أنه صحيح الإسناد كما سبق. ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكره هذا الحديث فى كتاب الموضوعات لكونه إما صحيحا أو حسنا.

ومنها كما نقله القاضى جمال بن عبد الله الشافعى الظهيرى فى مؤلفه «الجواهر المكنونة فى فضائل المضمونة» عن علماء الشافعية وغيرهم أن الدعاء يستجاب عند زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفى هذا القدر كفاية.

وأما أفضليته فنقل الجد تغمده الله برحمته عن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى أنه قال: ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر، لأن به غسل صدر النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه. انتهى.

قال الجد رحمه الله: وفيما استدل به وقفة، فقد يقال قوله: ولم يكن يغسل إلا

ص: 232

بأفضل المياه مسلم. و لكن بأفضل مياه الدنيا. إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل في دار الفناء، ولا يشكل بكون الطست الذى غسل فيه صدره صلى الله عليه و سلم من الجنة، لأن استعمال هذا ليس فيه إذهاب عين بخلاف ذاك و الله أعلم. انتهى.

وقد سئل شيخ الإسلام جلال الدين السيوطى تعاوده الله بالرحمة عن ذلك بما صورته:

يا غرة فى جبهة الدهر افتتالا زلت تفتى كل من جا(1) يسأل

فى زمزم أو ماء كوثر حشرنا من منهما يا ذا المعالى أفضل

جوزيت بالإحسان عنا كلنا و بجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته:

لله حمدى و الصلاة على النبى محمد من للبرية يفضل

ما جاءنا خبر بذلك ثابت فالوقف عن خوض بذلك أجمل

هذا جواب ابن السيوطى راجيا من ربه الثبوت لما يسأل

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لماء زمزم وبئر خواص مباركة(2)، (و منها): أنه يبرد الحمى وقد تقدم فى الحديث. (و منها): أنه يذهب الصداغ. (و منها): أن جميع المياه العذبة التى فى الأرض ترفع و تغور قبل يوم القيامة إلا زمزم قالهما الضحاك. (و منها): أنه يفضل مياه الأرض كلها طبًا و شرعا ذكر عن الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصرى أنه قال: و ازننت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع، ثم اعتبرته

ص: 233

1-411. (1) فى المطبوع: « جاء » و هو غير صحيح عروضيا.

2-412. (2) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 413.

بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الأرض كلها. (و منها): أنه يحلو ليلة النصف من شعبان.

و يطيب و يقال يقول أهل مكة إن عين السلوان تتصل بززم في تلك الليلة. (و منها): أنه يكثر في ليلة نصف شعبان في كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل، لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون. و ممن شاهده كذلك الشيخ الصالح أبو الحسن المعروف بكرجاج، و كان ذلك في عام ست و سبعمائة. (و منها): أن الاطلاع في بئر ززم يجلو البصر و يحط الخطايا.

(و منها): كما أخرجه الفاسي عن الفاكهي أن شيخا من أهل مكة أسر في بلاد الروم، فقال له الملك: من أى بلد أنت؟ قال: من مكة، قال له: هل تعرف بمكة هزيمة جبريل؟

قال نعم، قال: فهل تعرف برة؟ قال: نعم، قال فهل لها اسم غير هذا قال: نعم هي اليوم تعرف بززم قال: إنا نجد في كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبدا(1).

(و منها): أنه لا يجتمع هو و نار جهنم في جوف عبد أبدا كما نقله المحب الطبري.

(و منها): أنه يقوى القلب و يسكن الروح، و لهذا قال الحافظ زين الدين العراقي: إن الحكمة في غسل صدر النبي صلى الله عليه و سلم بماء زمزم ليقوى به على رؤية ملكوت السموات و الأرض و الجنة و النار.

(و منها): اجتماع أرواح المؤمنين في بئرها كما نقله في «منهاج التائبين» قال روى عن مجاهد بن يحيى البلخي أنه قال كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان و كان كثير الطواف بالليل و يعكف على قراءة القرآن بالنهار و ذلك منذ ستين سنة، و كان الناس يودعونه و دائعهم فجاء رجل من الصالحين و كان بينه و بين الخراساني صداقة، فأودعه عشرة آلاف دينار ثم سافر، فلما قدم من سفره وجد الخراساني قد مات، فسأل أهله و أولاده عن ماله، فقالوا ما لنا به علم لا ندرى ما نقول فقص أمره على فقهاء مكة يومئذ و أخبرهم بما قال له أهله و أولاده، فقالوا له: نحن نرجو أن يكون الخراساني من أهل الجنة، فإذا مضى ثلث الليل أو نصفه انت زمزم فاطلع فيها و ناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد فأتى الفقهاء.

ص: 234

1- 413. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 413 و 414.

فأخبرهم بذلك فقالوا: إنا لله و إنا إليه راجعون. نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى اليمن فإن بها بئرا اسمها برهوت يجتمع فيها أرواح المعذبين، وهى على فم جهنم فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه، و ناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعه قال: فمضيت إلى تلك البئر فاذا أنا بشخصين قد جاء فنزل فيها و هما يبكيان، فقال أحدهما للآخر. من أنت؟ قال: أنا روح رجل ظالم كنت أضمن المكوس و آكل الحرام، فرماني ملك الموت إلى هذه البئر أعذب فيها، و قال الآخر: أنا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصيا ظالما و أنا أعذب فى هذه البئر ثم سمعت لهما صراخا، فقامت كل شعرة فى بدنى من الفزع.

ثم تطلعت فى البئر و ناديت يا فلان، فأجابنى من تحت العقوبة و الضرب، فقلت:

و يحك يا أخى، ما الذى أنزلك ها هنا؟ و بأى ذنب جئت إلى منازل الأشقياء، و قد كنت صاحب خير؟ قال: بسبب أختى كانت صعلوكة، و هى بأرض العجم فاشتغلت عنها بالمجاورة بمكة و العبادة و ما كنت أفقدها بشىء و لا أسأل عنها، فلما مت حاسبنى الله عز و جل عنها، و قال: نسيتها، تعرى و أنت تكتسى، و تجوع و أنت شبعان مكثفى. و عزتى و جلالى: إني لا أرحم قاطع الرحم، اذهبوا به إلى بئر برهوت. فأنا معذب مع قطاع الرحم فى هذه البئر، فعساك يا أخى تذهب إليها و تشرف على حالها و تطلب لى منها أن تجعلنى فى حل، فليس لى ذنب عند الله سوى هذا.

قال فقلت له: أين مالى الذى أودعته عندك؟ فقال: هو على حاله و إنى لم أثق عليه أولادى و لا غيرهم، فدفنته فى بيتى تحت العتبة فى الموضع الفلانى فاذهب إلى أولادى و قل لهم يدخلوك دارى، فاحفر فإنك ستجد مالك.

قال فمضيت إلى الموضع الذى قال لى عنه، فحفرت فوجدت ذهبى على حاله كما ربطته، فأخذته و مضيت إلى بلاد العجم، فسألت عن أخته، و اجتمعت بها و حدثتها حديثه فبكت و جعلته فى حل ثم شكت إلى القلة و الضرورة فوهبتها شيئا من الدنيا، و انصرفت راجعا إلى مكة شرفها الله تعالى، فلما كان نصف الليل جئت إلى زمزم، و ناديت: يا فلان، فقال: لبيك، جزاك الله عنى خيرا.

نقل الفاسى عن الفاكهي رحمهما الله تعالى عن أشياخه من أهل مكة أن لززم عدة أسماء، وهى: زمزم، وهزيمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل، وبركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة أى ضن بها لبني إسماعيل، لأنها أول ما أخرجت له عليه السلام، أخرج الأزرقي (1) عن كعب. وعونة، وبشرى، وصافية، وبرّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذية بضم الميم والغين المعجمة من الغذاء، وطاهرة، وحرمية بالحاء المهملة لكونها والله أعلم بالحرم، و مروية بضم الميم وتخفيف التحتية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم(2).

وذكر الفاكهي عن عثمان بن ساج أن من أسماء زمزم سابق. وذكر الفاسى رحمه الله أن لها أسماء آخر، من ذلك: ظبية بالطاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مثناة من تحت مفتوحة.

قال القاضى جمال الدين عبد الله بن ظهيرة تغمده الله برحمته سميت بها تشبيها بالظبية التى هى الخريطة لجمعها ماء فيها. ومن ذلك: تكتم بتاءين مثنتين من فوق بينهما كاف ثم ميم فى الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الأولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية، وشباعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، وهزيمة إسماعيل، وحفيرة العباس. وعزا هذا الأخير إلى «معجم البلدان» لياقوت، ونقرة الغراب هذا ما ذكره. ثم قال: وقد ذكرنا معانى بعض هذه الأسماء فى أصل هذا الكتاب يريد بذلك أصل كتابه «شفاء الغرام» ولم يوجد ولا عشر عليه أحد مطلقا.

وأخرج الأزرقي رحمه الله أن معنى تسميتها بنقرة الغراب، هو أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الأعصم كما تقدم، جاء إلى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات، فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند

ص: 236

1-414. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 404.

2-415. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 404.

الجزيرة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت في موضع زمزم فجزرت في ذلك الموضع. فأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك (1) انتهى.

ولم أدر ما قرية النمل التي بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها. والغراب الأعصم هو الذي في جناحه ريشة بيضاء كذا في «الصحاح» و من أسماء زمزم على ما نقله السهيلي في «روضه» همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي وقال: لأن جبريل همز بعقبه فنبع الماء، و زمزم حكاها عن المطرز و في بعض نسخ «الروض» ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاي الأولى ضمة و على الميم شدة و فتحة. و طيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلي.

ورأيت في النسخة التي وقفت عليها من تاريخ الأزرقى كذلك بالطاء المهملة و يقال للماء زمزم و زمزم و زمزم.

وقد اختلف في سبب تسمية زمزم بزمزم فقيل: لكثرة مائها. قال ابن هشام: و الزمزمة عند العرب الكثرة و الاجتماع، و قيل: لأنها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يميننا و شمالا و لو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء كذا نقل عن ابن عباس. (2)

الجامع اللطيف؛ ص 237

قيل: سميت بذلك لزمزمة الماء و هي صوته، قاله الحرابي (3). و قيل: لأن الفرس كانت تحج في الزمن الأول فترزم عليها (4).

قال المسعودى: و الزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء. و روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة و أنشد المسعودى البيت:

زمرت الفرس على زمزم و ذاك في سالفها الأقدم (5)

و قيل: إن زمزم غير مشتقة (6). و الله تعالى أعلم

ص: 237

1- 416. (1) أخبار مكة للأزرقي ج 2 ص 42.

2- 417. ابن ظهير، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

3- 418. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 405.

4- 419. (3) مروج الذهب ج 1 ص 242.

5- 420. (4) مروج الذهب ج 1 ص 242، شفاء الغرام ج 1 ص 405.

6- 421. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 405.

قال العلماء رحمهم الله: من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغى له أن يأخذ السقاء بيده اليمنى ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول: اللهم إنه بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال: ماء زمزم لما شرب له، اللهم إني أشربه لكذا ويذكر ما يريد ثم يشرب ويتنفس ثلاثا، و يسمى الله فى ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روى أن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر قال:

كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما فجاءه رجل، فقال له: من أين جئت؟ قال: من زمزم قال:

فشربت كما ينبغى؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: إذا شربت منها استقبل الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثا وتصلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتصلعون من زمزم. رواه البيهقى من طرق.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء. قال العلماء: ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مآثم (1).

وعن سويد بن سعيد قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب له، وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب.

فائدة: أخرج الأزرقى رحمه الله أن فى بئر زمزم ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبى قبيس والصفاء، وعين حذاء المروة.

ونقل الفاكهى عن العباس بن المطلب عن كعب الأحبار أن العين التى تجرى من جهة الحجر الأسود هى أغزر العيون الثلاثة: قال الجدى رحمه الله: إنها من عيون الجنة، والله أعلم.

ص: 238

الأول: يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة إليه (1) كما صرح به أئمتنا من غير كراهة، وكذلك مذهب السادة الشافعية و المالكية والحنابلة. وفي «شرح المذهب» للنووي أن الجواز مذهب الجمهور.

الثاني: في حكم الاستنجاء به أما عندنا فلم أقف على نقل في ذلك والمنقول عن الماوردي والنووي من الشافعية أن ماء زمزم وإن كان له حرمة فليست هي بحيث تمنع استعماله في الاستنجاء. والمنقول عن الروياني الكراهة في ذلك.

قال ابن درياس من الشافعية: إن ماء زمزم وغيره في ذلك سواء على المذهب ثم نقل في «شرحه على المذهب» عن الصيمري أنه قال: إن غيره من الماء أولى منه في الاستنجاء. وجزم المحب الطبري رحمه الله بتحريم إزالة النجاسة به وإن حصل به التطهير.

قال أكثرهم: وينبغي توقي إزالة النجاسة به لا سيما مع وجود غيره وخصوصاً في الاستنجاء، فقد قيل إن بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور.

وقال ابن شعبان من المالكية: لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة (2).

وأخرج الفاكهي أن أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتظيفه تبركاً به، وأن أسماء بنت الصديق رضی الله عنهما غسلت ابنتها عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما بماء زمزم (3).

الثالث: يجوز نقل ماء زمزم إلى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الأربعة (4). بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكية، وكذلك يجوز عندنا إخراج اليسير من حجارة الحرم وترايه للتبرك ولم يجوزه الشافعي رحمه الله، والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده أن الماء إذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم. والدليل على جواز إخراج ماء زمزم إلى الحل أن عائشة

ص: 239

1- 423. (1) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 414.

2- 424. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 415.

3- 425. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 415.

4- 426. (4) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج 1 ص 415.

رضى الله عنها حملت من ماء زمزم في قوارير وقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله في الأداوى والقرب أخرجه الترمذى فى جامعه(1).

وعن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات(2).

وروى أن كعب الأحبار حمل من ماء زمزم اثنتى عشر راوية إلى الشام. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبه على المرضى و يسقيهم منه. وأنه صلى الله عليه وسلم حنك به الحسن والحسين رضى الله عنهما مع تمر العجوة.

استطرد لطيف فى ذكر ما ورد فى فضل السبطين و أنهما سيدا شباب أهل الجنة و فضل الشيخين و أنهما سيدا كهول أهل الجنة و فى معنى ذلك و المراد به

جاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين إلا النبيين والمرسلين. رواه الترمذى و حسنه.

وتوفى أبو بكر وعمر و السبطان رضى الله عنهم و هم شيوخ كلهم. معنى الحديثين أن الحسن والحسين سيدا كل من مات شابا و دخل الجنة و إن أبا بكر وعمر سيدا كل من مات كهلا و دخل الجنة، فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث و ثلاثين، و لكن لا يلزم كون السيد فى سن من يسودهم، فقد يكون أكبر منهم سنا و قد يكون أصغر، و لا يجوز أن يقال وقع الخطاب حين ماتا شابين أو كهلين، فإن هذا جهل ظاهر و غلط فاحش، لأن النبى صلى الله عليه وسلم توفى و الحسن و الحسين دون ثمان سنين فلا يسميان شابين و لأبى بكر فوق الستين سنة و لعمر فوق خمسين، فكانا حال الخطاب شيخين فإن هذا الخطاب كان بالمدينة، و إنما

ص: 240

1- 427. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 415.

2- 428. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 415.

إقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عشر سنين، ولعل هذا الخطاب كان في آخرها وينقضى سن الكهولة ببلوغ أربعين سنة ويدخل بالأربعين سن الشيخوخة، والله أعلم قاله النووي في فتاويه.

وقوله: فكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث و ثلاثين يؤيده ما نقله الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في «البدور السافرة» فقال: أخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الناس ما بين السقط والشيخ الفاني أبناء ثلاث و ثلاثين في خلق آدم و حسن يوسف و قلب أيوب مكحلين ذوى أفانين.

قال القرطبي رحمه الله: يكون آدميات في الجنة على سن واحد، و أما الحور فأصناف مصنقة صغار و كبار، و على ما اشتهدت أنفس أهل الجنة.

و أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال أهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحي إلا ما كان من موسى بن عمران عليه السلام فإن لحيته تضرب إلى صدره و أخرج هنا.

و عن أبي الدرداء أنه كان يأخذ لحيته و يقول: نزع الله اللحي متى الراحة منها، قيل له متى الراحة منها؟ قال: إذا أدخلنا الجنة.

و أخرج أبو الشيخ في «العظمة» و ابن عساكر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس أحد يدخل الجنة إلا جرد مرد إلا موسى بن عمران عليه السلام، فإن لحيته تبلغ سرته، و ليس أحد يكنى في الجنة إلا آدم، فإنه يكنى أبا محمد.

و أخرج عن كعب رضى الله عنه قال: ليس أحد في الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام له لحية سوداء إلى سرته، و ذلك لأنه لم يكن له لحية في الدنيا، وإنما كانت اللحي بعد آدم، و ليس أحد يكنى في الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد.

أقول: من المعلوم المقرر عند النحاة و الأصوليين أن الاستثناء من النفي إثبات، و هو مفيد للحصر، فإذا كان كذلك، فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحية في الجنة بآدم و موسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح، لأنه حيث ثبت الحصر في حق آدم انتفى عن موسى أو في حق موسى انتفى عن آدم، و إذا تعارض الخبران و لم يكن مرجح تساقطا. غير أنه يمكن الجمع بما ذكره من الصنف من كون لحية آدم سوداء،

فيجوز أن يكون لموسى لحية غير سوداء بأن تكون بيضاء أو شمطاء أو غير ذلك، لأن أحوال الآخرة لا تكيف ولا تقاس على أحوال الدنيا، ثم ما ذكر من العلة في حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن له لحية في الدنيا لما أن اللحي لم تظهر إلا بعده لا يصدق ذلك على موسى عليه السلام، إذ في زمنه كانت اللحي قد ظهرت، ويشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن أخيه هارون معه: قَالَ يَا بَنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي (سورة طه: 94) فهذا صريح في وجود اللحي زمن موسى فيحتمل أن يكون ذلك كرامة لسيدنا موسى اختصه الله بها أو غير ذلك مما الله أعلم به، فتأمل والله الموفق.

الرابع: إن قيل الحرمة الثابتة لماء زمزم هل هي لعينه أم لأجل البقعة؟ فالجواب أنها لعينه وإلا يلزم أنه لو حفرت بئر أخرى في المسجد أن يثبت لها من الفضل ما ثبت لزمزم ولا قائل به، كذا في «منسك الجد» رحمه الله.

الخامس: يستحب عندنا لكل من طاف طوافا بعده سعى أن يأتي زمزم بعد فراغه من ركعتي طوافه ويشرب منها ثم يعود إلى الحجر ويقبله ويخرج إلى الصفا، وكذلك يستحب للحاج إذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع أن يأتي إلى زمزم فيشرب منها، ويستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه ويغتسل منه إن أمكن.

ولنختتم هذا الباب بذكر أبيات الشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصري في مدح ماء زمزم وهي:

شفيت يا زمزم داء السقيم فأنت أصفى من تعاطى النديم

وكم رضيع لك أشواقه إليك بعد الشيب مثل الفطيم

وله أيضا:

يا زمزم (1) الطيبة المخبر

يا من علت غورا على المشتري

ص: 242

رضيع أخلاقك لا يشتهي فطامه إلا لدى الكوثر

وله أيضا:

بالله قولوا لنيل مصر بأننى عنه فى غناء

بزمزم العذب عند بيت مخلوق الستر بالوفاء

وله أيضا:

لزمزم نفع فى المزاج وقوة تزيد على ماء الشباب لذى فتك

وزمزم فاقت كل ماء بطيها ولو أن ماء النيل يجرى على المسك

وليكن المسك ختام الباب، وإلى المرجع والمآب.

ص: 243

الباب العاشر في ذكر أمراء مكة من لدن عهد النبي صلى الله عليه و سلم إلى تاريخ وقتنا هذا و هو عام تسعة و أربعين و
تسعمائة

إشارة

ص: 244

و هذا المؤلف و إن كنت وضعته لبيان فضل مكة فقد يذكر الشىء بالشىء تكثيرا للفائدة، و هذا الفرع لم يتصد لجمعه أحد كما ينبغي سوى العلامة تقى الدين الفاسى رحمه الله، فأحببت أن أذكر ما ذكره و أزيد من حدث بعده من أمراء مكة إلى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعا مغنيا عن مطالعة غيره من المطولات، مع توسط العبارة و عدم الإخلال بأحد ممن عدّه الفاسى مع زيادة الإيضاح، و الله ولى التوفيق و المعونة.

فأول أمير ولى مكة عتّاب بن أسيد- بفتح الهمزة- ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى الأموى، و لاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عند مخرجه إلى عزرة حنين فى العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، و هو ابن إحدى و عشرين سنة، قاله ابن إسحاق(1) و غيره ممن لا يحصى، و هو فى عامة كتب الحديث بل و غيرها.

و ذكر ابن عقبة أن النبى صلى الله عليه و سلم حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل الأنصارى على أهل مكة و أمره أن يعلم الناس القرآن، و يفقههم فى الدين(2).

و ذكر ابن عبد البر عن الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما سار إلى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن سبل(3) الثقفى، و هو أول من صلّى بمكة جماعة بعد الفتح(4).

ص: 245

1-430. (1) سيرة ابن هشام ج 4 ص 440.

2-431. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 251.

3-432. (3) فى الإصابة بفتح المهملة و الموحدة بعدها لام، ضبطه الخطيب عن خط ابن الفرات، و أما الدارقطنى فذكره بكسر المعجمة و سكون الموحدة.

4-433. (4) الاستيعاب ص 1548.

وقد جمع الفاسى رحمه الله بين هذه الأخبار بأن عتّاباً جعل أميراً على مكة و معاذاً إماماً و فقيهاً، و اشترك هبيرة مع معاذ فى الإمامة(1).

و لا يعارض ذلك ما قيل فى ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة كما تقدم، لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة و هبيرة حاضر فى الناس و معاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت، ثم حضر معاذ و صلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة و هذا أولى من جعل الأخبار متعارضة فى ولاية عتاب.

هذا معنى كلام الفاسى، و قد أجاد لأن ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر، و لم يزل عتاب أميراً على مكة إلى أن مات. و كانت وفاته يوم مات أبو بكر رضى الله عنه، و قيل بل يوم جاء نعى الصديق إلى مكة(2).

و نقل ابن عبد البر ما يقتضى أن الصديق عزل عتّاباً، و ولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى الهاشمى، و هو ضعيف(3). و المشهور دوام ولاية عتاب على مكة إلى أن مات فى التاريخ المتقدم آنفاً، ثم ولى مكة فى خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طراً له المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى(4).

ذكر من ولى مكة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وليها له جماعة أولهم المحرز بن حارثة المذكور و ذلك فى أول خلافته ثم وليها قنفذ ابن عمر بن جدعان التيمى بعد عزل المحرز، ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخزاعى بعد عزل قنفذ، و وليها بعد عزل نافع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى، و طارق بن المرتقع بن الحارث بن عبد مناف، و عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما خرج لملاقاة عمر رضى الله عنه بعسفان، و أنكر عمر ذلك على نافع كما

ص: 246

1- 434. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 251.

2- 435. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 253.

3- 436. (3) الاستيعاب ص 291.

4- 437. (4) الاستيعاب ص 1461، شفاء الغرام ج 2 ص 254.

قد علمته فيما سبق في الباب الثامن، و الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (1). ونقل الذهبي أن الحارث هذا ولي مكة لأبي بكر (2) و هو ضعيف.

ذكر من ولي مكة في خلافة عثمان رضی الله عنه

وليها جماعة، أولهم: علي بن عدی بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، و لاه عليها أول خلافته، ثم خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي المتقدم، و كذلك ولي عثمان الحارث بن نوفل السابق آنفا، و عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي ابن أخي عتاب بن أسيد، و عبد الله بن عامر الحضرمي (3).

و ذكر ابن الأثير (4) أنه كان على مكة في سنة خمس و ثلاثين و فيها قتل عثمان. ثم نافع ابن عبد الحارث الخزاعي السابق ذكره.

ذكر من ولي مكة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وليها جماعة أولهم أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله صلى الله عليه و سلم و اسمه الحارث بن ربيعي، و قيل النعمان بن ربيعي، و قيل غير ذلك (5).

ثم قثم - بضم القاف و فتح المثناة - ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه و سلم بعد عزل أبي قتادة الأنصاري، و لم يزل واليا عليها إلى أن قتل على رضي الله عنه على الأشهر، ثم أخوه معبد بن العباس بن عبد المطلب على ما قيل، و قيل: إن المحرز بن حارثة ولي مكة لعلي قال الفاسي: و هو تصحيف (6).

ص: 247

1- 438. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 255.

2- 439. (2) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين ص 463.

3- 440. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 256-257.

4- 441. (4) الكامل في التاريخ ج 3 ص 207.

5- 442. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 257.

6- 443. (6) شفاء الغرام ج 2 ص 257-258.

ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية بن أبي سفيان

ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية بن أبي سفيان(1)

وهم جماعة لا نعرف أولهم منهم أخوه عتبة بن أبي سفيان، و خالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم، و مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو عبد الملك، و سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا عثمان، و قيل أبا عبد الرحمن أحد أشرف مكة و أجوادها و فصحاءها، و عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأشدق، و كذا سعيد المتقدم، و عبد الله ابن خالد بن أسيد بن أبي العيص القرشي ابن أخي عتاب السابق، و كانت ولايته سنة أربع و أربعين و فيها حج معاوية حجته الأولى.

ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية

إشارة

ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية(2)

وهم جماعة: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق السابق في ولاية معاوية، و الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب القرشي ابن عم يزيد، و عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب القرشي ابن عم يزيد أيضا الأمويون، و الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم ذكر والده خالد، و عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ابن أخي عمر بن الخطاب رضی الله عنه، و يحيى بن حكيم بن عمرو بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي. و في ترتيب ولايتهم اختلاف إلا عمرو بن سعيد فإنه أولهم ثم الوليد بعده.

خلافة عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما

خلافة عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما(3)

ثم ولي مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقي في ذلك بلاء شديدا من الحصين بن نمير المقدم على عسكر يزيد، و كان وصول الحصين إلى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع و ستين، و تقاتل هو و ابن الزبير مدة.

ص: 248

1- 444. (1) انظر في ولاية مكة في خلافة معاوية: شفاء الغرام ج 2 ص 259 و ما بعدها.

2- 445. (2) انظر في ولاية مكة في خلافة يزيد: شفاء الغرام ج 2 ص 261 و ما بعدها.

3- 446. (3) انظر في ذلك: شفاء الغرام ج 2 ص 263.

ثم فرج الله على ابن الزبير وصول نعي يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعا إلى الشام، وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين، ثم بويع بها في العراق واليمن وغيرهما من البلاد، وساد أمره ودامت ولايته على مكة إلى أن حاربه الحجاج وقتله وكان من أمره ما ليس هذا محل ذكره.

ذكر ولاية مكة في خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة، وهم ابنه مسلمة، والحجاج بن يوسف، والحارث بن خالد المخزومي السابق ذكره، وخالد بن عبد الله القسري، وعبد الله بن سفيان المخزومي، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص الأموي، ونافع بن علقمة الكناني، ويحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي(1).

وأولهم في الولاية الحجاج والباقون لا يعرف ترتيبهم، وممن ولى لعبد الملك كما قيل: هاشم بن إسماعيل المخزومي، وأبان بن عثمان بن عفان(2).

ذكر ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك

وأما ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك فاثنتان: الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي رضى الله عنه وولاه المدينة الشريفة أيضا ثم خالد بن عبد الله القسري(3).

وأما ولايتها في خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة أنفار: خالد بن عبد الله القسري، ثم طلحة بن داود الحضرمي ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي(4).

وأما ولايتها في خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فخمسة رجال: عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد المذكور، ومحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعروة بن عياض بن عدى بن الخيار(5) بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي

ص: 249

1- 447. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 266.

2- 448. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 269-270.

3- 449. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 270.

4- 450. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 270-271.

5- 451. (5) بكسر المعجمة وتخفيف التحتانية قيده ابن حجر في التقريب، وتحرف في الأصلين إلى: «الحيان» وهو تحريف قبيح.

النوفلى كذا ترجمه الذهبى(1) وغيره، و عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب القرشى، و عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقه العدوى(2).

و ذكر ابن جرير(3) أن عبد العزيز بن خالد هو الذى كان واليا على مكة مدة خلافة عمر جميعها.

و جمع الفاسى رحمه الله فقال: و لعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد و لّوا لعمر فى زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبد الملك فى المدّة التى كان فيها بالمدينة فإنها كانت فى ولايته أيضا(4).

و أما ولايتها فى خلافة يزيد بن عبد الملك فجماعة أولهم: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور، ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشى الفهرى مع ولايته للمدينة أيضا، و ولايته لمكة فى سنة ثلاث و مائة، و للمدينة فى سنة إحدى و مائة، ثم عبد الواحد بن عبد الله النّصرى- بالنون- من بنى نصر بن معاوية بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك فى سنة أربع و مائة مع المدينة أيضا(5).

و أما ولايتها فى خلافة هشام بن عبد الملك فجماعة أيضا أولهم: عبد الواحد المذكور، و مدة ولايته لذلك فى خلافة يزيد و هشام سنة و ثمانية أشهر على ما ذكره ابن الأثير(6).

ثم بعده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك فى سنة ست و مائة، و ولى مع ذلك المدينة أيضا، و دامت ولايته على مكة إلى سنة ثلاث عشرة، و قيل أربع عشرة و مائة(7).

ثم بعد إبراهيم المذكور أخوه محمد بن هشام بن إسماعيل، و دامت ولايته على ما

ص: 250

1- 452. (1) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث و وفيات 101-120 هـ) ص 169.

2- 453. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 272.

3- 454. (3) تاريخ الرسل ج 6 ص 554 و 589.

4- 455. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 273.

5- 456. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 273.

6- 457. (6) الكامل فى التاريخ ج 5 ص 105 و 126 و 133.

7- 458. (7) الكامل ج 5 ص 133 و 179.

قيل إلى سنة خمس وعشرين و مائة(1). و ذكر الفاكهي أن ممن ولى لهشام مكة نافع بن علقمة الكنانى السابق ذكره، فى خلافة أبيه عبد الملك(2).

و ممن وليها على الشك فى خلافة(3) عبد الملك بن مروان أو فى خلافة أحد أولاده الأربعة، أو خلافة عمر بن عبد العزيز: أبو جراب محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر الأموى ذكره الفاكهي و ذكر ما يقتضى أنه كان على مكة زمن عطاد بن أبى رباح(4).

و أما ولايتها فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفى مع المدينة و الطائف فى سنة خمس و عشرين و مائة، و ذلك بعد عزل(5) محمد بن هشام خال الوليد المذكور، و دامت ولايته إلى انقضاء دولة الوليد بن يزيد سنة ست و عشرين و مائة(6).

و أما ولايتها فى خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان على ما قيل(7).

و أما ولايتها فى خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموى- المعروف بالحمار- خاتمة خلفاء بنى أمية: فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان المذكور آنفا، و دامت ولايته إلى أن حج بالناس فى سنة ثمان و عشرين و مائة(8).

ثم بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك و ولى مع ذلك المدينة، و استمر متوليا إلى أن حج بالناس فى سنة تسع و عشرين و مائة(9). ثم ولى مكة بعده بالتغلب أبو حمزة الخارجى الأباضى و اسمه المختار بن عوف، و سببه أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندى المسمى طالب الحق بعد أن ملك حضر موت(10) و صنعاء و تغلب عليهما، طرد عامل مروان: القاسم بن عمر الثقفى عنهما، و بعث أبا حمزة المذكور إلى مكة فى عشرة آلاف

ص: 251

1- 459. (1) الكامل ج 5 ص 179 و 275، تاريخ خليفة 357.

2- 460. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 274.

3- 461. (3) فى المطبوع: «فى خلافته».

4- 462. (4) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 177.

5- 463. (5) تحرف فى المطبوع إلى: «عزم» و صوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

6- 464. (6) شفاء الغرام ج 2 ص 274.

7- 465. (7) شفاء الغرام ج 2 ص 274.

8- 466. (8) شفاء الغرام ج 2 ص 275.

9- 467. (9) شفاء الغرام ج 2 ص 275.

10- 468. (10) حضر موت: مخالف من اليمن.

من العسكر، فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر الأول من منى، وقصد المدينة و جهز جيشا من المدينة إلى أبي حمزة فخرج أبو حمزة قاصدا المدينة، فلقية جيش عبد الواحد بقديد(1). فكان الظفر لأبي حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة، وبلغ خبره مروان فجهز إليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فالتقى هو وأبو حمزة بمكة بالأبطح، فقتل أبو حمزة، و كان عسكره خمسة عشر ألفا و ظفر عبد الملك(2).

و ذكر ابن الأثير ما يقتضى أن عبد الملك سار إلى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره، وأنه ظفر بطالب الحق وقتله و أرسل برأسه إلى مروان.

و ممن ولى مكة لمروان: الوليد بن عروة السعدى ابن أخى عبد الملك المذكور، وأنه كان عليها فى سنة إحدى و ثلاثين و مائة، و يقال: إن محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة و المدينة فى سنة ثلاثين و مائة، وأنه حج بالناس فيها، و الله أعلم(3).

ذكر ولاة مكة فى أيام بنى العباس

أما ولايتها فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بنى العباس و تلقب بالسفاح: فداود بن على بن عبد الله بن العباس عم السفاح و ذلك فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، و ولاه مع مكة المدينة و اليمن و اليمامة(4).

ثم بعده زياد بن عبيد(5) الله الحارثى خال السفاح مع المدينة و اليمامة أيضا، و دامت ولايته إلى سنة ست و ثلاثين و مائة على ما يقتضيه كلام ابن الأثير(6).

ص: 252

1- 469. (1) قديد بالتصغير: مكان معروف فى طريق مكة المدينة، و هو إلى مكة أقرب، و ما زال معروفا بهذا الاسم إلى الآن.

2- 470. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 275.

3- 471. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 277.

4- 472. (4) اليمامة: منطقة فى نجد بينها و بين البحرين عشرة أيام، و بها كانت منازل طسم و جدیس، و بها كانت دعوة مسيلمة الكذاب، و فتحها خالد بن الوليد فى زمن أبى بكر الصديق، و بها قتل مسيلمة الكذاب و عادت إلى الإسلام، و يقال: إنها كانت من مخاليف مكة، أى محلقاتها، و كان يضم إلى حكام مكة حكم اليمامة أحيانا(شفاء الغرام ج 2 ص 278 هامش 1).

5- 473. (5) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد الله» و صوابه لدى الفاسى فى شفاء الغرام الذى ينقل عنه المصنف، و ابن فهد فى غاية المرام ج 1 ص 309.

6- 474. (6) الكامل فى التاريخ ج 5 ص 449 و 462.

ثم ولى بعد زياد: العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي في سنة ست و ثلاثين و مائة، و استمر عليها إلى موت السفاح قاله ابن الأثير(1).

و ممن ولى مكة للسفاح على ما ذكر ابن حزم في «الجمهرة»(2) عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، و هذا يخالف ما تقدم عن ابن الأثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة إلى موت السفاح، و الله أعلم بحقائق الأمور(3).

و أما ولايتها في خلافة المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخى السفاح فجماعة، أولهم: العباس بن عبد الله بن معبد المذكور آنفا، و ذلك سنة سبع- بتقديم السين- و ثلاثين و مائة ثم مات بعد انقضاء الموسم(4).

ثم ولى بعده زياد بن عبيد الله الحارثي المتقدم ودامت ولايته إلى سنة إحدى و أربعين و مائة، و هو الذى تولى عمارة ما زاده المنصور فى المسجد الحرام(5).

ثم ولى بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني فى سنة إحدى و أربعين و مائة، و استمر إلى سنة ثلاث و أربعين.

ثم ولى بعد عزله: السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب و استمر إلى سنة خمس و أربعين(6).

ثم ولى بعده بالتغلب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى الجعفرى من قبل- بكسر القاف و فتح الموحدة- محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية، لأنه لما تغلب على المدينة النبوية، و خرج على المنصور فى سنة خمس و أربعين أمر على مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور، فسار إلى مكة فخرج إليه السرى بن عبد الله أمير مكة من قبل المنصور، فتحاربا فانهمز السرى و دخل محمد مكة، ثم أنفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد ابن عبد الله، فقتل كذا ينقله ابن الأثير(7).

ص: 253

1- 475. (1) الكامل ج 5 ص 463.

2- 476. (2) جمهرة أنساب العرب ص 18.

3- 477. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 278.

4- 478. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 278.

5- 479. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 279.

6- 480. (6) انظر فى ولاية السرى و من بعده: شفاء الغرام ج 2 ص 279 و ما بعدها.

7- 481. (7) الكامل ج 5 ص 542.

وذكر الزبير بن بكار ما يقتضى أن الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور، والله أعلم بالصواب.

ثم عاد السرى على ولاية مكة من قبل المنصور، واستمر إلى سنة ست وأربعين ومائة.

ثم ولى بعده عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى عم المنصور والسفاح، واستمر إلى سنة تسع وأربعين- بتقديم المثناة الفوقية- وقيل: إلى سنة خمس، وقيل: إنه كان على مكة فى سنة سبع وخمسين بتقديم السين.

ثم ولى بعد عبد الصمد: محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، ومكث إلى سنة ثمان وخمسين.

وأما ولاتها فى خلافة المهدي أمير المؤمنين محمد بن المنصور العباسى فجماعة.

أولهم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، بوصية من المنصور.

ثم جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان على ذلك فى سنة إحدى وستين، وثلاث وستين.

ثم عبيد الله بن قثم- بضم القاف وفتح المثناة- ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متوليا لذلك فى سنة ست وستين.

وممن ولى للمهدي أيضا محمد بن إبراهيم الإمام العباسى المتقدم. ذكره الفاكهى.

وممن ولى مكة على الشك فى خلافة المهدي وابنه الهادى: قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والد عبيد الله المتقدم والله أعلم بذلك.

وأما ولاتها فى خلافة الهادى موسى بن المهدي العباسى: فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم، وذلك فى سنة تسع وستين- بتقديم المثناة-.

ثم وليها بالتغلب فى أيام الهادى: الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى، لأنه خرج عن طاعة الهادى وفتك بمن فى المدينة من جماعة الهادى ونهب بيت المال الذى بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه، وخرج

بجماعته إلى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين، وبلغ الهادى خبره فكتب إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأمره بمحاربة الحسين المذكور، وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة المذكورة للحج فى جماعة من أهل بيته و خيل و سلاح فلما دخل من عمرته عسكر بذى طوى، وانضم إليه من حج من جماعتهم وقوادهم، والتقوا الحسين وأصحابه وكان القتال فى يوم التروية، فقتل الحسين فى أزيد من مائة من أصحابه بفتح (1) بظاهر مكة عند الزاهر و دفن هنالك.

قال الفاسى: وقبره معروف إلى وقتنا هذا فى قبة على يمين الداخل إلى مكة و يسار الخارج منها إلى جهة وادى مر، و حمل رأسه إلى الهادى فلم يحمد ذلك. وكان الحسين هذا شجاعا كريما، يحكى أنه قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها فى الناس ببغداد و الكوفة، و خرج لا يملك ما يلبسه إلا فروة ليس تحتها قميص. رحمه الله و غفر له (2).

و ممن ولى مكة فى خلافة الهادى و أخيه الرشيد (3) محمد بن عبد الرحمن السفينانى، كان على إمارتها وقضائها و استمر إلى أن صرفه المأمون إلى قضاء بغداد.

و أما ولايتها فى خلافة هارون الرشيد بن المهدي فجماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية و هم: أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، و حماد البربرى، و سليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، و العباس بن موسى بن عيسى بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، و أخوه على بن موسى بن عيسى، و العباس بن محمد بن إبراهيم الإمام، و عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى، و عبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق، و عبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، و الفضل بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، و محمد بن إبراهيم الإمام، و محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان

ص: 255

1- 482. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «بفتح» و صوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

2- 483. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 283.

3- 484. (3) لدى الفاسى: «و فى خلافة الهادى أو خلافة الرشيد».

العثماني(1) و موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي والد العباس و علي المتقدم ذكرهما.

و أما ولاتها في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي: فداود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، و كان ذلك في سنة ثلاث و تسعين- بتقديم المثناة على السين- و استمر إلى انقضاء خلافة الأمين في سنة ست و تسعين و هو الذي تولى خلع الأمين بمكة فيها.

و أما ولاتها في خلافة المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد فداود المذكور أيضا، و لاه المأمون بعد خلع الأمين، و استمر إلى أواخر سنة تسع و تسعين و مائة- بتقديم المثناة الفوقية- ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالأفطس و سببه أن أبا السرايا السري بن منصور الشيباني داعية ابن طباطبا لما تغلب و استولى على العراق ولى مكة الحسين بن الحسن الأفطس فسار إلى أن وصل إلى وادي سرف(2) المعروف في وقتنا هذا بالتوارية- بتشديد النون- علي مرحلة لطيفة من مكة إلى جهة مر الظهران، فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف و سعى ثم مضى إلى عرفة فوقف بها ليلا ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم دفع إلى منى، فلما انقضى الحج عاد إلى مكة فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التي كانت عليها من قبل العباسيين، ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور من قرّ رقيق، إحداهما صفراء و الأخرى بيضاء، ثم عمد الأفطس إلى خزانة الكعبة و أخذ ما فيها من الأموال فقسّمها مع كسوة الكعبة على أصحابه، و هرب الناس من مكة لأنه كان يأخذ أموال الناس و يزعم أنها و دائع بني العباس عندهم.

و لم يزل كذلك على ظلمه إلى أن بلغه قتل مرسله أبي السرايا في سنة مائتين، فلما علم بذلك و رأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح و استباحة الأموال جاء هو و أصحابه إلى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين

ص: 256

1- 485. (1) في المطبوع: «العفاني» و المثبت رواية الفاسي الذي ينقل عنه المصنف.

2- 486. (2) سرف: موضع معروف بقرب مكة، و به قبر السيدة ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه و سلم.

ابن علي بن أبي طالب الحسيني الملقب بالديباجة لجمال وجهه، و سألوه في المبايعة بالخلافة، فكره محمد ذلك، فاستعان الأفضس عليه بولده علي، و لم يزالوا به حتى بايعه بالخلافة و ذلك في ربيع الأول سنة مائتين.

و جمعوا الناس على بيعه محمد بن جعفر طوعا و كرها و لقبوه بأمر المؤمنين، و بقي شهورا و ليس له من الأمر شيء و إنما ذلك لابنه علي و للأفضس و هما علي أفتح سيرة مع الناس، فلم يكن إلا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون فيهم الجلودي و ورقاء بن جميل، و قد انضم إلى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة و سواد البادية، فالتقى الفريقان فانهزم محمد و أصحابه، و طلب الديباجة من الجلودي الأمان فأجلوه ثلاثا، ثم خرج من مكة و دخل الجلودي بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة مائتين(1).

و توجه الديباجة إلى جهة بلاد جهينة فجمع منها جيشا و قاتل و إلى المدينة هارون بن المسيب، فانهزم الديباجة بعد أن فقئت عينه بنشابة، و قتل من عسكره خلق كثير(2).

ثم عاد إلى مكة و طلب الأمان من الجلودي، فأمنه فدخل مكة في أواخر الحجة سنة مائتين و صعد المنبر معتذرا بأنه إنما وافق علي المبايعة لأنه بلغه موت المأمون، ثم قدم على المأمون و اعتذر و استغفر فقبل عذره و أكرمه و عفا عنه، فلم يمكث إلا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون و نزل في لحدده و قال: هذه رحم قطعت من سنين و كان موته في شعبان سنة ثلاث و مائتين و سبب موته علي ما قيل أنه جامع و افتصد و دخل الحمام في يوم واحد(3).

ثم وليها بعد هزيمة الديباجة في خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجلودي، و وليها له نيابة ابنه محمد، و يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي.

ثم وليها بعد عزل الجلودي هارون بن السيب.

و وليها للمأمون أيضا حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان، و إبراهيم بن موسى بن

ص: 257

1- 487. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 287.

2- 488. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 287.

3- 489. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 287.

جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و حج بالناس سنة اثنتين و مائتين كذا نقله الفاسي عن العتيقي(1).

و ذكر الأزرقى أن حنظلة كان واليا على مكة في سنة اثنتين و مائتين خليفة لحمدون بن علي(2).

و جمع الفاسي بين ذلك بأنه يمكن أن يكون حمدون كان واليا في أول سنة اثنتين و مائتين، و استتاب حنظلة المذكور و إبراهيم كان واليا في آخر هذه السنة(3).

و عبيد الله بن الحسن(4) ابن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب مع المدينة، و ذلك في سنة أربع و مائتين، و استمر إلى سنة ست، و قيل إلى سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية(5).

و صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس و ذلك في سنة عشر و مائتين، و استمر إلى أن حج بالناس سنة اثنتي عشرة و مائتين.

ثم وليها بعده علي الأشهر سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس مع المدينة.

و ولي أيضا للمأمون محمد بن سليمان المتقدم ذكر والده، و ذلك في سنة ست عشرة و مائتين كما يقتضيه كلام الفاسي(6).

و عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب.

و ممن ولي مكة للمأمون من غير مباشرة: الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل، لأن المأمون بعد قتل أخيه الأمين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق و الأهواز و فارس و الحجاز و اليمن، و ذلك في سنة ثمان و تسعين و مائة(7).

ص: 258

1-490. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 289.

2-491. (2) أخبار مكة و للأزرقى ج 1 ص 266.

3-492. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 290.

4-493. (4) في المطبوع: «الحسين» و المثبت رواية د، و مصعب في نسب قريس ص 79، و ابن فهد في غاية المرام ج 1 ص 408.

5-494. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 290.

6-495. (6) شفاء الغرام ج 2 ص 290.

7-496. (7) شفاء الغرام ج 2 ص 291.

و أما ولايتها فى خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد(1):

فصالح بن العباس المتقدم ذكره آنفاً و كان فى سنة تسع عشرة- بتقديم المثناة- و مائتين(2).

ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بترنجه، و ذلك فى سنة اثنتين و عشرين و مائتين، و يقال: إن ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل(3).

و ولى للمعتصم أيضاً: أشناس التركى و هو من كبار قواده، و ذلك أنه لما أراد الحج فى سنة ست و عشرين و مائتين فوض إليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها، فلما دخل مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائباً عنه على الحج بالناس، و دعا لأشناس على منابر الحرمین و غيرهما من البلاد التى دخلها(4).

و أما ولايتها فى خلافة الواثق هارون بن المعتصم: فعلى بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور، و ذلك سنة ثمان و ثلاثين، و استمر إلى أن توفى سنة تسع و ثلاثين.

ثم ولى بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى المتقدم ذكر والده فى خلافة المعتصم و استمر إلى سنة إحدى و قيل اثنتين و أربعين و مائتين.

ثم ولى بعده عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس سنة اثنتين و أربعين.

ثم ولى بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام المعروف بالزینى.

و ممن عقد له على مكة و لم يباشر فى خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذى ولى الخلافة بعد أبيه المتوكل.

ص: 259

1- 497. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «فى خلافة المعتصم فمحمد بن هارون الرشيد» و صوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

2- 498. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 291.

3- 499. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 291.

4- 500. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 291.

و ممن ولى على ما قيل فى خلافة المتوكل إيتاج(1)- بهمزة و بعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فألف فجيم- الخوزى- بضم الخاء المعجمة و كسر الزاء المعجمة- مولى المعتصم، و كان من كبار قواد المتوكل، و الله أعلم بذلك.

و أما ولايتها فى خلافة المنتصر محمد بن المتوكل: فمحمد بن سليمان الزينى المتقدم أنفا.

و أما ولايتها فى خلافة المستعين أبى العباس أحمد بن المعتصم العباسى: فعبد الصمد ابن موسى الإمام المتقدم ذكره، و ذلك فى سنة تسع و أربعين بتقديم المثناة.

ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات، و كانت ولايته فى سنة خمسين و مائتين، و استمر إلى سنة إحدى و خمسين.

ثم و ليها بعد شاشات بالتغلب إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات، و قتل الجند الذى بمكة و جماعة من أهل مكة، و نهب منزل شاشات و غيره، و أخذ من الناس نحو مائتى ألف دينار، و عمد إلى الكعبة الشريفة فأخذ كسوتها، و أخذ ما فى خزائنها من الأموال و ما كان حمل من المال لإصلاح العين، و نهب مكة، و أحرق بعضها، ثم خرج منها فى شهر ربيع الأول بعد إقامته فيها خمسين يوما، و قصد المدينة الشريفة فتوارى عنه عاملها، فرجع إلى مكة فى رجب، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعا و عطشا، و بلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم، و لقي أهل مكة منه بلاء شديدا، ثم سار إلى جدّة فحبس عن الناس الطعام، و أخذ أموال التجار و أصحاب المراكب، ثم وافى الموقف و الناس بعرفة فأفسد فيها، و قتل من الحجاج نحو ألف و مائة، و نهب الناس فهرب الحجاج و لم يقف بعرفة أحد لا ليلا و لا نهارا سوى إسماعيل و عسكره، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع إلى جدّة ثانيا، و أفنى أموالها، و فعل أمورا قبيحة. ليس هذا محل ذكرها هذا كله فى خلافة المستعين(2).

ص: 260

1- 501. (1) و لى الفاسى الذى ينقل عنه المؤلف: «إيتاج» بالخاء المعجمة، و مثله لى ابن فهد فى غاية المرام ج 1 ص 432.

2- 502. (2) الخبر بطوله لى الفاسى فى شفاء الغرام ج 2 ص 294.

و ممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المستعين اثنان: ابنه العباس و محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين.

و أما ولايتها في خلافة المعتز و اسمه محمد، و قيل طلحة، و قيل الزبير بن المتوكل العباسي: فعيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبي عمرو(1) بن حفص بن المغيرة المخزومي. و ذكر الفاكهي ما يقتضى أنه ولي مكة مرتين.

و من ولايتها في خلافة المعتز أو خلافة المهدي، أو خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسي الملقب كعب البقر و ولايته، لا تخرج على أحد هؤلاء الثلاثة(2).

و أما ولايتها في خلافة المهدي، و اسمه محمد بن الواثق العباسي: فعلى بن الحسن الهاشمي ذكره الفاكهي، و لم يزد على اسمه و اسم أبيه و ذكر أن ولايته في سنة ست و خمسين و مائتين(3). و أنه أول من فرق بين الرجال و النساء في جلوسهم في المسجد الحرام، أمر بحبال تربط بين الأساطين التي تقعد عندها النساء تفصل بينهن و بين الرجال(4).

و أما ولايتها في خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي فجماعة: أخوه أبو أحمد الموفق، و اسمه طلحة، و قيل محمد بن المتوكل، و ذلك في سنة سبع و خمسين - بتقديم السين على الموحدة - و مائتين على ما اقتضاه كلام ابن الأثير(5).

و إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الملقب بزیه - بباء موحدة ثم زاي معجمة ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف - (6) و كانت ولايته في حدود تسع و خمسين - بتقديم المثناة الفوقية - و مائتين إلى إحدى و ستين و مائتين(7).

ص: 261

1- 503. (1) تحرف في المطبوع إلى: «بن عمرو» و صوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف، و مثله لدي ابن فهد في غاية المرام ج 1 ص 439.

2- 504. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 296.

3- 505. (3) أخبار مكة للفاكهي ج 1 ص 477.

4- 506. (4) أخبار مكة للفاكهي ج 3 ص 242.

5- 507. (5) الكامل في التاريخ ج 7 ص 241.

6- 508. (6) و في حواشي نزهة الألباب في الألقاب ص 121: «و بريه - بالراء المهملة - مصغر: إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي أمير مكة».

7- 509. (7) شفاء الغرام ج 2 ص 297.

و أبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي ولد عيسى بن محمد المتقدم ذكره في خلافة المعتز أنفاً، وذلك في سنة ثلاث و ستين و مائتين كما تقتضيه عبارة الفاسي و الفاكهي(1).

و ذكر ابن الأثير ما يدل أنه وليها نائباً لصاحب الزنج في سنة خمس و ستين(2)، و استمر إلى سنة ثمان و ستين و مائتين.

و هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، و كانت ولايته في سنة تسع و ستين - بتقديم المشاة الفوقية- و مائتين، كما دل عليه كلام ابن جرير و ابن الأثير.

و أحمد بن طولون صاحب مصر، أقول كذا عده الفاسي مع أنه لم يباشر ذلك، و لو لا ما قدمته أول هذا الباب بأني لم أخل بأحد ممن عده الفاسي لما ذكرته، و لعل سبب ذكر الفاسي لأحمد المذكور- و الله أعلم- ما نقله عن ابن جرير(3) أن في عام تسع و ستين و مائتين أرسل ابن طولون هذا قائدين من مصر في أربعمئة و تسعين فارساً- بتقديم المشاة الفوقية على السنين-(4) و ألفى راجل، فوافوا مكة لليلتين بقيتا من ذي القعدة، و أعطوا الجزارين و الحناتين بمكة دينارين لكل رجل و غيرهم سبعة دنانير، و كان هارون بن محمد المتقدم أنفاً يومئذ أميراً على مكة، و معه مائة و عشرون فارساً و مائتا عبد من السودان، فوافاه جعفر بن الباغمردى(5) لثلاث خلون من ذي الحجة في نحو مائتي فارس فقوى بهم هارون فالتقوا هم و أصحاب ابن طولون فانهمز عسكر ابن طولون، و قتل منهم بمكة نحو مائتي رجل، و أخذت دوابهم و أموالهم، و آمن جعفر الباغمردى المصريين و الحناتين و الجزارين و سلم الناس، و أموال التجار، و لعن أحمد بن طولون في المسجد الحرام(6) و بهذا لا يثبت لابن طولون ولاية على مكة، و كان عدم ذكره أولى، و الله أعلم. انتهى.

ص: 262

1- 510. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 300.

2- 511. (2) الكامل ج 7 ص 328.

3- 512. (3) تاريخ الرسل ج 9 ص 652.

4- 513. (4) الذي لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف: «في أربعمئة و سبعين فارساً» و مثله لدى الطبري.

5- 514. (5) في الأصلين: «الباغمرون» و هو خطأ صوابه لدى الطبري ج 9 ص 652، و الفاسي في شفاء الغرام ج 2 ص 298.

6- 515. (6) تاريخ الرسل ج 9 ص 652، شفاء الغرام ج 2 ص 298، غاية المرام ج 1 ص 454.

و محمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج، فأما محمد ففي كلام ابن جرير(1) ما يدل على أنه لم يباشر، وإنما عقد له على الحرمين.

و أما ولاية أخيه يوسف فذكر ابن الأثير أنها في سنة إحدى وسبعين(2)- بتقديم السين على الموحدة- و مائتين.

و الفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن العباس، و كان متوليا على مكة في سنة ثلاث و ستين و مائتين، كذا نقله الفاكهي(3).

أقول: و فيه نظر، لأنه قد تقدم أن أبا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة في هذه السنة، و يمكن الجمع بأن الفضل لعله كان واليا في أول السنة، ثم ولى بعده أبو المغيرة في أثنائها أو آخرها، و الله أعلم بذلك، و لم ينبه الفاسي على ذلك.

و أبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، ذكر ولايته عن المعتمد ابن حزم و لم يذكر لها تاريخا، لكنه نقل أن أبا عيسى عزل بأبي المغيرة المخزومي المتقدم(4)، فيحتمل أن تكون ولايته تقريبا من ثلاث و ستين إلى ثمان و ستين و مائتين لأن أبا المغيرة كان واليا في هذه الحدود على اختلاف الأقوال المتقدمة في تاريخ ولايته. انتهى.

و نقل الفاكهي ما يقتضى أن أبا عيسى هذا ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفا.

و جمع الفاسي بين ما ذكره ابن حزم و الفاكهي فقال: ولا- مانع لأنه يجوز أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل نيابة عن المعتمد استقلالاً. انتهى(5).

و أما ولايتها في خلافة المعتضد أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل العباسي ثم في خلافة أولاده المكتفي أبي محمد على و المقتدر أبي الفضل جعفر و القاهر أبي منصور محمد ثم في خلافة الرازي أبي العباس أحمد بن المقتدر، ثم في خلافة

ص: 263

1- 516. (1) تاريخ الرسل ج 9 ص 549.

2- 517. (2) الكامل ج 7 ص 417.

3- 518. (3) أخبار مكة للفاكهي ج 1 ص 482.

4- 519. (4) جمهرة أنساب العرب ص 149.

5- 520. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 300.

المتقى أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر، ثم فى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد، ثم فى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى فجماعة كثيرة، لم يعرف منهم ويذكر سوى عَجّ- بالعين المهملة و الجيم- ابن حاج، ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت، غير أن إسحاق الخزاعى ذكر أنه كان واليا على مكة فى سنة إحدى وثمانين و مائتين.

و ذكر ابن الأثير ما يدل على أنه كان واليا فى عام خمس و تسعين- بتقديم المثناة الفوقية- و مائتين(1) فيحتمل أنه استمر من عام واحد و ثمانين إلى التاريخ ذكره ابن الأثير، أو تولى غيره ثم أعيد هو والله أعلم.

و مؤسس المظفر و ذلك فى سنة ثلاثمائة حسبما ذكره ابن الأثير(2) و كان أميراً على الحرمين و الثغور بالعقد لا بالمباشرة.

و ابن ملاحظ لأن النسابة(3) أباً محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ(4).

قال العلامة الفاسى: و ما عرفت اسم ابن ملاحظ و لا- متى كانت ولايته، غير أنى أظن أنه كان عليها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها بقليل. انتهى(5).

و ابن محلب(6) و قيل ابن محارب و الأول أصوب، و لم يعلم أول ولايته، غير أن ابن الأثير لما ذكر ما فعله أبو طاهر القرمطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة- بتقديم المهملة على الموحدة- و ثلاثمائة، قال ما صورته: فخرج إليه ابن محلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أبو طاهر أجمعين(7). انتهى.

فاستفيد من كلامه أن ابن محلب كان والى مكة فى تلك السنة.

ص: 264

1- 521. (1) الكامل ج 8 ص 11 و 12.

2- 522. (2) الكامل ج 8 ص 75.

3- 523. (3) فى المطبوع: «النابه».

4- 524. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 303.

5- 525. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 304.

6- 526. (6) كذا فى الأصلين، و مثله لدى ابن الأثير فى الكامل ج 8 ص 207 ولدى الفاسى فى شفاء الغرام: «ابن مخلب».

7- 527. (7) الكامل فى التاريخ ج 8 ص 207.

و محمد بن طعج- بالطاء و العين المهملتين ثم بالجيم(1)،- المعروف بالإخشيدي، و ابنه أبو القاسم أونجور- بالنون و الجيم- و معنى أونجور: محمود، و أبو الحسن على. و كان مبدأ ذلك فى سنة إحدى و ثلاثين و ثلاثمائة، كما دل عليه كلام المؤرخين بأن الخليفة التقي العباسى ولى محمدا المذكور مصر و الشام و الحرمين فى السنة المذكورة، و عقد لولديه أبى القاسم و على أبى الحسن من بعد أبيهما على البلد المذكورة على أن يكفلهما خادمه كافور الخصى المعروف بالإخشيدي. و هذه الولاية بالعقد عن غير مباشرة، و دليله أن الفاسى رحمه الله قال بعد استيفاء كلام المؤرخين فى عقد المتقى لمحمد و ولديه ما صورته: و ما عرفت من كان يباشر لهم ولاية مكة و لا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر(2).

انتهى. و الله أعلم.

و ممن ولى مكة القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى، ذكر ذلك بعض مؤرخى مصر، و ذلك فى سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة، و قيل: إنه باشر ذلك لأبى الحسن على بن الإخشيدي(3)، و الله أعلم.

ثم ولى مكة فى زمن الإخشيدية بالتغلب: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى، كذا ذكره ابن حزم(4)، ثم قال و ولده إلى اليوم ولاة مكة يعنى فى زمنه.

قال العلامة الفاسى: و لعل ولاية جعفر المذكور بعد موت كافور الإخشيدى، و قيل أخذ العبيدين مصر من الإخشيدية، و يصدق على ذلك أنها الإخشيدية، و يبعد أن يلى جعفر مكة فى أيام كافور لعظم أمره، و قد رأيت فى بعض التواريخ ما يدل على أنه كان يدعى لكافور على المنابر بمكة، و كان موت كافور فى سنة ست و خمسين و ثلاثمائة فى

ص: 265

1- 528. (1) كذا ضبطها ابن ظهيرة، و لدى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج 5 ص 62: «طعج: بضم الطاء المهملة و سكنون الغين المعجمة و بعدها جيم- و تفسيره: عبد الرحمن» و مثله فى سائر المصادر.

2- 529. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 305.

3- 530. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 305.

4- 531. (4) جهرة أنساب العرب ص 47.

جمادى الأولى، وقيل: فى سنة سبع و خمسين، فتكون ولاية جعفر فى إحدى هاتين السنتين، أو فى سنة ثمان و خمسين، ولا تخرج ولايته عن هذا. انتهى(1).

ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر، و دامت ولايته إلى سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة(2).

و لم يتعرض الفاسى لموت أبيه جعفر متى كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى، و إنما أفاد ولاية عيسى بعد أبيه لا غير.

ثم ولى بعد عيسى أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى، و دامت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاثين و أربعمئة، إلا أن الحاكم العبيدى صاحب مصر كان قد ولى مكة لابن عم أبي الفتوح أبي الطيب فى المدة التى خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم، ثم أعاده إلى مكة بعد أن راجع طاعته.

وقيل: إن أخا لأبى الفتوح كان خرج عليه بمكة فى زمن عصيانه، و الله أعلم بحقائق الأمور، و كان عصيان أبى الفتوح فى سنة إحدى و أربعمئة و قيل فى سنة اثنتين.

و ذكر ابن خلدون أن أبا الفتوح ولى المدينة الشريفة أيضا و أزال عنها إمرة بنى المهنا الحسينيين(3)، و ذلك فى سنة تسعين بتقديم المشناة و ثلاثمائة.

ثم ولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه شكر بن أبى الفتوح و استمرت ولايته إلى أن مات فى سنة ثلاث و خمسين و أربعمئة، و نقل ابن خلدون أنه ملك المدينة و جمع بين الحرمين(4)، و يقال: إنه ملك ثلاثا و عشرين سنة، و مات و لم يعقب و لا ولد له قط، و إنما صار أمر مكة بعده إلى عبد كان له، كذا ذكره ابن حزم(5).

و نقل صاحب «المرآة» ما يقتضى أن شكرا كانت له ابنة، و الله أعلم.

ثم ولى مكة بعد شكر بنو أبى الطيب الحسينيون، و هم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر، و لم يذكر الفاسى عدتهم.

ص: 266

1- 532. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 306.

2- 533. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 307.

3- 534. (3) فى المطبوع: «الحسينيين».

4- 535. (4) العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 4 ص 102.

5- 536. (5) انظر الجمهرة ص 47.

ثم ولي مكة علي بن محمد الصّليحي صاحب اليمن، وذلك في سنة خمس وخمسين وأربعمائة في شهر ذي الحجة، وأظهر العدل بها و استعمل الجميل مع أهلها، و كثر الأمن و طابت به قلوب الناس، و رخصت الأسعار في أيامه، و كثرت له الأدعية، و كسا البيت ثوبا أبيض، ورد إلى البيت الحلي الذي أخذه بنو أبي الطيب الحسينيون لما ملكوا بعد شكر، و أقام بمكة إلى يوم عاشوراء، و قيل: إلى ربيع الأول سنة ست و خمسين، و عاد إلى اليمن(1).

ثم ولي بعده نائبا أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبزي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، و سببه أن الصليحي لما دخل مكة كان الأشراف بنو أبي الطيب قد أبعدها عن مكة، و جمعوا عليه، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة و يؤمر بها من يختاره منهم، و كان قد وقع في عسكره الوباء فمات منهم سبعمائة رجل، و لم يبق معه إلا نفر يسير، فاختر محمد هذا ابن جعفر بن أبي هاشم و أقامه نائبا عنه و أمره علي مكة و استخدم له عساكر و أعطاه مالا و سلاحا و خمسين فرسا، ثم سار إلى اليمن فجاء الأشراف بنو سليمان و معهم حمزة بن أبي وهاس، و حاربوا محمد بن جعفر فحاربهم، و لم يكن له بهم طاقة فخرج هاربا من مكة فتبعوه فكر راجعا و ضرب واحدا منهم ضربة قطع بها درعه و فرسه و جسده و وصل إلى الأرض فرجعوا عنه، و كان تحته فرس يقال لها دنانير لا تكلّ و لا تملّ(2).

و محمد بن جعفر هذا هو أحد أمراء مكة المعروفين بالهواشم، و قيل: إنه كان صهر شكر بن أبي الفتوح علي ابنته و الله أعلم بذلك.

ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، و استمر متوليا إلى أن مات في سنة سبع و ثمانين - بتقديم السنين - و أربعمائة، و هو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد أن قطعت نحو مائة سنة، و قد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال: لما أن ذكر وفاته ما له ما يمدح(3) به. انتهى.

ص: 267

1- 537. (1) اتعاظ الحنفا ج 2 ص 268 و 269.

2- 538. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 310 و 311.

3- 539. (3) الكامل ج 10 ص 239.

قال الفاسى رحمه الله: ولعل ذلك لنهبه الحاج، وقتله منهم خلقا كثيرا فى سنة ست وثمانين، ولأخذه حلية الكعبة فى سنة اثنتين وستين والله أعلم. انتهى(1).

وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة والله أعلم.

ثم ولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم مدة يسيرة، ثم وليها أصبهذ(2) بن سارتكين(3) بسين مهملة ثم ألف ثم راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون، وكان استيلاؤه عنوة فى أوائل سنة سبع وثمانين - بتقديم المهملة - فهرب منها قاسم بن محمد وأقام أصبهذ بمكة إلى شوال فجمع قاسم عسكرا وكبس أصبهذ بعسفان، فانهمز أصبهذ إلى الشام، ودخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ثمان عشرة وخمسائة(4).

وذكر ابن خلدون أن إمرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب.

ثم ولى مكة بعده ابنه فليته، وقيل: أبو فليته، واستمرت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسائة(5).

ثم ولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليته، واستمر متوليا إلى أن مات فى سنة تسع وأربعين - بتقديم المثناة الفوقية - وخمسائة، وقيل فى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين، ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته(6).

ثم ولى بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليته، واستمر إلى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى، وذلك وقت الموسم لإساءته السيرة فى مكة.

ص: 268

1- 540. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 312.

2- 541. (2) فى المطبوع: «أصيهذ» وفى د: «أصبهذ» والمثبت رواية ابن الأثير فى الكامل ج 10 ص 239، والفاسى فى شفاء الغرام ج 2 ص 312.

3- 542. (3) والذى لذى ابن الأثير فى الكامل ج 10 ص 239: «ساوتكين» ولذى ابن فهد فى إتحاف الورى ج 2 ص 487: «سرتكين».

4- 543. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 312.

5- 544. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 313.

6- 545. (6) شفاء الغرام ج 2 ص 313.

ثم ولى مكة بعده عمه عيسى بن فليته، ثم عاد قاسم إلى مكة واستولى عليها في شهر رمضان سنة سبع و خمسين - بتقديم السين على الموحدة - أقام بها أياما يسيرة، ثم قتل (1).

و استقر الأمر بعده لعمه عيسى و دامت ولايته إلى أن مات في سنة سبعين - بتقديم السين - و خمسمائة (2).

ثم ولى بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليته بعهد من أبيه و استمر إلى ليلة النصف من رجب [سنة] إحدى و سبعين (3).

ثم وليها أخوه مكث بن عيسى، و استمر إلى موسم هذه السنة، ثم عزل و جرى بينه و بين أمير الركب العراقي حرب شديد في ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاشتكين (4).

ثم ولى مكة في الموسم المذكور الأمير قاسم بن مهنا الحسيني بعد عزل مكث، و أقام متوليا نحو ثلاثة أيام، ثم إنه رأى من نفسه العجز عن القيام بإمرة مكة فأعاد أمير الحاج داود بن عيسى المذكور أنفا إلى إمرة مكة، و شرط عليه أن يسقط جميع المكوس، و لم تعلم ولايته هذه إلى متى استمرت غير أنه بعدها كان يتداول هو و أخوه مكث إمرة مكة، ثم انفرد بها مكث عشر سنين متوالية، آخرها سنة سبع - بتقديم السين - و تسعين - بتقديم المثناة الفوقية - و خمسمائة و هو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم (5).

غير أن في ولايته أو في ولاية أخيه داود على الشك كان ممن ولى مكة سيف الإسلام طغتكين - بطاء مهملة ثم غين مهجمة ثم مثناة فوقية - ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، و ذلك في سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة، لأنه قدم مكة في هذه السنة، و منع من الأذان [في الحرم] بحى على خير العمل، و قتل جماعة من العبيد المفسدين، و هرب منه أمير مكة إلى قلعته بأبي قبيس، و شرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج، و ضرب طغتكين الدراهم و الدنانير بمكة باسم أخيه السلطان صلاح الدين (6).

ص: 269

1- 546. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 313.

2- 547. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 313.

3- 548. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 314 و ما بين حاصرتين منه.

4- 549. (4) في المطبوع: «لطاستكين» و المثبت رواية ابن الأثير في الكامل ج 11 ص 432، و مثلها لدي الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

5- 550. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 314.

6- 551. (6) شفاء الغرام ج 2 ص 314 و ما بين حاصرتين منه.

ثم ولى مكة بعد مكث: أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى ابن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، وذلك في سنة سبع- بتقديم السين- و تسعين- بتقديم المثناة- و خمسمائة، وقيل: في سنة ثمان و تسعين، وقيل في سنة تسع و تسعين و خمسمائة، و دامت ولايته إلى أن مات في سنة سبع عشرة- بتقديم السين- وقيل في سنة ثمان عشرة و ستمائة فتكون ولايته عشرين سنة أو ما يقاربها للاختلاف في مبدأ ولايته، و كانت ولايته ممتدة إلى ينبع(1) وإلى حلى(2)، و كان يحارب صاحب المدينة الشريفة، و يغلب كل منهما الآخر حيناً، و كان ممن ولى مكة بالعقد لا بالمباشرة في أيام قتادة: آقباش بن عبد الله الناصري فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسي، لأن مولاه عقد له على الحرمين و إمرة الحج لعظم مكانته عنده(3).

ثم بولى مكة بعده ابنه حسن بن قتادة، و قتل بعض عسكره آقباش المتقدم آنفا لأنهم اتهموه أنه واطأ راجح بن قتادة على أن يوليه عوضاً عن أخيه حسن، و استمر حسن المذكور إلى سنة تسع عشرة- بتقديم المثناة- وقيل إلى سنة عشرين و ستمائة(4).

ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب أفسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن، لأنه صار إلى مكة و تحارب هو و حسن بن قتادة بالمسعى فانهمز حسن و هرب من مكة و نهبها عسكر الملك المسعود إلى وقت العصر، و دامت ولايته عليها إلى أن مات في سنة ست و عشرين و ستمائة(5).

و كان ممن ولى مكة نيابة للملك المسعود رجلاً: الأول نور الدين عمر بن علي بن

ص: 270

1- 552. (1) ينبع: بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربي لمكة المكرمة، و يقال لها ينبع البحر، و قريب منها في الداخل بلد يقال لها ينبع النخل، و هي قرية غطاء ذات عيون و مزارع و قد كانت عامرة، و قال ياقوت في معجمه: قال الشريف بن مسلمة بن عياش الينبعي: عددت بها مائة و سبعين عينا.

2- 553. (2) حلى: بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب الغربي لمكة.

3- 554. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 315.

4- 555. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 315.

5- 556. (5) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص 365.

رسول الذي ولي السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك، فقصده حسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع، فتحاربا فانكسر حسن.

و الثاني الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودي، وذلك في سنة خمس وعشرين و ستمائة.

ثم ولي مكة بعد الملك المسعود والده الملك الكامل، واستمر إلى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين - بتقديم المشاة الفوقية - و ستمائة.

ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول بعد أن بويج بالسلطنة في بلاد اليمن، وذلك أنه بعث جيشا إلى مكة و معهم راجح بن قتادة الحسنى أخو حسن المتقدم فأخرجوا متوليها الأمير طغتكين نائب الملك الكامل، فهرب إلى ينبع، فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز إلى طغتكين جيشا كثيفا مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ما قيل، فوصل إلى طغتكين و دخل إلى مكة مع الجيش فأخرجوا منها راجحا و من معه من أهل اليمن، و استولى طغتكين على مكة و قتل خلقا كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له في النوبة الأولى، و كان استيلاؤه [على مكة] في رمضان سنة تسع و عشرين - بتقديم المشاة - و ستمائة (1).

ثم وليها مع راجح بن قتادة، عسكر صاحب اليمن بغير قتال، و ذلك في سفر سنة ثلاثين و ستمائة (2).

أقول: لم يبين الفاسى من هو صاحب اليمن، و الذي يظهر أنه الرسولى لأن الكلام الآتى يدل على ذلك. انتهى.

ثم وليها في آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل، و كان المقدم عليه أميرا يعرف بالزاهد، و أقام أميرا بمكة يعرف بابن مجلى بميم ثم جيم (3).

ثم وليها في سنة إحدى و ثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، مع راجح بن قتادة (4).

ص: 271

1- 557. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 316 و ما بين حاصرتين منه.

2- 558. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 317.

3- 559. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 317.

4- 560. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 317.

أقول: لم يبين الفاسى من هو الملك المنصور، و هو عمر الرسولى، لأنه بعد أن بويع بالسلطنة لقب بالمنصور. انتهى.

ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفرييل(1)- بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مثناة تحتية ثم لام- وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكريا كبيرا فيه ألف فارس، وقيل تسعمائة، وقيل خمسمائة و خمسة أمراء مقدمهم جفرييل المذكور، واستمرت ولاية جفرييل على مكة إلى سنة خمس و ثلاثين و ستمائة(2).

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن فى هذه السنة و سار إليها بنفسه و دخلها فى رجب، بعد أن هرب جفرييل و من معه، و كان مع المنصور ألف فارس، و دامت ولايته إلى سنة سبع و ثلاثين- بتقديم السين- ورتب بمكة مائة و خمسين فارسا، و جعل عليهم أميرين: ابن الوليد و ابن التّعزى(3).

ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر، لأنه جهز إليها جيشا ألف فارس معهم الشريف شيهه- بشين معجمة مكسورة ثم مثناة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الوقف- صاحب المدينة الشريفة، فاستولوا على مكة بغير قتال. و ذلك فى سنة سبع و ثلاثين(4).

ثم وليها عسكري الملك المنصور صاحب اليمن، و لما قدم العسكري المذكور هرب الشريف شيهه و من معه.

ثم وليها ثانيا عسكري الملك الصالح صاحب مصر فى سنة ثمان و ثلاثين.

و كان ممن وليها للملك الصالح الأمير شهاب الدين أحمد بن التركمانى.

ص: 272

1- 561. (1) و الذى فى السلوك للمقريزى 1/ 1/ 250 و 1/ 2/ 274: « جفرييل» و مثله لدى ابن فهد فى غاية المرام ج 1 ص 602.

2- 562. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 317.

3- 563. (3) و كذا لدى الخزرجى فى العقود اللؤلؤية ج 1 ص 62 و مثله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ج 3 ص 55، و غاية المرام ج

1 ص 603. و فى د: «ابن التغرى» و مثله لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

4- 564. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 318.

ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن، وذلك فى سنة تسع و ثلاثين، و سار بنفسه و دخل مكة فى رمضان بعد أن فارقها عسكر الملك الصالح خوفا منه، و دامت ولايته إلى أن مات، و أمر على مكة فى هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشَّالاح(1)، و ابن فيزور، و جعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة الحسنى بالوادى مساعدا لعسكره بعد أن استدعاه من ينبع و أحسن إليه، و استمر مملوكه الشلاح على نيابة مكة إلى سنة ست و أربعين و ستمائة(2).

ثم ولى فيها ابن المسيب و عزل الشلاح.

ثم ولى مكة الشريف أبو سعد [حسن] بن على بن قتادة، بعد أن قبض على ابن المسيب فى ذى القعدة، و قيل فى شوال سنة سبع و أربعين- بتقديم السين- و استمر على مكة إلى أن قتل فى أوائل شعبان سنة إحدى و خمسين و ستمائة، و قيل فى رمضان(3).

ثم وليها بعد قتله جماز بن حسن بن قتادة، و هو أحد قتلة أبى سعد، و دامت ولايته آخر يوم من ذى الحجة سنة إحدى و خمسين.

ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الذى كان يليها مع عسكر صاحب اليمن، و استمر متوليا إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين و خمسين و ستمائة(4).

ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح و استمر إلى شوال من السنة المذكورة.

ثم وليها عمه إدريس بن قتادة و أبو نمى بن أبى سعد بن على بن قتادة، و استمرت ولايتهما(5) إلى الخامس و العشرين من ذى القعدة سنة اثنتين و خمسين.

ثم وليها المبارز على بن الحسن بن برطاس- بموحدة ثم راء و طاء مهملتين فألف فسين مهمة- من قبل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن، لأنه جهز ابن برطاس

ص: 273

1- 565. (1) فى المطبوع: «الشلاح» بالسين المهملة، و المثبت رواية الفاسى الذى ينقل عنه المصنف، و مثلها لدى ابن فهد فى غاية المرام ج 1 ص 605.

2- 566. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 318.

3- 567. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 319 و ما بين حاصرتين منه.

4- 568. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 319.

5- 569. (5) فى المطبوع: «ولايتها».

المذكور إلى مكة في عسكر و مائتي فارس فتحارب هو وإدريس وأبو نمى و من معهما، فكان الظفر لابن برطاس، فاستمر على مكة إلى يوم السبت لأربع بقين من المحرم سنة ثلاث و خمسين و ستمائة(1).

فوقع الحرب بين ابن برطاس و الأمير ابن ادريس و أبى(2) نمى فى الشهر المذكور و سفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام و أسر ابن برطاس ففدى نفسه ثم خرج بمن معه من مكة و استمر الشريفان على مكة(3).

ثم انفرد أبو نمى بالولاية فى سنة أربع و خمسين لذهاب عمه إدريس إلى أخيه راجح ابن قتادة، ثم عاد إدريس لمشاركة أبى نمى(4).

ثم ولى مكة أولاد حسن بن قتادة و أقاموا ستة أيام، و قبضوا على إدريس، ثم جاء أبو نمى و أخرجه منها و لم يقتل منهم أحدا، و استمر أبو نمى و إدريس شريكين فى الإمرة إلى سبع و ستين- بتقديم السين- و ستمائة(5).

ثم انفرد أبو نمى بالإمرة مدة يسيرة فى هذه السنة، ثم عاد شريكا لإدريس فى سنتهما هذه، و استمرت ولايتهما إلى ربيع الأول سنة تسع و ستين و ستمائة- بتقديم المثناة الفوقية.

ثم انفرد فيها إدريس نحو أربعين يوما ثم قتل فى السنة المذكورة بخليص(6). فولىها أبو نمى، و استمر إلى سنة سبعين و ستمائة بتقديم السين(7).

ثم وليها فى هذه السنة فى صفر الشريف جماز بن شبحه صاحب المدينة و غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد أبو نمى إلى ولايتها بعد أربعين يوما من سنة سبعين.

أقول: مقتضى هذا الكلام أن ولاية جماز و غانم المذكورين إنما هى أيام يسيرة، إما

ص: 274

1- 570. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 319.

2- 571. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «ابن».

3- 572. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 319.

4- 573. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 320.

5- 574. (5) شفاء الغرام ج 2 ص 320.

6- 575. (6) خليص: قرية قريبة من مكة فى طريق المدينة المنورة.

7- 576. (7) شفاء الغرام ج 2 ص 320.

عشرة أو أقل، لأن أبا نمي كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة، وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير أنها عشرة أيام أول يوم من صفر سنة سبعين، وإلا كانت أقل ويكون عود أبي نمي في الحادى عشر من صفر من السنة لأنه بعد أربعين يوما والله الموفق.

واستمر أبو نمي على مكة في عودة هذا بعد أن أخرج جمازا وغانما إلى سنة سبع وثمانين وستمائة- بتقديم السين- ثم عاد جماز بن شيحه المذكور إلى ولاية مكة في أواخر هذه السنة وأقام مدة يسيرة ثم عاد أبو نمي واستمر إلى قبل وفاته بيومين. فعهد إلى ابنه حميضة ورميثة بالإمرة بعده، وكانت وفاته في يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة فكانت إمرته على مكة شريكا ومستقلا نحو خمسين سنة، واستقلاله بالإمرة يزيد على ثلاثين سنة شيئا يسيرا.

وكان ممن ولى مكة في ولاية أبي نمي وإدريس من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر، أمير يقال له شمس الدين مروان، وذلك بسؤال أبي نمي وعمه في ذلك ليرجع أمرهما إليه، وكان ذلك في سنة سبع وستين وستمائة(1).

وفيها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك في سنة ثمان وستين وستمائة.

ثم وليها بعد موت أبي نمي ابنه حميضة ورميثة المذكوران وذلك في سنة إحدى وسبعمائة في صفر منها، واستمر إلى موسمها فقبض عليها.

ثم وليها عوضهما أخوهما أبو الغيث وعطيفة وقيل بل محمد بن إدريس بن قتادة عوض عطيفة، وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس الجاشنكير- بجيم ثم ألف نشين معجمة فنون ثم كاف و مثناة تحتية وراء مهملة- الذى ولى السلطنة بعد ذلك بمصر في سنة ثمان وسبعمائة. وكان فعله هذا تأديبا لحميضة ورميثة لإساءتهما إلى أخويهما أبي الغيث وعطيفة.

ثم عاد حميضة ورميثة إلى إمرة مكة في سنة ثلاث وسبعمائة وقيل فى التى بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمر متولين إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة(2).

ص: 275

1- 577. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 321.

2- 578. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 322.

ثم وليها أبو الغيث بن أبي نَمِيٍّ من قبل الملك الناصر أيضا فحاربه حميضة فظفر بأبي الغيث فقتله واستمر على مكة إلى شعبان سنة خمس عشرة و سبعمائة(1).

ثم وليها رميثة في السنة المذكورة من الناصر، واستمر إلى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول ثمان عشرة(2).

ثم وليها حميضة واستمر إلى أوائل سنة تسع عشرة.

ثم وليها عطيفة بن أبي نَمِيٍّ من قبل الملك الناصر، و دامت ولايته على مكة إلى أوائل سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة، غير أن أخاه رميثة في بعض السنين المذكورة شاركه في الإمرة، ثم انفرد رميثة بالإمرة وذلك في ربيع الآخر أو جمادى من سنة إحدى و ثلاثين، واستمر إلى سنة أربع و ثلاثين، ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال، ثم انفرد رميثة أيضا بالإمرة في سنة أربع و ثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر إلى موسم سنة خمس و ثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته في هذا التاريخ واستمر إلى أثناء سنة ست و ثلاثين، فحصلت بينهما منافرة، فانفرد عطيفة بمكة و أقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا في سنة سبع و ثلاثين بتقديم بالسين.

ثم انفرد رميثة في هذه السنة بالإمرة واستمر إلى سنة ست و أربعين و سبعمائة.

ثم وليها عجلان بن رميثة بمفرده من قبل الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم من أخيه الكامل شعبان، وذلك بعد وصول عجلان إلى القاهرة، فعاد متوليا في شهر جمادى الآخرة سنة ست و أربعين في حياة أبيه، ثم مات أبوه في ذى القعدة من هذه السنة واستمر إلى سنة ثمان و أربعين(3).

ثم وليها معه أخوه ثقبه(4) و دامت ولايتهما إلى سنة خمسين و سبعمائة.

ثم استقل ثقبه بالإمرة في سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر.

ثم وليها عجلان في خامس شوال سنة خمسين، واستمر إلى موسم سنة اثنتين و خمسين.

ص: 276

1- 579. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 322.

2- 580. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 322.

3- 581. (3) شفاء الغرام ج 2 ص 324.

4- 582. (4) تحرف في المطبوع إلى: «تقية».

ثم وليها ثقبه بمفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان، ثم اتفقا على المشاركة، ثم استقل ثقبه بالإمرة في أثناء سنة ثلاث و خمسين بعد أن قبض على أخيه عجلان واستمر إلى أن قبض عليه في موسم سنة أربع و خمسين.

ثم وليها أخوه عجلان بمفرده واستمر إلى تاسع عشر المحرم من سنة سبع و خمسين بتقديم السنين.

ثم انفرد ثقبه بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة، ثم اشتركا في الإمرة في موسم سنة ثمان و خمسين واستمرا إلى أن عزلا في أثناء سنة ستين و سبعمائة.

ثم وليها أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبي ندى، وكان محمد بمصر فوصل بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة ستين، واستمر إلى سنة إحدى و ستين و سبعمائة، فزالت ولاية محمد بن عطيفة.

ثم اشترك ثقبه مع أخيه سند في الإمرة إلى أن كان شهر شوال سنة اثنتين و ستين و سبعمائة.

ثم ولي مكة في هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر، فأطلق وأخوه ثقبه بسؤال السيد عجلان له في ذلك، ثم خرج عجلان من مصر وكان ثقبه مريضا، فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات ثقبه في شهر شوال سنة اثنتين و ستين، فاشترك معه ابنه أحمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه في خاصة نفسه، وعلى عجلان كفاية العسكر. ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابن أحمد إلى سنة أربع و سبعين.

ثم انفرد أحمد بن عجلان بالإمرة بسؤال أبيه عجلان له بشروط شرطهما عليه أبوه، منها: أن لا يقطع (1) اسمه في الخطبة و الدعاء على زمزم إلى غير ذلك فوفى له أحمد بذلك (2).

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى سنة ثمانين و سبعمائة، ثم وليها معه ابنه محمد بن

ص: 277

1- 583. (1) تحرف في المطبوع إلى: «أن لا يقع».

2- 584. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 326.

أحمد بسؤال أبيه و لم يظهر لولايته أثر لصغره و استبداد والده بالأمر، و استمر إلى أن مات أحمد بن عجلان في حادى عشرى شعبان سنة ثمان و ثمانين(1).

ثم استقل محمد بالإمرة إلى أن فاز بالشهادة فى مستهل شهر ذى الحجة من هذه السنة، و سببه أنه حضر لخدمة المحمل فى يوم العرضة على العادة، و كان عمه كبيش أشار إليه بعدم الحضور لأنه كان مدبر أموره فلم يسمع منه فقتل، و كان أمر الله قدرا مقدورا.

ثم وليها بعد قتل محمد: عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نتمى، و أشرك معه فى الإمرة بنى عمه: أحمد بن ثقبه و عقيل بن مبارك بن رميثة، و أخاه على بن مبارك و كان يدعى لهؤلاء الثلاثة معه على زمزم، و استمر عنان و شركاؤه إلى شهر شعبان تسع و ثمانين و سبعمائة فبلغ السلطان ما حصل من الفتن و عدم الأمن بسبب تخييط كبيش على عنان، فعزل عنانا فى هذا التاريخ(2).

ثم وليها بعد عزله على بن عجلان، فلم يمكنه عنان من مكة، فاجتمع آل عجلان و معهم كبيش و اقتتلوا، فقتل كبيش و غيره، و انهزم على بن عجلان و توجه إلى مصر، و دخل عنان مكة و استولى عليها إلى موسم سنة تسع و ثمانين.

ثم عاد على بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل، فلم يحضره خشية من آل عجلان، ثم سافر إلى مصر فى أثناء سنة تسعين فانفرد على بن عجلان بالامرة إلى أثناء سنة اثنتين و تسعين، ثم شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق، و كان الشرفاء مع على و القواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغي، و استمر كذلك إلى الرابع و العشرين من صفر سنة أربع و تسعين و سبعمائة.

ثم انفرد بها على بن عجلان، ثم استدعاه السلطان هو و عنانا للحضور إلى مصر فتوجه عنان أولا ثم لحقه على و ترك على مكة عوضه أخاه محمد بن عجلان، ثم عاد على إلى مكة فى موسم سنة أربع و تسعين منفردا بولاية مكة و استمر إلى أن استشهد فى تاسع شوال سنة سبع- بتقديم السين- و تسعين، و كان فى غالب ولايته مقلوبا مع الأشراف، و أفضى الحال إلى أن قل الأمان بمكة و نواحيها و هربت التجار إلى ينبع، و لحق أهل مكة

ص: 278

1- 585. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 327.

2- 586. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 327.

بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد واستمر إلى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة.

ثم ولى مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصر سنة سبع وتسعين، فاعتقله السلطان، فلما قتل أخوه أطلقه وأنعم عليه بولاية مكة فقدم مكة فى السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد، وأخذ بثأر أخيه على من الأشراف فى الحرب الذى كان بالزبارة(1) بوادى مرّ فى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال من السنة المتقدمة، وكان عدة من قتل من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا، ولم يقتل من جماعة السيد حسن إلا واحد أو اثنان(2).

واستمر السيد حسن منفردا بالولاية إلى سنة تسع- بتقديم المئنة- وثمانمئة، ثم أشرك معه فى الإمرة ابنه السيد بركات، واستمر إلى أثناء سنة إحدى عشرة وثمانمئة، ثم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن فى أن يكون شريكا لأخيه السيد بركات وتكون الإمرة بينهما فأجيب إلى ذلك.

ولى السيد حسن نيابه السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وصار يدعى له فى الخطبة بمكة وعلى زمزم، ودامت ولايتهم إلى أثناء صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمئة.

ثم ولى ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة، ولم يصل إلى مكة إلا فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة، واستمر متوليا إلى ثامن رمضان سنة تسع عشرة.

ثم عاد السيد حسن بن عجلان لإمرة مكة بمفرده دون ولديه، فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن، وكان الظفر لعسكر السيد حسن، واستمر السيد حسن متوليا إلى أول سنة أربع وعشرين وثمانمئة.

ص: 279

1- 587. (1) الزبارة: قرية لبنى عمير فى واد مر. تقع بعد التقاء النخلتين، وعندهما أخذ الوادى اسمها. وقد تحرف فى المطبوع إلى «الزيارة» بالياء، وهو تحريف قبيح. صوابه من: د و غاية المرام ج 2 ص 253.

2- 588. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 329.

ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد صاحب مصر، ودامت ولايتهما إلى أوائل سبع- بتقديم
السين- وعشرين وثمانمائة.

ثم ولي مكة السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسنى بمفرده، بولاية من قبل الملك الأشرف برسباى، وكان بمصر فقدم مكة صحبة
العسكر الأشرفى واستمر متوليا إلى أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين(1).

ثم أعاد الأشرف برسباى: السيد حسن إلى إمرة مكة ورضى عنه، وتوجه السيد حسن بعد انقضاء الحج إلى مصر، فنال من السلطان إكراما
كثيرا وأقره على إمرة مكة، واستمر بمصر إلى أن مرض بها وتوفى فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان
تجهز للسفر إلى مكة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته(2).

ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد وفاة أبيه، وكان السلطان قد استدعاه إلى مصر، فقدم عليه فى ثالث رمضان، ففوض إليه إمرة مكة عوضا
عن أبيه فى السادس والعشرين من رمضان المذكور واستمر أخوه السيد إبراهيم نائبا عنه، ولبس خلعة النيابة بمصر ثم توجه السيد بركات
إلى مكة فوصلها فى أوائل العشر الأوسط من ذى القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسى فى شأن أمراء مكة.

ثم قال رحمه الله ما صورته: هذا ما علمناه من خبر ولاية مكة فى الإسلام، وقد أو عينا فى تحصيل ذلك الاجتهاد، و ما ذكرناه من ذلك غير
واف بكل المراد، لأنه خفى علينا جماعة من ولاية مكة، و خصوصا ولايتها من زمن المعتضد إلى ابتداء ولاية الأشراف فى آخر خلافة المطيع
العباسى و خفى علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم و تاريخ انتهائها، و مع ذلك فهذا الذى ذكرناه من ولاية مكة ليس له فى كتاب
نظير، و الذى لم نذكره من الولاية هو اليسير، و سبب الإقلال(3) فى ذلك و التقصير، أنا لم نر مؤلفا فى هذا المعنى فنستضىء به لعدم
العناية بتدوين ذلك(4). انتهى كلامه.

ص: 280

1- 589. (1) شفاء الغرام ج 2 ص 334.

2- 590. (2) شفاء الغرام ج 2 ص 334.

3- 591. (3) فى الأصلين: «الإخلال» و المثبت رواية الفاسى.

4- 592. (4) شفاء الغرام ج 2 ص 335.

و استمر السيد بركات بعد موت الفاسى على ولاية مكة إلى أثناء سنة خمس وأربعين و ثمانمائة، فعزل عن ذلك.

ثم وليها أخوه السيد على بن حسن(1)، و كان بالقاهرة، فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان، و استمر متوليا إلى رابع شوال سنة ست و أربعين، فقبض عليه و على أخيه إبراهيم.

ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن، فقدم من مصر متوليا، و دخل مكة فى يوم السبت السابع و العشرين من ذى القعدة سنة ست و أربعين و ثمانمائة، و استمر على ولايته إلى أوائل سنة خمسين، فعزل.

ثم أعيد السيد بركات بن حسن إلى ولاية مكة، و دامت ولايته إلى أن مرض و توعك بدنه و ذلك سنة تسع و خمسين- بتقديم المثناة الفوقية- و ثمانمائة، فسأل نائب جده الأمير جانبك الظاهرى(2) بأن يرسل إلى السلطان يسأله فى ولاية إمرة مكة لولده السيد محمد عوضا عن أبيه، فأجاب السلطان إلى ذلك، فقبل وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع و خمسين بأرض خالد بوادى مر، و حمل على أعناق الرجال إلى مكة، و دفن بها فى صبح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان.

فلما كان عصر اليوم المذكور، وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد إمرة مكة، فدعى له على زمزم بعد المغرب من ليلة الأربعاء حادى عشر شعبان.

ثم وصل السيد محمد إلى مكة ليلة الجمعة سابع رمضان، و قرئ مرسومه فى صباحها.

ثم كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل إلى السيد محمد كتاب من السلطان بالعزاء فى والده، و توقيع باستمراره فى الإمرة مؤرخ بشهر رمضان، و استمر السيد محمد رحمه الله على ولاية مكة، و دانت له البلاد، و أطاعه العباد، و أظهر العدل و الإحسان

ص: 281

1- 593. (1) انظر فى السيد على بن حسن: غاية المرام ج 2 ص 487.

2- 594. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «الظاهرى» بالطاء المهملة. و صوابه من: د و ابن فهد فى غاية المرام.

و الشفقة و الرأفة على الرعية و الالتفات فى أمور المسلمين و عدم الغفلة عن ذلك فبسبب ذلك طالت مدته و حمدت سيرته و طابت سريرته، و كانت مدة ولايته ثلاثا و أربعين سنة و نصف سنة إلا خمسة أيام أو نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على عواندهم، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى فى الحادى و العشرين من شهر المحرم الحرام سنة ثلاث و تسعمائة بوادى الابهار، و حمل إلى مكة و دفن بها.

ثم وليها بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى ربيع الآخر من سنة ثلاث، و استمر على ولايتها إلى أن كان موسم سنة ست و تسعمائة.

فوليها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه و بين أخيه السيد بركات فى الموسم المذكور بمحل يقال له وادى الجموم(1) بمر الظهران، فانهزم السيد بركات، و دخل السيد هزاع مكة و حج بالناس، ثم خرج منها بعد انقضاء الحج إلى ينبع خوفا من أخيه بركات لقلّة عسكره، فعاد السيد بركات إلى مكة، و استمر بها إلى جمادى الثانية عام سبع - بتقديم السين - و تسعمائة، فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم و تحارب هو و أخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقاء(2) فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد هزاع ثانيا، و استمر إلى خامس عشر رجب ثم توفى إلى رحمة الله تعالى(3).

ثم عاد السيد بركات إلى مكة، و استمرت الفتن و الشرور بينه و بين أخيه السيد أحمد جازان و تحاربا مرارا، و كان ابتداء ذلك من أواخر ذى الحجة عام سبع و تسعمائة، إلى أن كان يوم السبت الخامس و العشرين من شهر شوال عام ثمان و تسعمائة، فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى إبراهيم و غيرهم، و وقع الحرب بينه و بين أخيه السيد بركات، فانهزم السيد بركات.

ثم وليها السيد جازان و دخل مكة فى يوم السبت المذكور، و نهب عسكره مكة و فعلوا أفعالا قبيحة، و انتهكوا حرمة البيت، و جرى منهم على مكة و أهلها أمور شنيعة ليس هذا

ص: 282

1- 595. (1) منائح الكرام ج 3 ص 105.

2- 596. (2) تحرف فى المطبوع إلى: «البرفاء» بالفاء، و صوابه من: د، و منائح الكرم ج 3 ص 110.

3- 597. (3) منائح الكرم ج 3 ص 110-111.

محل ذكرها ولا نحن بصددنا، واستمر السيد جازان بمكة إلى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة، فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغورى، وباشتها الأمير الكبير المعروف ببيت الرّجبيّ - بالجيم ثم الموحدة- بسبب ما فعله السيد جازان من نهب مكة، ونهب الحاج الشامى والمصرى، فخرج من مكة هاربا.

فعاد السيد بركات إلى مكة وواجه أمير التجريدة، فقبض عليه وتوجه به إلى القاهرة فى أوائل سنة تسع وتسعمائة.

ثم عاد السيد جازان إلى مكة، واستمر بها إلى يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع، فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف.

ثم وليها بعده السيد حميضة بن محمد، واستمر إلى أواخر المحرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة، فعزل.

ثم وليها أخوه السيد قايتباى بن محمد بإشارة من أخيه السيد بركات، واستمر متوليا موافقا لأخيه السيد بركات مستضيئا برأيه إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى يوم الأحد الحادى والعشرين من صفر عام ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادى مر، وحمل إلى مكة ودفن بها.

ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة إلى شهر شعبان من هذه السنة. ثم أرسل ولده مولانا السيد أبانمى بن بركات إلى الديار المصرية، فوصلها وقابل السلطان قانصوه الغورى، فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بإمرة مكة، ثم عاد إليها شريكا لأبيه، وكان وصوله فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدي الحاج من السنة المذكورة، واستمر كذلك إلى أن كان عام ثلاث وعشرين فاستولى مولانا الخنكار(1) الأعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين، وجهاز قاصدا إلى مكة للسيد بركات والسيد أبى نمى باستقرارهما على إمرة مكة، فتجهز حينئذ مولانا السيد أبونمى وسافر إلى القاهرة، وقابل السلطان فأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على إمرة مكة.

ثم عاد إلى مكة، واستمر شريكا لأبيه إلى أن أذن الله بوفاة مولانا السيد بركات فى

ص: 283

1-598. (1) الخنكار: أحد ألقاب السلطان العثماني، وتعنى: مبدع العالم.

أثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام أحد و ثلاثين و تسعمائة رحمه الله وأسكنه جنته.

ثم وليها بعده ابنه السيد أبو ندى أدام الله أيامه بمفرده، و وصلت الأحكام الخنكارية السليمانية بولايته لإمرة مكة فى أواخر سنة اثنتين و ثلاثين و تسعمائة، فطمأنت به الخواطر، و قرت النواظر، و استمر أدامه الله و متع المسلمين بحياته منفردا بالولاية إلى عام ست و أربعين و تسعمائة.

ثم وليها ابنه مولانا السيد أحمد شريكا لوالده فى هذا العام بعد وصوله إلى الديار الرومية و مقابلته لمولانا الخنكار الأعظم و الخاقان الأكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه و أدام أيامه، فقوبل بالإكرام و الرعاية و الاحترام، و عاد إلى مكة فى أول ربيع الأول عام سبع و أربعين و تسعمائة، و استمر شريكا لوالده مولانا السيد أبى ندى إلى عامنا هذا، و هو عام خمسين و تسعمائة، متع الله بحياتهما و أدام أيامهما و خلدهما خلود الدهر و أمدهما بالتأييد و النصر آمين.

هذا ما وقفت عليه فى ذكر أمراء مكة من عهد النبى صلى الله عليه و سلم إلى يومنا هذا و الله تعالى أعلم.

نسأل الله حسن الخاتمة في ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى و حرمتها وضواحيها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك أما المواليد فمنها وهو أجلها: مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبدأ به وهو بمكة في المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبي صلى الله عليه وسلم (1).

وكان عقيل بن أبي طالب قد استولى عليه زمن الهجرة، وفيه وفي غيره أشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حجة الوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل، ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفي أخى الحجاج، فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفين موسى الهادي العباسي وأخيه هارون الرشيد، فأخرجته وجعلته مسجدا يصلى فيه (2). (3)

الجامع اللطيف؛ ص 285

كون هذا المكان مولده صلى الله عليه وسلم مشهور متوارث يآثره الخلف عن السلف، و جرت العادة بمكة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام أن قاضي مكة الشافعي يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب في جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء، وذوى البيوت بفوانيس كثيرة، وشموع عظيمة وزحام عظيم، ويدعى فيه للسلطان ولأمير مكة، وللقاضي الشافعي بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام، ثم يعود منه إلى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة الفراشين، ويدعو الداعي لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء، ثم يصلون العشاء وينصرفون.

ص: 285

1- 599. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 431.

2- 600. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 198، شفاء الغرام ج 1 ص 431.

3- 601. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

و لم أفق على أول من سن ذلك، و سألت مؤرخى العصر فلم أجد عندهم علما بذلك.

و من فضائل هذا المحل المبارك ما نقله الأزرقى عن من كان ساكنا به قبل أن تخرجه الخيزران أنه قال: و الله لم يصبنا فيه منذ سكناه لا جائحة و لا حاجة حتى خرجنا منه فاشتد علينا الزمان(1). انتهى بمعناه.

و قد ذكر السهيلي أنه صلى الله عليه و سلم ولد بالشعب، و قيل بالدار التى عند الصفا التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت(2). انتهى. و هو غريب.

و نقل مغلطاي فى «سيرته» ما ذكره السهيلي، ثم قال و يقال ولد بالردم، و يقال بعسفان. انتهى بمعناه(3). و هو أغرب.

و المراد بالردم: ردم بنى جمح لا الذى بأعلى مكة لأن ذلك لم يكن إلا فى زمن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. و يعرف الآن بالمدعى و نسبة الأول لبني جمح هو أنهم قتلوا و ردم عليهم التراب هنالك(4). و لم أفق على تعيين محله بمكة و لا- رأيت من ذكره، و المعروف المشهور فى مولده صلى الله عليه و سلم هو الأول الذى بسوق الليل، و لا اختلاف فيه عند أهل مكة.

و منها: مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و رضى عنها، و هو فى دار أمها خديجة رضى الله عنها بمكة فى الزقاق المعروف بزقاق الحجر. و سماها الطبرى دار خزيمة بمعجمتين(5).

قال الأزرقى: و هذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه و سلم مع خديجة، و فيها ابنتى بها، و ولدت جميع أولادها، و توفيت بها، و لم يزل النبي صلى الله عليه و سلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة، فاستولى عليها عقيل بن أبى طالب، ثم اشتراها منه معاوية و هو خليفة فجعلاها

ص: 286

1- 602. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 199.

2- 603. (2) الروض الأنف ج 1 ص 184.

3- 604. (3) الإشارة إلى سيرة المصطفى ورقة 4.

4- 605. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 432، الزهور المقتطفة ص 156.

5- 606. (5) القرى لقاصد أم القرى ص 664.

مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبيه أبي سفيان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن (1). انتهى.

وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة، و موضع مسقط رأسها معروف فيها، قال الفاسي رحمه الله: ولا ريب في كون فاطمة رضي الله عنها ولدت في هذه الدار (2). انتهى.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لها قبة الوحي وإلى جنبها موضع يزوره الناس يسمى المختبأ زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك.

قال الأزرقى: سألت جدي ويوسف بن محمد بن إبراهيم وغيرهما من أهل العلم بمكة عن ذلك فأنكروه. انتهى. و دار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، قاله المحب الطبري (3).

ومنها: مولد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو بالمحل المعروف بشعب علي وهو مقابل لمولد النبي صلى الله عليه وسلم من أعلاه مما يلي الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلى باب حجر مكتوب عليه: هذا مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و في هذا المحل تربي رسول الله صلى الله عليه وسلم (4). و في هذا المحل موضع كالتنور يقال إنه مسقط رأسه رضي الله عنه. ونقل الجدي عن سعد الدين الإسفرايني أن في جدار هذا المحل بالزاوية حجرا يقال إنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن مولد سيدنا علي رضي الله عنه في جوف الكعبة.

وضعه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات».

ومنها: فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بأسفل مكة على طريق الذهاب إلى بركة الماكن بالنون وأهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ. قال الفاسي رحمه الله: ولم أر شيئا يدل بصحة ذلك، بل في صحته نظر، لأن هذا الموضوع ليس محلا لبني هاشم والله أعلم (5). انتهى.

ومنها: غار لطيف في أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير بن يس

ص: 287

1- 607. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 199.

2- 608. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 434.

3- 609. (3) القرى لقاصد أم القرى ص 664.

4- 610. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 434.

5- 611. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 435.

الحضرمي المعروف عند أهل مكة بجبل النوبي أسفل مكة و يسمى ثبير الزنج، كما سيأتي.

يقال: إن سيدنا عمر بن الخطاب ولد به. قال الفاسي: ولا أعلم في ذلك شيئا يستأنس فيه إلا أنّ جدّي لأمتي (1) القاضي أبا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول في كل سنة في الغالب، والله أعلم بحقيقة ذلك (2).

ومنها: موضع بالدار المعروفة بدار أبي سعيد و تعرف أيضا بدار الدقوقي - بقافين بينهما واو- بالقرب من دار العجلة، يقال له مولد جعفر الصادق. و نقل الفاسي رحمه الله: أن علي بابة حجرا مكتوبا عليه: هذا مولد جعفر الصادق و دخله النبي صلى الله عليه و سلم ثم قال: و يقال له: جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، و الله أعلم بحقيقة ذلك (3). انتهى.

ذكر الدور المباركة

ومنها: دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه و هي بزقاق الحجر معروف عند أهل مكة، و علي بابها حجر مكتوب فيه: هذه دار صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم في الغار و رفيقه في الأسفار أبي بكر الصديق (4).

و تسمى أيضا بدار أبي بكر، يقال: إنه كان يبيع فيه الخبز، و أسلم فيه جمع من الصحابة، منهم: علي و عثمان و طلحة و الزبير. و في جدار هذا المكان أثر مرفق النبي صلى الله عليه و سلم و لهذا يسمى بزقاق المرفق أيضا.

و يقابل هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس بلمسه، يقال: إنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه و سلم كلما اجتاز عليه. قال الفاسي رحمه الله: و هذا الحجر إن صح سلامه على النبي صلى الله عليه و سلم، فلعله المعنى بقوله صلى الله عليه و سلم: إنني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على ليالي بعثت (5).

ص: 288

1-612. (1) تحرف في المطبوع إلى: «لاقي» و صوابه لدى الفاسي الذي ينقل عنه المصنف.

2-613. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 435.

3-614. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 436.

4-615. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 438.

5-616. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 439، و الحديث أخرجه مسلم رقم 2277 في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه و سلم و تسليم الحجر عليه قبل النبوة.

وفى «الشفاء» قيل: إنه الحجر الأسود، واستبعده المحب الطبرى.

ومنها: دار خديجة زوج النبی صلی اللہ علیہ وسلم، وهى التى يقال لها مولد فاطمة. وقد تقدم الكلام عليها آنفاً وبيان محلها مستوفى، و إنما ذكرتها هنا ليعلم أنها من جملة الدور المباركة، وإنما غلب عليها اسم المولد واشتهرت به.

ومنها: دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفاء، والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها، لأن النبی صلی اللہ علیہ وسلم كان مستترا فيه فى مبدأ الإسلام، وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما. ومنه ظهر الإسلام، وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير. وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدي العباسى المتقدمة آنفاً(1).

أقول: ولعله لهذا السبب نسبت الدار إليها واللّه أعلم. انتهى.

ومنها: دار العباس بن عبد المطلب رضی اللہ عنه التى هى الآن رباط للفقراء بالمسعى المعظم، وفى جدارها أحد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى(2).

ومنها: الموضع المعروف برباط الموفق، واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة لسكناهم به، وهو أسفل مكة عند سوق باب إبراهيم. قال الفاسى رحمه اللّه: وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد اللّه الفاسى أنه سمع الشيخ أبى عبد اللّه بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول: ما وضعت يدي فى حلقة هذا الرباط إلا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده فى هذه الحلقة. ثم قال: وبلغنى أن الشيخ خليلا المالكى كان يقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر إتيانه للدعاء(3). واللّه أعلم انتهى.

ومنها: الموضع الذى يقال له معبد الجنيد بلحف الجبل الذى يقال له الأحمر، أحد أخشبي مكة. قال الفاسى رحمه اللّه: ويقال له الآن قعيقعان(4) و جبل أبى الحارث(5) أيضا. انتهى.

ص: 289

1- 617. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 440.

2- 618. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 440.

3- 619. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 440 و 441.

4- 620. (4) تحرف فى المطبوع إلى: «قعبقان» و صوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

5- 621. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 441.

و هو الآن مشهور عند أهل مكة بجبل جزل. ونقل الجدل أنه معبد إبراهيم بن أدهم على ما قيل، والله أعلم.

ذكر مساجد

وهي كثيرة، ذكرها من المتقدمين الأزرقى وغيره، وتبعه من المتأخرين الطبرى والفاسى وغيرهما. منها ما هو موجود معروف إلى يومنا هذا. ومنها ما هو دائل لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الأزرقى ثم تبعه الطبرى والفاسى ولم يبين أمرها فيتوهم أنها موجودة.

ومنها: ما ذكره الأزرقى والفاسى منفردا عن المساجد التي تقصد بالزيارة.

وقد رأيت أن أذكر أولا المساجد المعروفة إلى وقتنا هذا المستحب زيارتها، ثم أعقبها بالدائرة ثم أنه على ما ذكره منفردا، ثم أذكر ما لم يذكره الأزرقى والفاسى فأقول:

أما المساجد المعروفة فمنها مسجد بأعلى مكة عند الردم وهو المدعى، عرفه الطبرى بمسجد الراية(1)، ويعرف بذلك إلى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة أبى شامة، يقال: إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه كما نقله الأزرقى، وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بناه(2).

ومنها: مسجد بقرب المجزرة الكبيرة عند المدعى على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها ويقال: إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب، كما هو مكتوب بحجرين هنا.

ومنها: مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبى صلى الله عليه وسلم يقال له المختبأ يزوره الناس كثيرا فى شهر ربيع الأول كغيره من المحال التي تزار، قال الفاسى: ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئا من خبره(3).

ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان، وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الكفار وعزاه إلى كتاب «الكوكب المنير» لنصر الله.

ص: 290

1- 622. (1) القرى لقاصد أم القرى ص 664.

2- 623. (2) الزهور المقتطفة ص 153.

3- 624. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 419.

و منها: مسجد على جبل أبي قبيس يقال له مسجد إبراهيم، وليس المراد به الخليل عليه السلام، وإنما هو إبراهيم القبيسي، إنسان كان يسأل عنده. ذكره الأزرقى (1).

و منها: مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه: يقال: إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة (2)، ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن.

هذه المساجد التي بمكة و أما التي في خارجها فمنها: مسجد يقال له مسجد البيعة و مسجد الجن. قال الأزرقى: و يسميه أهل مكة مسجد الحرس، لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف حتى يتوافى عنده حرسه و عرفاؤه، فإنهم يأتونه من شعب ابن عامر و من ثنية المدنيين، فإذا توافوا رجع منحدرًا إلى مكة، و هو فيما يقال موضع الخط الذى خطه رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن مسعود ليلة اجتمع عليه الجن و بايعوه صلى الله عليه و سلم كما يقال (3) انتهى. و شهرته بمسجد الحرس مستمرة إلى وقتنا هذا.

و منها: مسجد يعرف بمسجد الإجابة، على يسار الذهاب إلى منى فى شعب بقر ثنية أذاخر، كذا عرفه الفاسى (4) رحمه الله. و هو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا، يقال إن النبي صلى الله عليه و سلم صلى فيه و الله أعلم.

ذكر المساجد التي فى منى و جهتها

إشارة

منها: مسجد يقال له مسجد البيعة و هى التي بايع فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير. و هو بقر العقبة التي هى حد منى من جهة مكة فى شعب على يسار الصاعد إلى منى (5).

و منها بمنى مسجد يقال له مسجد النحر، بين الجمرتين الأولى و الوسطى على يمين الذهاب إلى عرفة، يقال: إن النبي صلى الله عليه و سلم صلى فيه الضحى و نحر هديه عنده، كذا وجد فى حجر مكتوب فيه ذلك (6).

و منها: مسجد يقال له مسجد الكيش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير، و هو

ص: 291

1- 625. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 202.

2- 626. (2) الزهور المقتطفة ص 153.

3- 627. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 200.

4- 628. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 419.

5- 629. (5) الزهور المقتطفة ص 154.

6- 630. (6) الزهور المقتطفة ص 154.

مشهور. و المراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح إسماعيل أو إسحاق على الخلاف فى ذلك. و نقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى ما يقتضى أن الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين. و يؤيده ما أخرجه الطبرى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم نحر فى منح الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى(1). ثم بينه الطبرى فقال: و ذلك فى سفح الجبل المقابل له- يعنى ثبيراً- و أراد بذلك الموضع الذى عند مسجد النحر المتقدم آنفاً و الله أعلم بالحقائق.

و منها: مسجد عائشة رضى الله عنها و هو بسفح ثبير أيضاً فوق مسجد الكبش المذكور. و هو غار لطيف عليه بناء دائر و يسمى معتكف عائشة و بيت أم المؤمنين.

و منها: مسجد الخيف المشهور بمنى، و هو مسجد عظيم الفضل و قد وردت فى فضله أحاديث و آثار فمن ذلك ما أخرجه الطبرانى فى «معجمه الأوسط» عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف و المسجد الحرام، و مسجدى» و إسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ. و إنما ذكرته لغرابته و لجواز العمل به فى فضائل الأعمال كما ذكره النووى و غيره من علماء الحديث. و أخرج أيضاً فى «معجمه الكبير» عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال «صلى فى مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى» و كذا أخرجه الأزرقى أيضاً. و فى رواية عن مجاهد خمسة و سبعون نبياً، و عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: فى مسجد الخيف قبر سبعين نبياً(2).

و أما الآثار: فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب «القاموس» فى كتابه «الوصل و المنى فى بيان فضل منى» بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت. و أخرج الأزرقى عن أبى هريرة بلفظ: لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت. و فى آخر عنه أخرجه الجندى: لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى على سبت حتى أتى مسجد الخيف فأصلى فيه(3).

و أما تعيين مصلى النبى صلى الله عليه و سلم من مسجد الخيف فأخرج الأزرقى بسنده إلى جده أن

ص: 292

1- 631. (1) الزهور المقتطفة ص 154.

2- 632. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 423.

3- 633. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 424.

الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم (1). والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التي على الباب، والمحراب الذي في القبة هو موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم، لأنه في موضع الأحجار التي ذكرها الأزرقى (2).

كذا نقله الجدل رحمه الله.

ومنها: بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بالضبب- بمعجمة و موحدة- نقله الصغاني. وبالصفائح أيضا- بصاد مهملة آخره تحتية و مهملة- وقيل: الصابح- بمهملتين بينهما ألف و موحدة قاله الأزرقى- مسجد لطيف يمانى مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال إنه أثر رأس الرسول صلى الله عليه وسلم.

أخرج ابن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس، فصار الناس يبادرون بوضع رءوسهم في هذا الموضع تبركا واستجارة لرءوسهم بموضع مسه الرأس الكريم أن لا تمسها النار برحمة الله عز وجل (3). انتهى.

ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به إلى هذا الوقت وفي «صحيح البخارى (4)» فى باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود أنه قال «بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى إذ نزلت عليه وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا وَ إنه ليتلوها و إنى لأتلقاها من فيه و إن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقتلوها فابتدرناها فذهبت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقيت شركم كما وقيتم شرها».

فائدة: من عجيب الاتفاق أن الشيخ مجد الدين الشيرازى صاحب «القاموس» دخل إلى الغار فى جماعة أصحابه وقرأوا سورة المرسلات، فخرجت عليهم منه حية، فابتدروها ليقتلوها فهربت (5).

ومنها: مسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام، وهو مشهور لا يحتاج إلى مزيد بيان،

ص: 293

1- 634. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 1 ص 174.

2- 635. (2) رحلة ابن جبير ص 141.

3- 636. (2) رحلة ابن جبير ص 141.

4- 637. (3) ج 4 ص 29 فى الحج، باب ما يقتل من الدواب.

5- 638. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 452.

وعرفه الأزرقى بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام(1). و جزم به الرافعى والنوى، و خالف ابن جماعة، و قال ليس لذلك أصل، و تبعه الإسنى على ذلك، قال الفاسى: و فيه نظر لمخالفتها ما يقتضى كلام الأزرقى و هو عمدة فى هذا الشأن. انتهى(2).

و منها: مسجد التنعيم الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعد حجها عام حجة الوداع، و اختلف فيه، فقيل هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة(3) بشجرة كانت فيه.

قال الفاسى: و هو المتعارف عند أهل مكة و فيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، و قيل هو المسجد الذى يقربه بئر و هو بين هذا المسجد و بين المسجد الذى يقال له مسجد [على] بطريق وادى مرّ. و فى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها بما يشهد لذلك، و الخلاف قديم انتهى. و رجح الطبرى أنه الذى يقربه البئر(4).

فائدتان:

الأولى: إنما سمي هذا المحل التنعيم لأن على يمينه جبلا يقال له نعيم و عن يساره جبلا يقال له ناعم، و الوادى الذى بينهما نعمان كذا قيل.

الثانية: نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على أودية كثيرة لأعراب مكة و غيرهم. قال البغوى و غيره من المفسرين: إنه واد مقدس و فيه أخذ الله العهد.

و منها: مسجد الجعرانة، و هو الذى أحرم منه النبى صلى الله عليه و سلم بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة، و موضع إحرامه من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى.

أخرجه الأزرقى عن مجاهد رضى الله عنه. و كذا ذكره الواقدى أيضا. و اختلف فى إحرامه صلى الله عليه و سلم متى كان، و الراجح أنه ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة عام الفتح.

و الجعرانة بكسر الجيم و إسكان العين و تخفيف الراء و فتحها. و قيل بكسر الجيم و العين و فتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى «تهذيب الأسماء و اللغات»(5).

ص: 294

1- 639. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 202.

2- 640. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 486 و ما بعدها.

3- 641. (3) تحرف فى المطبوع إلى: «الهليجة» و صوابه لدى الفاسى الذى ينقل عنه المصنف.

4- 642. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 429 و ما بين حاصرتين منه.

5- 643. (5) ق 2 ج 1 ص 58 ولديه: «بكسر الجيم و إسكان العين و تخفيف الراء هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى و الأصمعى، و أهل اللغة و محققى المحدثين و غيرهم، و منهم من يكسر العين و يشدد الراء و هو قول أكثر المحدثين، قال صاحب مطالع الأنوار: أصحاب الحديث يشددونها، و أهل الإتقان و الأدب يخطئونهم و يخففون و كلاهما صواب».

الأولى: أخرج الجندى فى «فضائل مكة» بسنده إلى يوسف بن ماهك أنه قال: اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبى وكذا ذكره الفاكهى (1) أيضا.

الثانية: فى جهة الجعرانة ماء شديدة العذوبة يقال: إن النبى صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده المباركة، وقيل: إنه غرز فيه رمحه الميمون فنبع الماء من ذلك المحل فشرب منه النبى صلى الله عليه وسلم وسقى الناس أخرجه الفاكهى (2).

الثالثة: إنما سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رابطة- براء و طاء مهملتين بينهما مشناة تحتية- بنت كعب ولقبها جعرانة، وهى أم أسد بن عبد العزى. وعن ابن عباس رضى الله عنه إنما هى التى نزل فيها قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ (3) الآية (سورة النحل: 92).

ومنها: مسجد يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مرّ، وهو مشهور بهذا الاسم إلى هذا الزمان، يقال: إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم (4).

فهذه المساجد كلها معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها فى أوقات مخصوصة وبعضها مطلقا.

وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى ولم تعرف ولم تعرف الآن فخمسة مساجد:

الأول: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر المعروف الآن بشعب عامر- بدون لفظ ابن- وحرف دار رابغة فى أصله (5) كذا عرفه الأزرقى، ثم قال: إن عنده قرن مستقلة رجل (6) كان يسكن ثم فى الجاهلية، وأن النبى صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح (7) وهذا

ص: 295

1- 644. (1) أخبار مكة للفاكهى ج 5 ص 62.

2- 645. (2) أخبار مكة للفاكهى ج 5 ص 69.

3- 646. (3) الذى لدى الفاسى: «نزلت فى امرأة من قريش من بنى تيم بن مرة يقال لها: ربطة بنت كعب، ولقبها جعرانة، وهى أم أسد بن عبد العزى.

4- 647. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 430.

5- 648. (5) تحرف فى المطبوع إلى: «دار زائغة فى أصل» وهو تحريف قبيح صوابه لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

6- 649. (6) تحرف فى المطبوع إلى: «عنده قرنة مستقلة لرجل كان...» وصوابه لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

7- 650. (7) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 270-271.

المسجد لا يعرف الآن ولا يمكن حمله على مسجد البيعة المعروف بمسجد الحرس المتقدم. لأن الأزرقى قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد.

الثانى: مسجد بأجياد، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك فى موضع منه. قال الأزرقى:

إن أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلى بأجياد الصغير(1)، ولا يوقف على موضع مصلاه أيضا تحقيقا بل حدسا بغير أصل.

الثالث: مسجد بأعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة، قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت فى هذا المسجد فأقبلت إليه فسألها عن شىء ثم أمرها بالرجوع فرجعت إلى موضعها(2). وقد دثر.

الرابع: مسجد بذى طوى فى علو مكة بين الثنتين اللتين يدخل منهما الحاج، يقال:

إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثم. ذكره الأزرقى وأفاد أن زبيدة بنته(3).

الخامس: مسجد السرر، قال الأزرقى: وهو الذى يسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن على لكونه بناء(4).

وسياتى ذكر وادى السرر، وهو بمنى فى شرقها ذكره صاحب «القاموس» كما ستقف عليه قريبا إن شاء الله تعالى، غير أن تعيين محله يقينا لا يوقف عليه الآن بل جهته.

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد إبراهيم، وليس بمسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام. كذا عرفه الأزرقى(5). ولم يبين ما المراد بإبراهيم الذى ينسب إليه. فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن.

وأما ما ذكر من المساجد منفردا، ولم يتعرض لاستحباب زيارتها، فمسجدان:

الأول: مسجد عرفة المعروف الآن بمسجد نمرة الذى يصلى فيه الإمام. ذكره الأزرقى وأفرده عن المساجد التى يستحب زيارتها. ولم يصب، بل هو أولى أن يعد من جملتها لأن

ص: 296

1- 651. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 202.

2- 652. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 201.

3- 653. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 203.

4- 654. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 202.

5- 655. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 202.

العلة في ذلك إنما هو التبرك، وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لا يشك فيها، وكم صلى فيه من حجاج الصحابة، والتابعين والعلماء والأولياء والسادات، لأن كون هذا المحل مصلى الإمام مما يؤثره الخلف عن السلف، وإذا كان كذلك فيبعد أن يتركه الأختيار ويصلون في غيره، فكان عده من جملة المساجد المستحب زيارتها أولى، ولهذا ذكرته و عددته من جملتها.

الثاني: مسجد فوق العمرة المعروفة بالتنعيم إلى جهة وادي مرّ على يمين الذهاب إليه، ويعرف بمسجد عليّ. ذكره الفاسي ضمنا عند ذكره لمسجد التنعيم(1). وقد مر كلامه، ولم يبين أمره ولا تعرض لعلي الذي نسب إليه هذا المسجد. ولم أقف على شيء من خبره.

وأما ما لم يذكر من المساجد، فمسجد واحد بمكة أمام الصاعد من باب العمرة على يسار الذهاب إلى جهة سوق باب إبراهيم، فيه محراب لطيف جدا، يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه. هذا ما وقفت عليه، والله أعلم.

ذكر الجبال المباركة بمكة و حرمها

إشارة

منها: الجبل المعروف بأبي قبيس أحد أخشبي مكة المشرف على الصفا، وهو مشهور لا يحتاج إلى بيان، ويروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه أن قبر آدم صلوات الله عليه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز- بالنون والزاء العجمة- وأن نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت و حمله في السفينة، فلما غيض الماء أعاده إلى الغار(2). والله أعلم بذلك.

وهذا الغار لا يعرف الآن، وقيل: إن قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة. وقيل بيت المقدس. وقيل ببلاد الهند. و صححه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ونقل عن الذهبي أن قبر حواء وشيث في جبل أبي قبيس(3). والله أعلم بالحقائق.

ومن فضائله أنه كان يدعى الأمين في الجاهلية. لأن الحجر الأسود استودع فيه عام

ص: 297

1-656. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 429.

2-657. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 441.

3-658. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 441-442.

الطوفان، فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل: الركن منى بمكان كذا وكذا. فجاء به جبريل فوضعه موضعه (1).

و منها: أنه أول جبل وضع على وجه الأرض حين مات، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد (2).

و منها: أن الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهي. واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه، فأجيب لهم وسقوا (3).

و منها: انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي وغيره. ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء، و علل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشريفة. قال الفاسي رحمه الله: وفي النفس شىء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر إتيانه للعبادة، و يقيم به لأجلها شهرا في كل عام، وفيه أكرم بالرسالة، ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في جبل سواه، وذلك مما يقتضى امتيازته بالفضل. و الموجب لتفضيل دار خديجة رضى الله عنها على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها، و نزول الوحي عليه فيها لا لأجل القرب من الكعبة، إذ كثير من البيوت أقرب إليها منه كدار العباس بالمسعى، و دار الأرقم بالصفة و الله أعلم. انتهى (4).

ثم فى تسميته بأبى قبيس أقوال، أرجحها أنه سمي باسم رجل من إباد يقال له أبو قبيس بنى فيه.

فائدة: نقل القزويني فى كتابه «عجائب المخلوقات» من خواص جبل أبى قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس و كثير من الناس يفعل، و الله أعلم بحقيقة ذلك (5).

و منها: جبل الخدمة، و هو جبل شامخ مشهور معروف فى ظهر أبى قبيس، و من

ص: 298

1- 659. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 445.

2- 660. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 446.

3- 661. (3) أورده الفاسي نقلا عن الفاكهي: شفاء الغرام ج 1 ص 445.

4- 662. (4) شفاء الغرام ج 1 ص 442 و 446.

5- 663. (5) عجائب المخلوقات ص 126.

فضائله ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه ما مطرت مكة قط إلا- كان للخدمة عزة، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهي(1). والله أعلم بصحته.

وفيه يقول القائل فى يوم الفتح:

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه

الآيات المشهورة(2):

ومنها: جبل حراء وهو ممدود، فمن ذكره صرفه، ومن أتته منعه من الصرف، ويسمى جبل النور- بالنون- وكان ذلك لكثرة مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم وتعبده فيه وما خصه الله به فيه من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه فى الغار الذى بأعلاه كما فى «صحيح البخارى» حتى فجأه الحق، وهو فى غار حراء. وهو معروف مشهور يآثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة(3).

ذكر الأزرقى أن النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ فيه من المشركين(4). وكذا ذكره الفاكهي، قال أيضا: والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبئ من المشركين إلا فى غار ثور. لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القاضى عياض والسهيلي فى روضه: أن قريشا حين طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ظهر ثبير. فقال له: اهبط عنى يا رسول الله، فإنى أخاف أن تقتل وأنت على ظهري، فيعذبني الله تعالى. فناده حراء: إلى رسول الله.

و جمع القاضى تقى الدين رحمه الله، فقال: إن صح اختفاؤه صلى الله عليه وسلم بحراء، فهو غير اختفائه بثور(5)، والله أعلم.

فيكون فى حراء أولا، وفى ثور حين الهجرة. وذكر بعض العلماء أن السرّ فى كونه صلى الله عليه وسلم لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث أن فيه فضلا زاندا منه أن يكون فيه منزويا مجموعا لتعبده، وهو يشاهد بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فحصل له اجتماع

ص: 299

1- 664. (1) أخبار مكة للفاكهي ج 4 ص 134.

2- 665. (2) انظر فى هذه الآيات: أخبار مكة للفاكهي ج 4 ص 136.

3- 666. (3) شفاء الغرام ج 1 ص 447.

4- 667. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 288.

5- 668. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 488.

ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر. و مجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض.

وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى، وأيضا أن هذا الجبل كان يختلى فيه أجداده صلى الله عليه وسلم.

أقول: وفيما ذكر نظر، لأن غيره من الجبال يتأتى فيه ما ذكر من اجتماع العبادات الثلاث كآبي قبيس مثلا ويزيد بقربه من البيت فكان أولى أن يتعبد فيه. وإن كان المراد البعد من الناس لخلو الببال في التعبد، فالجبال البعيدة كثيرة، اللهم إلا أن يقال إن الغار الذي بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف، وليس غيره كذلك فله وجه، والأحسن أن يقال: إن جبل حراء متعبد أجداده فاقتدى بهم في ذلك، والله الموفق.

ومنها: جبل ثور- بالثاء المثلية- بأسفل مكة، وسماه البكرى أبا ثور والمشهور الأول، وبعده عن مكة ميلان. وقيل ثلاثة، وارتفاعه نحو ميل. وكان اسمه أطحل- بالطاء و الحاء المهملتين- وإنما سمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف فيه، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر اختفيا في غاره المشهور الذي ذكره الله تعالى بقوله: **ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ الْآيَةِ (سورة التوبة: 40).**

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه، و يقال إن هذا الحمام الذي بمكة من نسلهما.

و من فضائل هذا الجبل ما يروى أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: **إِلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي قَدْ آوَيْتُ قَبْلَكَ سَبْعِينَ نَبِيًّا.**

وللغار الذي فيه بابان واسع وضيق، وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال إن من لم يدخل منه وتعود فليس لأبيه، وهو باطل لا أصل له.

وقد وسع الباب الضيق في حدود عام ثمانمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فانحبس، فنحت منه حتى اتسع وتخلص.

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار المذكور ثلاثا كما في «صحيح البخارى» وهو الراجح، وقيل بضعة عشر يوما، ووفق الجد رحمه الله بينهما فقال: ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحا، ووجه الجمع أنهما مكثا في الغار ثلاثا، ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبي مختفين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما، انتهى.

الأولى: نقل عن البكري أنه قال: في جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره، وفيه شجر البان، وفيه شجرة من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة.

الثانية: نقل أيضا في بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قتل قابيل أخاه هاويل كان في ثور أخرجهما الفاسي (1) رحمه الله.

وفي «صحيح مسلم» أن ثورا اسم جبل آخر صغير في المدينة قريبا من جبل أحد عن يساره، وأنكر ذلك بعض العلماء، والله أعلم.

ومنها: جبل ثبير بمنى، وهو جبل عظيم الفضل شامخ، روى الأزرقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى، فطارت شظاياه لستة جبال، ثلاثة منها وقعت بمكة وهى حراء وثور وثبير، وثلاثة وقعت بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى (2).

أقول: وكون ثبير بمكة تسامح، لكن ما قارب بالشىء أعطى حكمه. وقد جعله القزوينى من جبال مكة أيضا ثم عرفه بأنه الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به إسماعيل، ثم قال: والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير (3).

وليس كذلك إلا ثبير الذى بمنى. وكذلك الجوهرى جعله بمكة وما ذاك إلا لقرب منى منها، انتهى.

ويسمى ثبير الأثيرة، والقابل أيضا- بالقاف والباء الموحدة-. ونقل صاحب «القاموس» عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم قال ثبير الأثيرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أيام إقامتها بمكة (4). انتهى.

ص: 301

1- 669. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 450.

2- 670. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 280-281.

3- 671. (3) عجائب المخلوقات ص 127.

4- 672. (4) هذا القول ليس فى القاموس، وإنما ورد فى كتاب آخر لصاحب القاموس، وهو: «الوصل والمنى فى فضل منى» كما نص

عليه الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 451.

ومنها: ثبير اسم لثمانية أماكن، سبعة منها جبال بمكة و حرمة و هي ثبير بالأثيرة المذكور، و ثبير الزنج، و ثبير الأعرج، و ثبير الأحذب، و يقال الأحيدب- بالتصغير- و ثبير الخضراء، و ثبير التصع، و ثبير غينا، و الثامن اسم لماء في بلاد مزينة أقطعته النبي صلى الله عليه و سلم شريس- بمعجمة في أوله و مهملة في آخره- ابن ضمرة- بضاد معجمة- المزني رضی الله عنه و سماه شريح بحاء مهملة.

و لنشر إلى مواضعها كثيرا للفائدة. فأما ثبير الأثيرة فقد تقدم، و عرف بذلك لأنه أعلاها و أطولها، و قيل إنما سمي ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه، و الله أعلم بذلك.

و هو على يسار الذهاب إلى عرفة الذي ذكره الفقهاء في المناسك بأن المستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه أن يسير إلى عرفة.

و أما ثبير غينا- بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون ثم ألف- و ثبير الأعرج فهما بمنى أيضا، يصب بينهما واد من منى يقال له أفاعية- بضم الهمزة بعدها فاء و ألف و عين مهملة مكسورة و مثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء- كذا نقله صاحب «القاموس» عن الزمخشري. و ذكر الأزرقى في ثبير الأعرج، أنه المشرف على حق الطارقين- بمثنتين تحتيتين. بين المغمس و النخيل، و في ثبير غينا أنه المشرف على بئر ميمون، و قلته مشرفة على شعب عليّ كرم الله وجهه. فخالف في ذلك الزمخشري.

أقول: و لعله أراد بالنخيل بساتين ابن عامر التي كانت في جهة عرنة لأنه كان بها نخيل فيما مضى.

و أما ثبير التصع- بكسر النون و سكون الصاد المهملة بعدها عين مهملة- فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى ذكره الأزرقى، و قال: هو الذي كانوا يقولون في الجاهلية إذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير، كيما نغير، و لا يدفعون حتى يرون الشمس عليه(1). انتهى.

و المعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام إلا ثبير الأثيرة الذي بمنى. و وجه الفاسى رحمه الله تعالى ما قاله الأزرقى، و قال: لا يبعد ذلك لأن قريشا ما كانوا يقولون ذلك إلا و هم بمزدلفة، و هذا أقرب إلى أبصارهم من الذي بمنى انتهى.

ص: 302

و أما ثبير الخضراء- بمعجمتين وراء مهملة- هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضراء بطريق منى، نقله الفاسى(1).

و الخضراء: واد معروف إلى هذا اليوم.

و أما ثبير الزنج: فهو جبل النوبى المعروف بأسفل مكة فى جهة الشبيكة الذى تقدم أن به مولد سيدنا عمر بن الخطاب على ما قيل. وإنما سمى بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده، و هم النوبة و السودان الزوج أيضا فطابقت التسمية على كلا الوجهين(2).

و أما ثبير الأحذب أو الأحيدب فلم أقف على موضعه و لم أر كلاما فى تعيين محله، و الله أعلم.

أقول: بمنى جبل يدعى الأحيدب إلى هذا التاريخ، سمعت ذلك من بعض أهل منى، و هو مقابل مسجد الخيف يقرب من ثبير الأثيرة على يسار الذهاب إلى عرفة، و إلى جانبه جبل آخر لا يبعد، و الله أعلم أن يكون ثبير غينا، و بينهما شعب الظاهر أنه أفاعية الذى يصب بينهما كما تقدم. و يكون ثبير الأعرج كما ذكره الأزرقى، فى جهة عرفة بين المغمس و النخيل لأنه أمس بذلك(3).

و يبقى ما ذكره الزمخشرى مجرد نقل لم يعضده شىء يقويه، و يصير على هذا بمنى ثلاثة أثيرة: ثبير المشهور، و ثبير غينا، و ثبير الأحيدب الذى بينهما أفاعية، انتهى. و الله الموفق، فهذه الأثيرة التى بمكة و ظاهرها، و الله أعلم.

ذكر المقابر المباركة التى تزار بمكة و قربها

إشارة

منها: مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة و التابعين و كبار العلماء و الصالحين، و إن لم يعرف قبر أحد من الصحابة تحقيقا الآن. و أفضل شعابها الشعب الذى يقال إن فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها. و لم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله صلى الله عليه و سلم:

نعم الشعب و نعم المقبرة، أخرجه الأزرقى. ثم قال: لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله(4). انتهى.

(1) أخبار الفاكهى للأزرقى ج 2 ص 280.

ص: 303

1- 674. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 466.

2- 675. (3) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 279.

3- 676. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 280.

4- 677. (5) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 209.

وقد تقدم ذكر شىء مما ورد في فضل هذه المقبرة في فضائل مكة فلا نطيل بإعادته.

ومما ورد في فضلها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال: كشف لى أهل المعلاة فقلت لهم أتجدون نفعاً بما يهدى إليكم من قراءة و نحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك.

فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ فقالوا و هل يقف حال أحد في هذا المكان(1).

ومن ذلك ما رواه أبو سعد بن السمعانى فى «تاريخه» عن أبى نصر محمد بن إبراهيم الأصبهانى، أنه رأى فى المنام كأن إنساناً مدفوناً فى المعلاة استخرج و مروا به إلى موضع آخر، قال: فسألت عن حاله؟ فقالوا: هذه المقبرة منزّهة عن [قبول] أهل البدعة، لا تقبل أرضها مبتدعاً(2).

ونقل عن الشيخ خليل المالكى رحمه الله أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة: عند قبور سماسرة الخير، و عند قبر الشولى، و عند قبر إمام الحرمين عبد المحسن ابن أبى عبد العميد(3).

أقول: قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التى يقصر منها القصارون الثياب الآن، و قبر الشولى و إمام الحرمين معروفان. انتهى.

و من مقابر مكة قديماً المقبرة العليا، فىستحب زيارتها لما فيها من الأموات و أهل الخير، و هى بين المعابدة و ثنية أذاخر، و كان يدفن فيها فى الجاهلية و صدر الإسلام آل أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، و آل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. نقله الأزرقى(4). ثم قال: و كان أهل مكة يدفنون موتاهم من جنبتى الوادى يمينه و شاميه(5)، ثم حول الناس جميعاً قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء فيه(6). انتهى.

و المراد باليمنى: هو شعب أبى دب المعروف الآن بشعب العفاريت(7)، و فيه كان

ص: 304

1-678. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 455.

2-679. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 455 و ما بين حاصرتين منه.

3-680. (3) تحرف فى المطبوع إلى: «عبد الحميد» و صوابه من: د، و انظره لدى الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 456، و ابن فهد: إتحاف الورى ج 3 ص 43.

4-681. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 209.

5-682. (5) لدى الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف: «يمنة و شامة».

6-683. (6) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 211.

7-684. (7) تحرف فى المطبوع إلى: «العقارب».

يدفن في الجاهلية و صدر الإسلام. وأبو دبّ: رجل من بنى سواة بن عامر سكنه، فسمى به.

و يقال: إن قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي دب، هذا وأنه صلى الله عليه وسلم جاء إليها وزارها وقيل في غير هذا المحل من المعلاة، وقيل بالأبواء وهو المشهور.

و المراد بالشامى: هو شعب الصفّى - بتشديد التحتية- المسمى قديما بصفى الشباب، وهو الذى عند أذاخر وخرمانية فى طرف المحصب، ويسمى المحصب شعب الصفى، وهو خيف بنى كنانة. وإنما سمي شعب الصفى لأن ناسا فى الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بقم هذا الشعب و تفاخروا بالأباء و الأيام و الوقائع فى الجاهلية.

أقول: وليس فى هذا مناسبة لوجه التسمية. وكأنه و الله أعلم مأخوذ من الاصطفاء، لكونهم اختاروا هذا المكان و اصطفوه لمفاخرتهم. لكن الأزرقى لم يعرج على هذا، وإنما أخذته من سياق الكلام.

ثم يظهر أن صدور هذا التفاخر إنما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية. انتهى.

وفى هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد، و ذلك أنه مات عندهم فى دارهم سنة أربع و سبعين و له من العمر أربع و ثمانون عاما، و كان صديقا لعبد الله بن خالد، فلما حضرته الوفاة أوصاه بأن لا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفى و كان بمكة بعد مقتل ابن الزبير، فلما قضى صلى عليه عبد الله بن خالد و دفنه عند باب داره ليلا أخرجه الأزرقى. و لهذا و الله أعلم خفى قبره. و عرف الأزرقى المقبرة العليا بأنها حائط خرمان، و هو المسمى فى هذا الوقت بالخرمانية عند المحصب(1).

قال الفاسى رحمه الله: و ما ذكره الأزرقى من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا يدفع ما يقال إنه مدفون بالجبل الذى بالمعلاة، و لا أعلم فى ذلك دليلا و هو بعيد من الصواب(2). و الله أعلم.

ص: 305

1- 685. (1) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 210 و 211.

2- 686. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 457.

و من مقابر مكة أيضا قديما مقبرة المهاجرين بالحصحصاص، و هو ما بين فحّ و الجبل المسمى بالمقلع و بالبكاء أو الزاهر. كما هو مقتضى كلام الأزرقى و الفاسى. وإنما سمي بالبكاء لما قيل إنه بكى على النبي صلى الله عليه و سلم حين هاجر(1)، و هو مشهور بالبكاء إلى اليوم.

أقول: فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المعروف الآن بالمختلج الذى يبيت به أمير الحاج عند قدومه ثم يصبح و يدخل مكة. فينبغى لمن أتى ذلك الموضع أن يقرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبور، و يهدى ثواب ذلك إليهم و إلى سائر أموات المسلمين، و كذلك عند المقبرة العليا التى تقدم أن بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لما علمته و الله موفق.

و سبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع- بجيم و نون- ابن أبى ضمرة- بمعجمة- ابن أبى العاص اشتكى و هو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة إلى المدينة فأدركه الموت و هو بهذا المحل فدفن فيه فأنزل الله و مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا الآية (سورة النساء: 100) فسميت مقبرة المهاجرين به. أخرجه الأزرقى(2).

و وقع مثل ذلك لغير جندع أيضا فدفن هنالك. و ممن دفن بهذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه فى حرب وقع بينهم و بين عسكر موسى الهادى فى سنة تسع و تسعين و مائة. و فيه جماعة من الأنصار مدفونون.

و يسمى هذا المحل أيضا بأضاعة بنى غفار(3) و هى التى قال النبي صلى الله عليه و سلم: أتانى جبريل و أنا بأضاعة بنى غفار فقال: يا محمد، إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف. فقلت:

أسأل الله المعافاة، فقال: فإنه يأمرك أن تقرأه على حرفين، فقلت: أسأل الله المعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على ثلاثة أحرف، فقلت: أسأل الله المعافاة، قال: فإنه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف(4).

و اختلف ما المراد بالسبعة الأحرف، فقليل: سبع لغات.

و من المقابر أيضا المباركة: مقبرة الشبيكة، فيستحب زيارتها لما حوته من أهل الخير و الغرباء لا سيما الفقراء الطرحاء فإنهم ما يدفنون غالبا إلا بها.

ص: 306

1- 687. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 457.

2- 688. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 212.

3- 689. (3) تحرف فى المطبوع إلى: «عقار».

4- 690. (4) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 213.

ونقل الفاسى رحمه الله عن الفاكهى: أن مقبرة المطيبين قديما كانت بأعلى مكة، و مقبرة الأحلاف(1) بأسفل مكة. ثم قال: و الظاهر أن مقبرة الأحلاف هى هذه المقبرة- يعنى بذلك الشبيكة- لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها، و دفن الناس بها إلى الآن مشعر بذلك. ثم قال: و المطيبون: بنو عبد مناف بن قصى، و بنو أسد بن عبد العزى، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تيم بن مرة، و بنو الحارث بن فهر.

و الأحلاف: بنو عبد الدار بن قصى و بنو مخزوم، و بنو سهم و بنو جمح، و بنو عدى ابن كعب(2). انتهى.

فائدة: و فى سبب تسميتهم بالمطيبين و الأحلاف نقل عن ابن إسحاق: أن قصيًّا لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة و اقتسموا مآثره كما تقدم، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى و هم عبد شمس و نوفل و هاشم و المطلب أجمعوا أن يأخذوا ما فى أيدي بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعله إلى بنى عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة، و رأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم، فافتقرت قريش فرقتين. فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم، و طائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما جعله قصى(3) إليهم.

ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فغمس القوم أيديهم فيها و تعاقدوا و تعاهدوا أن لا يتخاذلوا فسموا المطيبين و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا عند الكعبة أن لا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف(4).

ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية و الرفادة و القيادة لبنى عبد مناف، و أن تكون الحجابة و اللواء و الندوة لبنى عبد الدار كما كانت. ففعلوا و لم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما كان من حلف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة(5).

و من القبور التى ينبغى زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية

ص: 307

1- 691. (1) تحرف فى المطبوع إلى: «الأخلاف» بالخاء المعجمة.

2- 692. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 458.

3- 693. (3) سيرة ابن هشام ج 1 ص 130.

4- 694. (4) سيرة ابن هشام ج 1 ص 132.

5- 695. (5) سيرة ابن هشام ج 1 ص 132.

زوج النبي صلى الله عليه وسلم خالة ابن عباس، وهو معروف بطريق وادي مر بمحل يقال له سرف- بسين مهملة مفتوحة، وراء مهملة مكسورة، وفاء- وبينه وبين مكة سنة أميال وقيل: سبعة أميال- بتقديم السين- وقيل: تسعة- بتقديم المثناة- وقيل: اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع(1).

أقول: القول الأخير بعيد، والنظر يقضى بخلاف ذلك لمن سلك الطريق إلى وادي مر، وأعدل الأقوال السبعة لأن المعاينة تؤيده انتهى.

قال الفاسي رحمه الله: ولا أعلم في مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر لأن الخلف يآثره عن السلف، وموضع قبرها هو الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجها(2). انتهى.

ومنها: قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وهو بوادي الطائف فينبغي زيارته لمن قدر على ذلك. قال صاحب «المطالع» إن الطائف هو وادي وَّج، انتهى. ووجّ- بفتح الواو وتشديد الجيم- وسمى باسم وج بن عبد الحق من العمالقة.

وأما وح- بالواو والحاء المهملة- فهو ناحية بعمان(3) فوق عرفة.

وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن صيد وج وعضاهه حرم محرّم لله عز وجل. قال النووي: و إسناده ضعيف.

و ذكر [المحب](4) الطبرى فى تحريم صيد وج احتمالين: أحدهما أن يكون على وجه الحمى له، ثم قال: وعليه العمل عندنا. والثانى: أن يكون حرمه فى وقت ثم نسخ(5)، انتهى.

وقال النووي فى «الإيضاح»: ويحرم صيد وَّج لكن لا ضمان فيه، انتهى. وأما مذهبنا فليس له حرم.

ص: 308

1- 696. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 459.

2- 697. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 459.

3- 698. (3) تحرف فى المطبوع إلى: «ناحية نعمان» ومثله لدى الفاسي فى شفاء الغرام ج 1 ص 143، وصوابه لدى ياقوت والنوى فى تهذيب الأسماء واللغات ج 2 ق 2 ص 198.

4- 699. (4) الإضافة للتوضيح.

5- 700. (5) القرى لقاصد أم القرى ص 666.

وإنما سمي الطائف لما روى أن رجلاً أصاب دماً من قومه، فلحق بثقيف وأقام بها، وقال لهم: ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم؟ فبناه فسمى الطائف لذلك. وقيل: إنما سمي بالطائف لأن جبريل طاف به حول الكعبة. قال بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة القلم: فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (سورة القلم: 19) إن جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها، و طاف بها حول البيت، فلذلك سميت بالطائف، وقيل إنما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام و طاف بها سبعا، و ذلك لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول الآية وَ ارزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ (سورة البقرة: 126) و الله أعلم بالصواب(1).

و جاء في قوله تعالى: وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ (سورة الفتح: 2) أى بفتح مكة و الطائف.

و قال المفسرون في قوله تعالى: لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (سورة الزخرف: 31) إنهما مكة و الطائف، فقرن تعالى الطائف بمكة، و ذلك في غاية الشرف(2).

و في الرجل قولان: أحدهما أنه عتبة بن عبد شمس، و الثاني أنه مسعود بن معتب الثقفي(3).

غريبة: حكى الميورقي أن ميضأة- بكسر الميم- وقعت في عين الأزرق بالطائف فخرجت من عين الأزرق بالمدينة الشريفة(4).

و منها: قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادي مرّ، يزعم سكان وادي مرّ أنه قبر مريم بنت عمران و يقصدونه بالزيارة و الندور و يذبحون عنده. و لا أعلم لهم في ذلك سلفا، و لم أر من ذكره، و لم أقف على شىء من خبره بعد السؤال و التفحص، و الله أعلم بحقيقة ذلك.

ص: 309

1- 701. (1) شفاء الغرام ج 1 ص 145 و 146.

2- 702. (2) بهجة المهج ص 21 و 22.

3- 703. (3) انظر في هذا الاختلاف: إهداء اللطائف في أخبار الطائف للعجيمي ص 26.

4- 704. (4) بهجة المهج للميورقي ص 21.

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها إلى بعض شىء مما تقدم الأولى: قال النووى رحمه الله فى عدة من كتبه وغيره أيضا: إن الدعاء يستجاب فى خمسة عشر موضعا: فى الطواف، وفى الملتزم كما قدمته وتحت الميزاب و داخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلى الصفا وعلى المروة، وفى حال السعى وجميع منى عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصا وفى عرفة وفى مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث(1).

وذكر بعض العلماء من الأماكن المستجابة الدعاء: مسجد الخيف بمنى.

ومنها على ما ذكره ابن الجوزى: مسجد البيعة، و غار المرسلات، و مغازة الفتح لأنها من ثبير. أقول: مغارة الفتح المذكورة هى فى سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة أنشأها القاضى مجد الدين صاحب «القاموس» و كان يختلى بها للعبادة. انتهى.

وذكر العلامة النقاش فى «منسكه» مواضع يستجاب فيها الدعاء: فى ثبير الأثيرة، وفى مسجد الكبش، وفى مسجد النحر، و حال الدخول من باب السلام، وفى دار خديجة رضى الله عنها ليلة الجمعة، وفى مولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال، وفى دار الخيزران عند المختبأ بين العشاءين، وفى مسجد الشجرة يوم الأربعاء، و تحت السدرة بعرفة وقت الزوال، وفى المتكأ غداة الأحد، أقول هذه الثلاث المحال لا تعرف الآن و المتكأ المذكور الظاهر أنه الذى بأجياد. وقد تقدم الكلام فيه بأنه لا يعرف يقينا بل حدسا بغير دليل و لا قرية انتهى. وفى جبل ثور عند الظهر، وفى حراء مطلقا انتهى كلامه(2).

الثانية: مما يدل على فضل منى أيضا: ما رواه ابن الحاج فى «منسكه» عن أبى سهل ابن يونس الرجل الصالح أنه قال: رأيت كائى فى سفينة تجرى على وجه الأرض، وقائل يقول: فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقفزت من موضعى و قلت: يا رسول الله استغفر لى. فقال

ص: 310

1-705. (1) انظر فى هذه المواضع: رسالة الحسن البصرى فى فضائل مكة ورقة 4.

2-706. (2) شفاء الغرام ج 1 ص 322 و 323.

لى: حججت؟ فقلت: نعم. فقال لى: حلقت رأسك بمنى؟ قلت: نعم، قال: رأس حلقت بمنى لا يمسه النار أبدا. انتهى.

الثالثة: اختلف فى سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس رضى الله عنهما: إنما سميت منى لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تمن، قال: تمنيت الجنة فسميت بذلك لأمنية آدم عليه السلام. وقيل: سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء أى يراق، وهذا هو المشهور الذى ذكره جمهور اللغويين وغيرهم. وقيل لما تمنى أن يقدر، وقيل لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمى كل موضع يجتمع فيه الناس منى. وقيل لمن الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها. وقيل: لمن الله بالمغفرة فيها على عباده، وقيل غير ذلك، و يجوز فيها الصرف و عدمه و التذكير و التأنيث. قال صاحب «القاموس» و الأجود صرفه. و جزم الجوهري فى «صحاحه» بتذكيره و صرفه و أنشدوا على تذكيره:

سقى منى ثم رواه و ساكنه و من ثوى فيه واهى الودق مغتبق

و جاء فى تأنيثه للعرجى:

ليومنا بمنى إذ نحن نزلها أسرّ من يوم بالعرج أو ملل

الرابعة: أخرج ابن حبان فى «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كنت بين الأخشيين من منى - و نفع(1) بيده نحو المشرق - فان هناك واديا يقال له وادى السّرر، لسرحة به سرّ تحتها سبعون نبيا(2). انتهى ملخصا.

و السرحة - بالسين و الحاء المهملتين - الشجرة العظيمة.

و وادى السّرر - بضم السين و فتح الراء - و قيل بفتحهما، و قيل بكسر السين و فتح الراء(3).

ص: 311

1- 707. (1) فى المطبوع: «و نفع» بالحاء المهملة، و المثبت رواية المحب الطبرى فى القرى ص 540.

2- 708. (2) أورده صاحب الكنز برقم 34792 و النظر فى ذلك: القرى ص 540.

3- 709. (3) القرى ص 540.

و معنى سرّ تحتها: أى قطعت (1) سررهم، يعنى: أنهم ولدوا تحتها يصف بركتها و يمنها. و السرر ما يقطع من المولود فيان، و الباقي بعد القطع السرة، و لا يقال قطعت سرته بل قطع سرره و من قطع سرره فهو مسرور. قاله صاحب «القاموس».

قال الفاسى رحمه الله: لم يبين الطبرى موضع هذا الوادى و ما عرفته أنا أيضا. انتهى.

أقول: قد بين صاحب «القاموس» مسافة ما بينه و بين مكة إجمالا فى كتابه «الوصل» فقال قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى: السرر على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى، و كان عبد الصمد بن على اتخذ عنده مسجدا كان به شجرة ذكر أنه سر تحتها سبعون نبيا.

وقد قدمت أن هذا المسجد لا يعرف، فيكون على مقتضى قول الحسن بن الحسين محل وادى السرر المذكور تقريبا بين محسر و منى على يسار الذهاب إلى عرفة، لأن الفقهاء ذكروا فى عدة من المناسك أن بين منى و مكة ثلاثة أميال هذا قول أكثرهم، و يكون من منى إلى محسر قدر ميل فهذه أربعة أميال، و السرحة لا وجود لها الآن و الله الموفق.

الخامسة: منى اسم لموضعين: أحدهما منى المذكور، و الثانى اسم جبل من جبال ضريّة- بالضاد المعجمة المفتوحة و الراء المكسورة و المثناة التحتية المشدودة المفتوحة و الهاء- ذكره صاحب القاموس فى «الوصل» و عزاه إلى الأصمعى.

السادسة: الخيف، لغة: المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل.

وقال بعضهم: الخيف هبوط و ارتفاع فى سفح جبل أو غلظ، و مسجد الخيف بمنى فى مكان هذه صفته، و قيل الخيف غرة بيضاء فى الجبل الذى خلف أبى قبيس. و الخيف أيضا الناحية، و به سمى خيف منى كأنه ناحيته، و قد تغزل الشعراء فى منى و خيفها بأشعار كثيرة رائقة و أناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شىء مما انشرح به خاطر كثيرا للفائدة، فمن ذلك قول بعضهم:

تبدى لعينى و الحجيج على منى غزال رأيناه بمكة محرما

ص: 312

رمى وهو يسعى بالجمار وإنمارمى جمرة القلب المعذب إذ رمى

و من ذلك للشـيخ عبد الله بن أسعد الـيافعى من قصيدة:

بوادى منى نلنا المنى إذ تبسـمت ليال و أيام ملاح المباسم

سرور بعيد و اجتماع أحبة و قرب و قربان و عز مواسم

و من ذلك لبعضهم:

ما بال قلبى لا يقر قراره حتى تقضى من منى أوطاره

ما ذاك إلا من تلهب شوقه يسببه من وادى منى تذكاره

يا سائق الأظعان إن جزت الحمى سلم على من بالمحصب داره

و اشرح لهم ما يلتقى مشتاقه من فرط شوق أحرقته ناره

يصبو إلى ذكر الحطيم و زمزم و الركن و البيت المكرم جاره

و من ذلك لمجنون بن قيس العامرى:

و لم أر ليلى غير موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب

و تبدى الحصى منها إذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

و من ذلك لبعضهم:

أيا حادى الأظعان جز بى على منى و برد لظى أحشای بالجمرات

وقف بى على ذاك المقام فإن لى به أربا أقضيه قبل وفاتى

و مل بى إلى البيت العتيق و خلنى لديه و ما أبديه من زفراتى

و من ذلك قول ابن الجوزى:

سقى منى و ليالى الخيف ما شربت من المياه و حياها و حياك

الماء عندك مبدول لشاربه و لا ترويك إلا دمعة الباكي

ثم اثنتينا إذا ما هزنا طرب على الرحال تعلقنا بذكراك

ولغيره:

فلما قضينا من منى كل حاجة و مسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا و سالت بأعناق المطى الأباطح

بكيننا على ما كان من زمن الهوى و لم يعلم الغادى بمن هو رائح

و فى هذا القدر كفاية.

الفائدة السابعة: المشهور عند أهل مكة أن الحجون: هو الجبل الذى فيه الثنية التى يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة، و عرفها الأزرقى: بثنية المدنيين، و يسمونها الحجون الأول بالنسبة إلى الخارج منها إلى جهة ذى طوى و الزاهر، و يقولون لما بينها و بين

الثنية الأخرى الهابطة على المختلج وطريق الوادى، وتسمى الخضراء بين الحجونين ويمين الخارج منها إلى جهة منى كما هو صريح كلام الأزرقى والخزاعى والفاكهى والنوى.

فأما الأزرقى فقال عند ذكره لما فى يمانى المعلاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه: الحجون الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة (1) الذى يقال له مسجد الحرس (2). و مثله كلام الفاكهى.

و أما كلام الخزاعى فنص كلامه: الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد (3).

وقال النوى فى «شرح مسلم» الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد (4).

قال السيد الفاسى رحمه الله: وقد ذكر المحب الطبرى فى «القرى» ما يوافق ما يقوله الناس، وكنت قلده فى ذلك، فظهر لى أن الأزرقى بذلك أدرى كيف وقد وافقه الخزاعى والفاكهى وغيرهما. وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبر الله بن عمر و الجبل المقابل الذى بينهما الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت (5). والله أعلم، انتهى.

وأغرب السهيلى فى محل الحجون فقال: والحجون على فرسخ وثلث من مكة (6).

انتهى.

والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النوى والطبرى وصاحب المطالع.

وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح.

تمت الفوائد، وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة

ص: 315

1- 711. (1) فى المطبوع: «المشرف جدا على مسجد البيعة» والمثبت رواية: د و الأزرقى الذى ينقل عنه المصنف.

2- 712. (2) أخبار مكة للأزرقى ج 2 ص 273.

3- 713. (3) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 473.

4- 714. (4) نقله الفاسى فى شفاء الغرام ج 1 ص 473.

5- 715. (5) شفاء الغرام ج 1 ص 472 و 475.

6- 716. (6) الروض الأنف ج 1 ص 138.

و السلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث بأعظم المعجزات و على آله و أصحابه الأماجد السادات.

و ليكن هذا آخر ما يسره الله و من به و هو المنان مما قصدت إثباته حسب الوسع و الإمكان و مع ذلك فإنى عاجز عن بلوغ المراد ملتمس من الله سبحانه الإصابة و السداد و ضارع إليه فى التوفيق و الرشاد أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم و عدتى من فائض فيض فضله العميم و يجمعنى و من يطالعه فى جنان النعيم و يختم آخر أعمالى بالخيرات و يرجح ميزانى بالحسنات و يعفو عما اقترفته من الذنوب و السيئات و يرزقنى الثبات عند السؤال بعد الممات، و يفتح على بالعلم الشريف و العمل به فإنه الكنز الموروث عن الأنبياء و نعم الميراث و يجعلنى كما وفقنى لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله صلى الله عليه و سلم «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» و الأعمال بالنيات و لكل امرىء ما نوى، و اللسان لا يبرز عن الجنان إلا ما حوى.

و المسئول ممن وقف على التأليف من الإخوان أن ينظر فيه بعين الرضا و الرضوان فما كان من نقص كمله و من خطأ أصلحه و أن يصفح عما يجده فى ترتيبه من زلل و ما يظهر له فيه من خلل، فإن القلم قد يهفو و الجواد قد يكبو، و قد سبق من إقرارى بالعجز و الضعف ما يقتضى الصفح و العفو، و الإنسان غير معصوم عن الخطأ و النسيان و المؤمن مرآة أخيه.

و الله تعالى يغفر لمن نظره أو كتبه أو أصلح شيئا منه أو فيه.

و لنختم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبى صلى الله عليه و سلم المأثور الشريف:

اللهم رب السموات السبع و ما أظللن و رب الأرضين و ما أقللن و رب الشياطين و ما أضللن كن لى جاراً من شر خلقك كلهم أن يفرط على أحد منهم و أن يبغى على، عز جارك و جل ثناؤك و لا إله غيرك. و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم و حسبنا الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و كان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة تسع و عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام(1).

ص: 316

1- 717. (1) هذا آخر النسخة المطبوعة و جاء فى آخر نسخة د: «و كان الفراغ من نسخة على يد ناسخه لنفسه و لمن شاء الله من بعده بمكة المشرفة فى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك من العام الثلاثمائة و الألف، و الحمد لله وحده و الصلاة على من لا نبى بعده».

إشارة

1- فهرس الأعلام.

2- فهرس الأماكن.

3- فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب.

4- فهرس مصادر التحقيق.

5- فهرس موضوعات الكتاب.

ص: 317

1- فهرس الأعلام

الآفشهرى: 194.

إبراهيم عليه السلام: 223.

أبرهة: 156.

أروى بنت كريز بن ربيعة (أم عثمان بن عفان): 211.

الأزرقى: 36، 236، 238، 268، 287.

ابن إسحاق: 210، 212، 226، 307.

أسماء بنت الصديق: 239.

باقوم (نجار): 79.

بدر الدين أحمد بن محمد المصرى: 242.

بشر الحافى: 231.

البغوى: 29.

أبو بكر الصديق: 208.

البكرى (صاحب المسالك و الممالك):

193.

بيبرس الملك الظاهر: 106.

بيسق الظاهرى (الأمير): 182.

التاج السبكى: 231.

تقى الدين الفاسى: 11 و انظر الفاسى.

الثعلبى: 25.

الجاحظ: 52.

ابن جبیر: 79، 191، 293.

ابن جریج: 78.

ابن الجوزی: 231، 232.

جلال الدین السیوطی: 233.

ابن جماعة: 36.

جمال بن عبد اللہ الظہیری: 232.

ابن الحاج: 51.

الحاکم العبیدی: 100.

الحجاج: 87، 100.

ابن حجر: 49، 89، 231.

الحربی: 237.

الحسن البصری: 31.

أبو الحسن الماوردی: 177.

الحصین بن نمیر: 81.

الحلیمی: 84.

حمئة بنت سفیان بن أمیة (أم سعید بن مالک ابن أبی وقاص) 215.

حتمة بنت هاشم بن المغيرة (أم عمر بن الخطاب) 210.

حواء: 79.

خالد بن عبد اللہ القسری: 104.

خاير بك العلانی (الأمیر) 181، 186، 192.

خشتقلدی (الأمیر) 188، 191، 192.

الخيزران: 285.

ابن درياس (من الشافعية) 239.

الديلمي: 228.

ص: 319

الذهبي: 231.

ذو القرنين: 76.

رامشت (صاحب الرباط بمكة): 101.

أبو رغال: 156.

الزبير بن العوام: 214.

الزمخشري: 33، 303.

زين الدين الفارסקوري الشافعي: 187.

سارة: 225.

سراج الدين البلقيني: 232.

سعد بن مالك بن أبي وقاص: 215.

أبو سعيد بن خدابنده (ملك التتار): 106.

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: 216.

سفيان الثوري: 21.

سليمان (السلطان): 189.

السهيلي: 40، 75، 286.

سودون المحمدي (الأمير): 187.

ابن سيد الناس: 93.

السيوطي: 73.

شاه رخ (صاحب شيراز): 101.

ابن شعبان (من المالكية): 239.

شعبان (الأشرف صاحب مصر): 183.

الشعبي: 44.

الشفاء بنت عوف (أم عبد الرحمن بن عثمان ابن عوف) 216.

شبية بن عثمان: 31.

أبو الشيخ: 241.

شيخ أويس (صاحب بغداد): 106.

شيخ المحمودى (السلطان المؤيد): 190.

صفية بنت عبد المطلب (أم الزبير بن العوام): 214.

الصليحي (صاحب اليمن و مكة): 100.

أبو طالب المكي: 19.

أبو طاهر القرمطى: سليمان بن الحسن: 41.

طلحة بن عبيد الله بن عثمان: 214.

ابن ظهيرة: جمال الدين عبد الله: 236.

عباد بن كثير: 78.

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: 32.

ابن عبد البر: 125.

ابن عبد ربه: 191.

عبد الرحمن بن عثمان بن عوف: 216.

عبد الكريم اليازجي الرومي: 189.

أبو عبد الله الحاكم: 231.

أبو عبد الله خليل (إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام): 123.

عبد الله بن الزبير: 44.

عبد المطلب: 226.

عبد الملك بن مروان: 44.

أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح:

.217

عتاب بن أسيد: 245.

عثمان بن طلحة: 111.

ص: 320

عثمان بن عفان 211.

ابن عطية: 58.

علي بك (نائب جدة): 190.

علي شاه (الوزير): 106.

علي بن أبي طالب: 212.

علي بن الموفق: 65.

ابن العماد: 93.

عمر، أبو بكر الشهير بالشنيني: 230.

عمر بن الخطاب: 210.

عمر بن عبد العزيز: 225.

عمر بن علي بن رسول (الملك المنصور صاحب اليمن): 106.

أبو عمرو الزجاجي: 156.

عيسى بن مريم: 208.

الغوري (السلطان): 192.

فاطمة بنت أسد بن هاشم (أم علي بن أبي طالب): 212.

فاطمة بنت بعبجة (أم سعيد بن زيد بن عمرو): 216.

الفاسي: 236 وانظر تقي الدين الفاسي.

الفاكهي 236، 238، 239، 295.

فخر الدين أبو بكر بن علي بن ظهيرة (جد المؤلف): 26.

فرج (السلطان الناصر) 184، 190.

فرقد السبخي: 78.

أبو الفضل العراقي: 92.

القرطبي: 241.

القطب الحلبي: 298.

ابن كثير: 69.

كعب الأخبار: 238.

الكمال ابن الهمام: 15.

كنانة بن خزيمة بن مدركة: 205.

الكواشي: 28.

لوط (عليه السلام): 225.

المأمون: 100.

الماوردي: 239.

المحب الطبري: 39، 121، 287، 308.

محمد جار الله بن ظهيرة القرشي: 11.

محمد بن الحنفية: 82.

محمد بن عباد بن جعفر: 71.

محمد بن عراق: 188.

محمد بن علي المنهاجي: 19.

محمد بن كعب القرظي: 224.

محمد بن يوسف الثقفي (أخو الحجاج):

285.

محمود بن سبكتكين (السلطان): 101.

المستتصر العبيدى: 100.

المسعودى: 237. (1)

الجامع اللطيف ؛ ص 321

لح الدين الرومى (الأمير): 187.

المعتصم العباسى: 106.

المعتضد العباسى: 183.

مغلطاي: 286.

ص: 321

1- 718. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

المقوقس القبطى (صاحب مصر): 208.

ابن المنير: 162.

المهدى العباسى: 179.

الميورقى: 309.

الناصر العباسى: 191.

الناصر محمد بن قلاوون: 106.

السنفى: 28.

النقاش (المفسر) 58، 176.

النوى: 28، 239.

هاجر: 224.

هارون الرشيد: 88.

ابن هشام: 237.

الوليد بن عبد الملك: 104.

أبو الوليد الأزرقى: 11.

وهب بن منبه: 228.

ولى الدين العراقى: 175.

ياقوت: 236.

يحيى بن معاذ الرازى: 21.

يوسف بن ماهك: 31.

ص: 322

2- فهرس الأماكن

أبو قبيس: 25، 63، 297.

أجباد: 184.

أجباد الصغير: 62.

أرض الهند: 73.

أسوان: 135.

أصبهان: 134.

أضاة بنى غفار: 306.

أم راحم (من أسماء مكة): 149.

أم رحم (من أسماء مكة): 147.

أم الرحمن (من أسماء مكة): 148.

أم روح (من أسماء مكة): 147.

أم صبيح (من أسماء مكة): 147.

أم القرى (من أسماء مكة): 145.

أم كوثنى (من أسماء مكة): 148.

الأهواز: 134.

باب إبراهيم: 180، 186، 192، 193.

باب أجباد: 185.

باب أجباد الصغير: 194.

باب أم هانئ بنت أبي طالب: 194.

باب بازان: 195.

باب البطحاء: 193.

باب البغلة: 195.

باب البقالين: 180، 194.

باب بنى تيم: 194.

باب بنى حكيم: 194.

باب بنى الزبير بن العوام: 194.

باب بنى سهم: 193.

باب بنى شيبه: 192.

باب بنى مخزوم: 194.

باب بنى هاشم: 180، 193.

باب الجنائز: 184، 192.

باب الحزامية: 194.

باب الحزورة: 101، 180، 182، 194.

باب الخلقين: 194.

باب الدريبة: 193.

باب الرحمة: 194.

باب الزيادة: 193.

باب السدة: 193.

باب السلام: 192، 310.

باب سويقة: 192، 193.

باب العباس بن عبد المطلب: 193.

باب العجالة: 182، 193.

باب علي: 180، 193.

باب العمرة: 128، 193.

باب عمرو بن العاص: 193.

باب الفرج: 194.

ص: 323

باب الكعبة: 86.

باب المجاهدية: 194.

باب مدرسة الشريف عجلان: 194.

باب الملاعبة: 194.

بازان: 195.

البرقة: 309.

برة (من أسماء مكة): 146.

بركة الماجن: 287، 291.

الباسة (من أسماء مكة): 148.

بخارى: 134.

البساسة (من أسماء مكة): 148.

بساق (من أسماء مكة): 147.

البصرة: 134.

بغداد: 134.

بقيع الغرقد: 195.

بكة (من أسماء مكة): 144.

بلاد البجاة: 135.

بلاد بربر: 135.

بلاد البلين: 135.

بلاد التكرور: 135.

بلاد الجرايد: 135.

بلاد السودان: 134، 135.

بلاد الصين: 134.

بلاد مزينة: 302.

بلاد الهند: 297.

البلد (من أسماء مكة): 145.

البلدة (من أسماء مكة): 145.

البنية (من أسماء مكة): 149.

البيت العتيق (من أسماء مكة): 147.

بيت المقدس: 167.

بئر أم سليمان: 304.

بئر زمزم: 191، 223 وانظر زمزم.

بئر ميمون: 184.

البيضاء: 285.

تكتم (من أسماء زمزم) 236.

التنعيم: 193.

ثبير: 291.

ثبير الأثيرة: 301، 302.

ثبير الأحذب: 302.

ثبير الأعرج: 302.

ثبير الخضراء: 302.

ثبير غينا: 302.

ثبير النصيح: 302.

ثنية أذاخر: 304.

ثنية أم الحارث: 184.

ثنية المدنيين: 314.

جبل أبي الحارث 289.

الجبل الأحمر: 184.

ص: 324

- جبل ثبير بمنى: 301.
- جبل ثور: 300، 301.
- جبل جزل: 290.
- جبل حراء (جبل النور): 299.
- جبل الحزورة: 184.
- جبل خليفة: 184.
- جبل الخندمة: 298.
- جبل المقبرة: 184.
- جبل المقلع (البكاء- الزاهر): 306.
- جبل النوبى: 288.
- جدة: 78، 135.
- الجزيرة: 134.
- الجعرانة: 295.
- الجموم من وادى مرّ: 295.
- الجودى: 72.
- الحاطمة (من أسماء مكة): 145.
- الحبشة: 134.
- الحجر: 84.
- الحجر الأسود: 80، 86، 191.
- الحجون: 314.
- حراء: 72.

الحرم (من أسماء مكة) 146.

الحرمة (من أسماء مكة): 149.

الحرمة (من أسماء مكة): 149.

الحزورة: 141.

الحصحاء: 184.

الحطيم: 167، 190.

حفيرة العباس (من أسماء زمزم): 236.

حلوان: 134.

خراسان: 62، 134، 234.

الخضير: 184.

الخرمانية: 184.

خوارزم: 134.

دار أبي بكر الصديق: 288.

دار أبي سعيد: 288.

دار أبي سفيان: 287.

دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي: 289.

دار أم هانئ: 194.

دار خديجة زوج النبي: 289.

دار خزيمة: 286.

دار الخيزران: 289، 310.

دار الدقوقي: 288.

دار العباس بن عبد المطلب: 193، 289.

دار العجلة: 62، 193، 288.

دار الندوة: 62، 181.

ديار بكر: 134.

ذو طوى: 62.

الرأس (من أسماء مكة): 147.

ص: 325

- رباط الخوزى: 184.
- رباط رامشت: 182.
- رباط الفقراء بالمسعى: 289.
- رباط المغاربة: 289.
- رباط الموفق: 289.
- رباط ناظر الخاص: 182.
- الرتاج (من أسماء مكة): 147.
- ردم بنى جمع: 286.
- الرها: 134.
- روح: 308.
- الرى: 134.
- الزيارة: 279.
- زقاق الحجر: 286، 288.
- زقاق المرفق: 288.
- زمزم: 62، 229، 230، 232، 233، 237، 238، 239، 240، 242.
- سابق (من أسماء زمزم) 236.
- سيوحة (من أسماء مكة) 149.
- سجستان: 134.
- سرف: 308.
- سقاية العباس: 191.
- السلام (من أسماء مكة) 149.

سميساط: 134.

سنجار: 134.

سوق الليل: 285.

السييل (من أسماء مكة) 149.

الشاش: 134.

الشام: 84، 134، 225.

شباة العيال (من أسماء زمزم) 236.

شراب الأبرار (من أسماء زمزم) 236.

الشعب: 286.

شعب ابن عامر: 295.

شعب أبي دب (شعب العفاريت): 304.

شعب الصفي: 305.

شعب علي: 287.

الشعبية: 79.

شيراز: 101.

الصفاء: 310.

صلاح (من أسماء مكة): 145.

ضريح الشيخ عبد الكبير بن يس الحضرمي:

287.

الطائف: 309.

طور زيتا: 72.

طور سيناء: 72.

طيبة (من أسماء مكة): 49.

ظبية (من أسماء زمزم) 236.

العدراء (من أسماء مكة) 149.

العرش (من أسماء مكة): 146.

ص: 326

العرش: (من أسماء مكة): 149.

عرفة: 291، 308.

العروش (من أسماء مكة): 149.

العروض (من أسماء مكة): 149.

العریش (من أسماء مكة): 146.

عسفان: 286.

العقبة: 291.

عمان: 106، 308.

عذاب: 135.

عين الأزرق بالطائف: 309.

عين الأزرقى بالمدينة: 309.

غار الكنز: 297.

غار المرسلات: 293.

فاران (من أسماء مكة): 149.

فارس: 134.

فحّ: 306.

فرغانة: 134.

القادس (من أسماء مكة): 146.

القادسية: 134.

قبر آمنة بنت وهب: 305.

قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبي العميد: 304.

قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية:

.307

قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادي مرّ: 309.

قبر حواء بجدة: 79، 297.

قبر الشولي: 304.

قبر شيث: 297.

قبر عبد الله بن عباس: 308.

قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب: 305.

قبر النبي: 13.

قبة الفراشين: 285.

قبة الوحي: 287.

قبور سماسرة الخير: 304.

القرية (من أسماء مكة) 145.

قرية الحمس (من أسماء مكة): 149.

قرية النمل (من أسماء زمزم): 236.

قرية النمل (من أسماء مكة): 149.

قعيقعان: 62، 219.

كرمان: 134.

الكعبة: 11، 62، 63، 64، 66، 67، 68، 70، 73، 77، 79، 82، 87، 89، 90، 94، 96، 101، 103، 104، 106، 107، 129،

134، 161، 185، 307.

كوثى (من أسماء مكة): 146.

الكوفة: 134.

ص: 327

لبنان: 72.

المتكأ: 310.

المجزرة الكبيرة: 290.

المختبأ: 287.

مخرج صدق (من أسماء مكة): 149.

مدرسة السلطان قايتباي: 183، 230.

مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن: 94.

المدينة المنورة: 93، 154، 291.

مرو: 134.

المرورة: 223، 310.

مزدلفة: 310.

مسجد الآبنوس: 79.

مسجد إبراهيم القيسي: 291.

مسجد الإجابة: 291.

مسجد بأجياد: 296.

مسجد بأعلى مكة: 296.

مسجد بذى طوى: 296.

مسجد بعرفة: 296.

مسجد البيعة: 291، 310.

مسجد التنعيم: 294، 297.

مسجد الجن: 291.

مسجد الجعرانة: 293.

المسجد الحرام: 62، 161، 184، 185، 191، 192، 193.

مسجد الحرس: 291.

مسجد الخيف: 292، 297، 310.

مسجد الراية: 290.

مسجد عائشة: 292.

مسجد عرفة: 293.

مسجد عرفة (مسجد نمرة): 296.

مسجد الفتح: 295.

مسجد فوق العمرة المعروفة، بالتنعيم: 297.

مسجد الكبش: 184، 291، 310.

مسجد المختبأ: 290.

مسجد المدعى: 290.

مسجد السرر: 296.

مسجد النحر: 291، 310.

المسعى: 193.

المعابدة: 304.

معاد (من أسماء مكة): 145.

معبد الجنيد: 289.

مغارة الفتح: 310.

المغمس: 156.

مقام الحنفى: 186.

مقام الخليل: 186، 285.

مقام الشافعى: 186.

مقبرة الأحلاف: 207.

مقبرة الشبيكة: 306.

ص: 328

مقبرة المطيين: 307.

المقبرة العليا: 304.

مقبرة المعلاة: 303.

مقبرة المهاجرين بالحصحص: 306.

المقدسة (من أسماء مكة): 146.

مكة المكرمة: 11، 25، 63، 66، 81، 93، 100، 144، 153، 154، 155، 187، 199، 223، 234، 285، 288، 289، 296، 300.

المكتان (من أسماء مكة) 148.

منارة أبي شامة: 290.

منارة باب الحزورة: 183.

منارة باب السلام: 183.

منارة باب على: 183.

منارة باب العمرة: 183.

منارة بنى شيبية: 183.

منى 184، 291، 310.

الموصل: 134.

مولد جعفر الصادق: 288.

مولد حمزة بن عبد المطلب: 287.

مولد رسول الله: 285.

مولد على بن أبي طالب: 287.

مولد فاطمة: 286.

النابية: (من أسماء مكة): 148.

نادرة (من أسماء مكة): 149.

الناسة (من أسماء مكة): 145.

الناشة (من أسماء مكة): 148.

نسا: 134.

النساسة (من أسماء مكة): 145.

نقرة الغراب (من أسماء مكة): 149.

نيسابور: 134.

هزيمة إسماعيل (من أسماء زمزم) 236.

همذان: 134.

الوادي (من أسماء مكة): 145.

وادي السرر: 296، 311.

وادي الطائف: 308.

وادي مر: 297، 308، 309.

وادي مكة: 184.

وادي وج: 308.

اليمن: 100.

ص: 329

3- فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب

الإحياء للغزالي: 116.

أخبار مكة لابن شبة: 32.

الإعلام للقطبي: 52.

الإيضاح للنوى: 308.

البحر العميق لابن الضياء: 131.

تاريخ الأزرقى: 48، 62، 89، 128، 128، 141، 237.

تاريخ أبي سعد السمعاني: 304.

تاريخ مكة للفاكهي: 58، 68.

تفسير ابن كثير: 297.

تفسير الكواشى: 29، 137، 145.

التمهيد لابن عبد البر: 142.

تهذيب الأسماء واللغات للنوى: 287، 294.

الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: 13.

الجواهر المكنونة فى فضائل المصنونة للقاضى جمال بن عبد الله الشافعى: 232.

الدرة الضوية فى هجرة خير البرية للأقفهسى: 28.

رحلة ابن جبير: 191.

رسالة الحسن البصرى: 44، 95، 125، 127.

الروض الأنف للسهيلى: 67، 70، 74.

الزهر الباسم: 85.

سنن سعيد بن منصور: 94.

السيرة لمغلطاي: 286.

ص: 331

السيرة النبوية لابن بحرق الحضرمي: 57.

شرح تقريب الأسانيد: 175.

شرح الجامع الصغير لقاضي خان: 124.

شرح ديوان كثير لمحمد بن حبيب: 220.

شرح صحيح البخاري للقاضي مجد الدين الشيرازي: 149.

شرح مسلم للنووي: 315.

شرح المصابيح للتوربشتي: 59.

شفاء الغرام للفاسي: 11، 67، 69، 189، 236، 289.

شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل لابن ظهيرة (جد المؤلف): 26.

الشفاء للقاضي عياض: 64، 72.

الصحاح: 62.

صحيح ابن حبان: 311.

صحيح مسلم: 166، 301.

الصفوة لابن الجوزي: 116.

طبقات الحفاظ للذهبي: 231.

طبقات السبكي: 231.

الغاية للإتقاني: 220.

فتح الباري: 84.

فضائل مكة للجندی: 295.

القاموس المحيط: 296، 312.

القرى للمحب الطبري: 108، 315.

قوت القلوب لأبي طالب المكي: 19.

ص: 332

- الكوكب المنير: 290.
- مثير العزم لابن الجوزى: 152.
- مثير الغرام لابن الجوزى: 231.
- المرصع لابن الأثير: 147.
- المسالك و الممالك للبكرى: 193.
- المستدرک للحاکم: 94.
- مسند أحمد: 128.
- المطالع: 308.
- معجم البلدان لياقوت: 236.
- منسك ابن جماعة 35، 44، 47، 125.
- منسك ابن الحاج: 310.
- منسك ابن خليل: 30، 37، 38.
- منسك ابن الصلاح: 97.
- منسك النقاش: 310.
- منهاج التائبين: 45، 224، 234.
- الموضوعات لابن الجوزى: 232.
- الوصل و المنى فى بيان فضل منى لمجد الدين (صاحب القاموس): 292.

4- فهرس مصادر التحقيق

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، طبعة جامعة أم القرى.
- اتعاظ الحنفا للمقریزی. القاهرة: 1973 م.
- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام للأسدى، القاهرة: 1985 م.
- أخبار مكة للأزرقى، بيروت: 1385 هـ، وطبعة 1403 هـ.
- أخبار مكة للفاكهى، مكة المكرمة: 1986 م.
- الاستيعاب لابن عبد البر، نهضة مصر، القاهرة: 1960 م.
- الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطای (مخطوط).
- الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1970 م.
- إهداء اللطائف للعجمى. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 1997 م.
- بهجة المهج للميورقى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2001 م.
- تاريخ الإسلام للذهبي، دار الكتاب العربى، بيروت 1987 م.
- تاريخ خليفة بن خياط، بيروت: 1977.
- تاريخ الرسل و الملوك للطبرى، دار المعارف بمصر 1960 م.
- تاريخ ابن كثير (البداية و النهاية) ابن كثير، دار المعرفة، بيروت 1998 م.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، بيروت.
- تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996.
- تهذيب الأسماء و اللغات للنووى، المطبعة المنيرية بمصر.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، طبعة دار المعارف بمصر 1971 م.
- الحيوان للجاحظ، مطبعة مصطفى الحلبي مصر 1356 هـ.
- رحلة ابن جبیر، لابن جبیر، مكتبة مصر، القاهرة: 1955 م.

رسالة الحسن البصرى مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم 1069 تاريخ.
الروض الأنف للسهيلي، طبعة دار المعروفة بيروت و طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة للفاسي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2001 م.
السلح و العدة فى تاريخ بندر جدة، لابن فرج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1997 م.

ص: 335

السلوك للمقریزی، مصر 1934 و ما بعدها.

سيرة ابن سيد الناس (عيون الأثر في فنون المغازى و السير) بيروت.

سيرة ابن هشام، المكتبة العلمية، بيروت.

الشعر و الشعراء لابن قتيبة، دار المعارف بمصر 1966 م.

الشفاء للقاضی عياض، بيروت.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسی، بيروت 1985 م.

شفاء القلوب في مناقب بنی أيوب، لأحمد بن إبراهيم الحنبلي، بغداد 1978 م.

صحيح البخارى، طبعة دار الفكر، بيروت.

صحيح مسلم، القاهرة 1997 م.

صفة الصفوة، دار المعرفة بيروت 1986 م.

طبقات الحفاظ للسيوطی، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1996 م.

طبقات السبكي، القاهرة 1992 م.

طبقات الصوفية للسلمي، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1969 م.

العبر في ديوان المبتدأ و الخبر، لابن خلدون، بيروت 1958 م.

عجائب المخلوقات للقرظويني، طبعة كتاب التحرير بمصر 1966 م.

العقد الفريد لابن عبد ربه لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة 1965 م.

العقود اللؤلؤية للخزرجي، مطبعة الهلال الفجالة بمصر 1911 م.

القرى لقاصد أم القرى للمحب الطبري، طبعة مصطفى الحلبي، القاهرة 1980 م.

غاية المرام لابن فهد، مكة 1986 م.

الكامل في التاريخ لابن الأثير، بيروت 1965 م.

كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، للمتقى الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1989 م.

مروج الذهب، للمسعودى، بيروت 1988 م.

المستدرك للحاكم، بيروت 1990 م.

المفضليات للضبي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.

مناجح الكرم للسنجارى.

ص: 336

ترهة الألباب فى الألقاب لابن حجر، الرياض 1985 م.

نسب قریش للزبیری طبعة دار المعارف بمصر 1976 م.

النهاية فى غریب الحدیث و الأثر لابن الأثیر، طبعة عیسی الحلبی، القاهرة 1963.

وفیات الأعیان لابن خلکان، بیروت 1968 م.

ص: 337

5- فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع الصفحة- مقدمة التحقيق 5

- خطبة الكتاب 11

ترتيب الكتاب على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة 13

المقدمة في فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه 15

لطيفة: تخصيص أولاد إسماعيل بالذكر 17

لطيفة: من الاحتياج إلى العلماء في الجنة 17

الباب الأول في مبدأ أمر الكعبة 23

مطلب: أصل طينة النبي 25

مطلب: مدفن الإنسان بترتبه 25

مطلب: أول جبل وضع في الأرض أبو قيس 25

مطلب: أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام 26

مطلب: قبلته صلى الله عليه وسلم 27

مطلب: تحويل القبلة 28

مطلب: المختار أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة 29

مطلب: عن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ 30

مطلب: وجه تسمية البيت الحرام كعبة 31

مطلب: أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير 31

مطلب: تسمية الكعبة البيت العتيق 33

الباب الثاني فيما ورد من الآيات الشريفة في زيادة تعظيم هذا البيت وما ورد في فضل المقام وسبب تسميته بذلك 35

مطلب: تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة 37

مطلب مهم 37

مطلب فيما يتعلق بالحجر الأسود 37

ص: 339

مطلب الحجر الأسود و المقام ياقوتتان من يواقيت الجنة 38

لطيفة فى ذكر تسويد الحجر الأسود بالخطايا 38

فوائد فى حكمة قول عمر و غير ذلك 39

مطلب: الحكمة فى تغيير الحجر الأسود إلى السواد 40

مطلب: هل كان الحجر الأسود يسمى أسود قبل اسوداده حال كونه أبيض من اللبن أم لا 41

مطلب: خواص الحجر 41

فروع: فى تقبيل الحجر الأسود و غير ذلك 42

فائدتان: فى المزاحمة عند استلام الحجر و فى أول من استلمه 43

مطلب: أول من استلم الركن من الأئمة قبل الصلاة و بعدها ابن الزبير 43

فصل: فى ذكر الركن اليمانى و ذكر شىء مما ورد فيه 43

فروع: استلام الركن اليمانى عندنا حسن و تركه لا يضر 45

مطلب: فى كيفية استلام الركن اليمانى هل يقبل يده ثم ينقلها إليه أو يضع يده عليه ثم يقبلها 46

فصل: فى فضل الملتزم و الدعاء فيه 46

فصل: فى معرفة الملتزم و المستجار و المتعوذ و المدعى و الحطيم 47

مطلب: دعاء آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام 48

مطلب: الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتى الطواف ثم يأتى بهما 49

مطلب: ما وقع فى الكعبة من الترميم 49

مطلب: عقوبة من أخذ شيئاً من مال الكعبة 51

مطلب: إذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعاً 51

مطلب: دخان البيت يصعد مستويًا 51

مطلب: هيئته و تعظيمه فى القلوب 51

مطلب: لا يرى البيت أحد لم يكن رآه من قبل إلا ضحك أو بكى 52

مطلب: تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء 52(1)

الجامع اللطيف ؛ ص 341

لب: آباء الأنصار أولئك الأربعمائة حكيم 54

مطلب: أبو أيوب الذي نزل عنده صلى الله عليه وسلم من ولد العالم الذي شفى به تبع 54

مطلب: فى وجه تسمية قعيقعان 55

قصة أصحاب الفيل 55

فائدة: فى عدم تعجيل العقوبة لهذه الأمة 61

الباب الثالث فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة 67

سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام 69

فصل فى الكلام على البيت المعمور 70

مطلب: فى كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها 71

الخلافاً فى البيت المعمور وفى مكة 71

سبب بناء آدم عليه السلام 72

مطلب: الأجل التى بنيت منها الكعبة خمسة 72

سبب بناء الخليل صلوات الله عليه 73

مطلب: الخلافاً فى هود و صالح هل حجاً أم لا 73

مطلب: سبب معرفة إبراهيم أساس البيت الحرام 74

مطلب: الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر 76

مطلب: سن ذى القرنين 76

مطلب: الحجر الأسود و هل كان قبل إبراهيم أم لا 77

و أما سبب بناء قريش البيت 78

استطرد في الكلام على فضل جدة 78

سبب بناء ابن الزبير البيت 81

فائدة في أول سبب للتكلم في القدر 82

ص: 341

1-719. ابن ظهير، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، 1423 ه.ق.

نكتة فى المبتدأ الواقع بعد لولا 83

لطيفة فى تصغير ذى السويقتين 87

سبب بناء الحجاج و تغييره 87

فصل فى ذكر كنز الكعبة و الحكم فيه 88

فائدة فيما وجد بجب الكعبة 89

فروع فى حكم ما يهدى للكعبة و ما ينذر لها 90

فصل فى الكلام على دخوله صلى الله عليه و سلم الكعبة الشريفة بعد الهجرة و صلاته فيها و بيان مصلاه منها و تعدد دخوله 91

فوائد فى مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و غير ذلك 92

دخول عثمان بن طلحة 92

استطراد مفيد 93

قد استحب الأئمة الأربعة دخول الكعبة ... إلخ 94

فائدة فىمن خلع النعل عند دخول الكعبة 94

فصل فى دخول الكعبة الشريفة 95

ما يطلب فى الكعبة من الأمور التى فعلها الرسول صلى الله عليه و سلم 96

فائدة فيما أحدثه بعض الفجرة فى جوف الكعبة 97

الباب الرابع فى الكلام على كسوة الكعبة 99

فوائد فى نزع عمر لثياب الكعبة و غير ذلك 101

فروع فى بيع ثياب الكعبة و غير ذلك 103

ذكر تطيب الكعبة الشريفة 103

ذكر تحلية الكعبة الشريفة 104

ذكر معاليق البيت الشريف و ما أهدى إليه فى معنى الحلية 105

فصل فى الكلام على سدانة البيت 107

الرفادة 108

ص: 342

تتميم بذكر شىء من خبر قصى 109

الندوة- اللواء- القيادة 110

فائدتان فى فتح الكعبة فى الجاهلية وفى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح 110

الباب الخامس فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به 113

وأما الآثار 115

فائدة فى مراتب الطواف 116

فائدة فى المراد بحسنة الدنيا 117

فوائد فى جعل البيت على يسار الطائف وغير ذلك 119

فروع فى الخشوع فى الطواف وغير ذلك 120

المفاضلة بين الطواف والعمرة 121

نكتة فى منشأ الخلاف بين الأئمة فى ذلك 123

فصل فى ثواب النظر إلى البيت وبيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم حول البيت وبيان ملخصه 125

ذكر شىء من فضائل الحجر 130

ذكر ذرع الحجر من داخله 132

تتميم فى المصلى بين الحفرة وبين الحجر 132

استطراد فى بيان مصلى آدم عليه السلام 133

فصل فى بيان جهات المصلين إلى القبلة من سائر الآفاق 133

الباب السادس فى فضل مكة وحكم المجاورة بها وذكر شىء مما ورد فى ذلك 137

فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد 140

لطيفة فى الحكم فى التجريد فى الإحرام 141

تنبيهان فى المجاورة للكعبة وفى الموت بالمدينة 152

الباب السابع فى فضل الحرم و حرمة و المسجد الحرام 153

فصل فى فضائل الحرم 156

فصل فى استعمال لفظ المسجد الحرام 161

استطراد مفيد فيما يتعلق بالإسراء 162

تنكيت و آخر 165

استطراد فى الكلام على متن حديث الإسراء 166

فصل فى ذكر مبدأ عمارة امسجد الحرام و توسعته و ذرعه 177

فصل فى ذكر الزيادتين و خبر عمارتها و ذرعهما و ذرع المسجد الحرام و عدد منائره و أبوابه 181

ذكر منائر المسجد الحرام 183

ذكر ذرع المسجد الحرام و الزيادتين 184

ذكر ذرع زيادة دار الندوة 185

ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم 186

ذكر كيفية المقامات التى هى الآن فى زمننا موجودة 186

ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات 189

ذكر ما فى المسجد الحرام من القباب و غيرها 191

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام 192

الباب الثامن فى فضل أهل مكة و احترامهم 197

فصل فيما ورد فى حق قريش من الآيات و الأحاديث و الآثار 201

استطراد مهم 205

نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم 206

نسب أبي بكر الصديق 208

ص: 344

- نسب عمر بن الخطاب 210
- نسب عثمان بن عفان 211
- نسب على بن أبي طالب 212
- نسب طلحة بن عبيد الله 214
- نسب الزبير بن العوام 214
- نسب سعيد بن مالك 215
- نسب سعيد بن زيد 216
- نسب عبد الرحمن بن عوف 216
- نسب أبي عبيدة بن الجراح 217
- ذكر وصف كل واحد من العشرة 218
- الباب التاسع في ذكر مبدأ بئر زمزم 223
- فائدة استطرادية 224
- فصل في فضائل ماء زمزم 229
- فصل فيما لزمزم من الأسماء 236
- فصل في آداب الشرب من زمزم 238
- استطراد لطيف في ذكر ما ورد في فضل السبطين 240
- الباب العاشر في ذكر أمراء مكة 245
- ذكر من ولي مكة في خلافة عمر بن الخطاب 246
- ذكر من ولي مكة في خلافة عثمان 247
- ذكر من ولي مكة في خلافة على بن أبي طالب 247
- ذكر ولاية مكة في خلافة معاوية 248

ذكر ولاية مكة في خلافة يزيد بن معاوية 248

خلافة عبد الله بن الزبير 248

ذكر ولاية مكة في خلافة عبد الملك بن مروان 249

ص: 345

ذكر ولاية مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك 249

ذكر ولاية مكة في أيام بنى العباس وولاتها بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وتسعمائة 252

الخاتمة في ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة 285

المواليد 285

ذكر الدور المباركة 288

ذكر المساجد 290

ذكر المساجد التي في منى وجهتها 291

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرما 297

ذكر المقابر المباركة التي تزار بمكة وقربها 303

فائدة في سبب تسمية قوم بالمطيين 307

فوائد تختتم بها الخاتمة 310

الفهارس العامة 317

فهرس الأعلام 319

فهرس الأماكن 323

فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب 331

فهرس مصادر التحقيق 335

فهرس الموضوعات 339(1)

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

ص: 346

1-720. ابن ظهيره، محمد بن محمد، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها و بناء البيت الشريف، 1 جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره،
چاپ: اول، 1423 ه.ق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

